دار الثقافة
المسيحية الحقيقية
مبادئ
حياة
الإيمان
رونالد ج. سايدر

المسيحية الحقيقية

مبادئ حياة الإيمان

تأليف

رونالد ج. سايدر

ترجمة

سلام منير حبيب



Originally Published in The U.S.A
Under The Title
Genuine Christianity
Copyright © 1996 By Ronald J. Sider
Grand Rapids, Michigan

طبعة أولى

المسيحية الحقيقية - مبادىء حياة الإيمان
صدر عن دار الثقافة - ص.ب ١٢٩٨- القاهرة
جميع حقوق الطبع محفوظة للدار (فلا يجوز أن يستخدم اقتباس أو إعادة نشر أو طبع بالرونيو للكتاب أو أي جزء منه بدون إذن الناشر. وللناشر وحده حق إعادة الطبع)
١٠/ ٧٦٠ ط١/١-١/ ٩٨
رقم الإيداع بدار الكتاب: ١٩٩٦ / ٩٨
ISBN 977 - 213 - 441 - 1
جمع وطبع بمطبعة سيوبرس
تصميم الغلاف: أمجد تناغو

مقدمة الدار

كثرت الأفكار والمفاهيم والاتجاهات في الكنيسة لخدمة الإنسان. فاعتبر البعض أن الكلمة المكتوبة، والاختبار الشخصي هما الأساس للعلاقة الحية مع الله، لذا فهما الحاجة الفعلية للإنسان دون اعتبار حاجاته الإنسانية.

واعتبر آخرون أن الإنسان المخلوق على صورة الله قيمته في ذاته لذلك يحتاج إلى خدمة إنسانية فبدأ التحرك الاجتماعي والاهتمام بحاجات الناس وخدمة الإنسان كإنسان بغض النظر عن إيمانه أو عقيدته.

الجميع على صواب ولكن من وجه واحد للحقيقة،

فهل تنسى الكنيسة دورها الكرازي لمصالحة الإنسان مع إلهه؟

أم تنسى دورها الاجتماعي في خدمة الإنسان كإنسان؟

إن الإنسان لا يتجزأ فهو وحدة متكاملة، لقد اهتم السيد في بداية خدمته حتى نهايتها على الأرض، كخادم يسدد احتياج القلوب المريضة وأيضاً الأجساد المريضة، كان يكرز ببشارة الملكوت ويشفي كل مرض وكل ضعف في الشعب، إن دور الكنيسة الحقيقي مركز انطلاقه هو المسيح الخادم الذي ربط بين النظرية والتطبيق، المفهوم الروحي والممارسة، وبين الكلام والعمل.

فكلما تبعت الكنيسة سيدها الخادم بأمانة، كلما زادت قوة الكرازة، والتأمت جروح الأسرة وعاشت مجمعاتنا بقدر وافر من العدالة.

ويسر دار الثقافة أن تقدم هذا الكتاب للقاريء المصري والعربي، الذي يربط بين النظرية والتطبيق، المفهوم والممارسة، الكلام والعمل، ليكون نبراساً لإعلان الإنجيل وتطوير المجتمعات في بداية القرن الحادي والعشرين.

دار الثقافة

محتويات الكتاب

المقدمة

ماذا نحتاج لكى يتغير هذا العالم – لكى يتغير بالحق إلى الأفضل؟أظن أن الإجابة سهلة. نحتاج إلى مجموعة صغيرة من مسيحيي اليوم الذين يؤمنون بالحق بما علَّمَه يسوع، ويعيشون كما عاش هو.

تخيل للحظات هذه المحادثة الخيالية المدهشة، التى فيها يتحدث يسوع مع الملاك جبرائيل عقب عودته إلى السماء منتصراً.

يسأل جبرائيل يسوع: "حسناً، كيف سارت الأمور؟ هل أتممت إرساليتك وأنقذت العالم؟".

ويجيبه يسوع : " نعم ولا. لقد عشت حياة تقية لحوالى ثلاثين سنة، وبشرت بضعة آلاف من اليهود فى بقعة من الإمبراطورية الرومانية. ثم مُتّ عن خطايا العالم ووعدت أن الذين يؤمنون بى سيعيشون إلى الأبد، وقمت من القبر فى اليوم الثالث لكى أظهر لأتباعى المائة والعشرين الخائفين بأن حياتى هى طريقة الله من أجل إنقاذ العالم، ثم وهبتُ الروح القدس لهؤلاء المائة والعشرين وتركتهم لكى يكملوا العمل ".

ويسأل جبرائيل بتعجب : " هل تعنى أن كل خطتك من أجل خلاص العالم متوقفة على تلك الزمرة من الصيادين والمهمشين والعشارين؟".

يجيبه يسوع : " هذا صحيح ".

ويقول جبرائيل بقلق : "لكن ماذا إذا فشلوا؟ ما هى خطتك البديلة؟".

يجيبه يسوع بهدوء : " لا يوجد خطة بديلة ". ولا يوجد حتى الآن خطة بديلة. فلقد قرر الله أن يستخدم البشر وليس الملائكة لكى ينشروا الإنجيل ويغيروا العالم.

وراقب جبرائيل هذا الطاقم بدهشة بينما كانوا يستعدون للعمل بقليل من المال والتعليم، وبدون أى نفوذ سياسى. لكن لأنهم أحبوا يسوع من كل قلوبهم وعرفوا أنه الطريق والحق والحياة لكل الناس فى كل مكان، قهروا المحيطات الهائجة والأسود المفترسة حتى يبشروا ويعيشوا إنجيل يسوع، وانتشرت الرسالة بسرعة النار.

إن أكبر عدد تبع المسيح هو فى القرن الحالى. ويقدر دايفيد باريت David Barret أخصائى المرسليات أن عدد المسيحيين الحقيقيين اليوم (الذى يدعوهم مسيحيي " الإرسالية العظمى") يزداد بنسبة ضعف معدل ازدياد عدد سكان العالم.

لقد أصبحت المسيحية هي الدين العالمي الأول في سنة ١٩٠٠، وكان حوالي ٧٥٪ من مسيحيي العالم من البيض الذين يعيشون في أوروبا، وروسيا، وشمالي أمريكا، سيكون ٥٦٪ من المسيحيين من العالم الثالث في سنة ٢٠٠٠. فلقد ازداد عدد المؤمنين في أفريقيا وآسيا وأمريكا اللاَّتينية إلى ١٣٠٠٪ خلال مائة عام، وسوف يصبح عددهم ١,٢ بليون مع قدوم سنة ألفين.

لقد نجح تدبير يسوع بدون خطة بديلة، واليوم عندما ينظر جبرائيل إلى نهاية القرن العشرين يرى عدة أسباب للأمل. فالوضع الكوني أفضل مما كان عليه من خمسين سنة في كثير من النواحي. ففي الفترة الأكبر من هذا القرن عاش البشر تحت سلطة حكومات مضطهدة من الماركسية التي كانت تشكل أكبر خطر على المسيحية. لكن الشيوعية الملحدة سقطت، واليوم تتبنى معظم الدول الفكر الديموقراطي، على الأقل بالقول. هذا وقد انتشرت حرية نشر الإنجيل.

وقد قلَّ أيضاً الفقر الشديد، ففي وقت سابق، كان يعيش الناس حياة الكفاف. لكن في هذا القرن، أدت التكنولوجيا والنظام الاقتصادي إلى غنى كبير وجديد. وقلَّ سوء التغذية بصورة ملحوظة خلال العشرين سنة الأخيرة.

إن القرن القادم ممكن أن يكون أفضل للمسيحية.

وبينما يفكر جبرائيل ملياً، يعاوده قلق قديم. فمنذ أن صعد يسوع إلى السماء، وفي القرون اللاحقة، ادَّعى كثيرون بأنهم يتبعون المسيح، لكنهم لم يعيشوا تعاليم يسوع. هل اختلف الذين يدَّعون المسيحية عن غيرهم؟

كيف تحدث أسوأ مذبحة لليهود في تاريخ البشرية في وسط أوروبا أقدم منطقة مسيحية؟ وكيف تحدث أقسى مذبحة للقبائل في رواندا في وسط ثمانين بالمائة من شعب مسيحي؟ كيف يحارب المسيحيون الكاثوليك الكروات المسيحيين الأرثوذكس الصرب، ويحاربون أيضاً المسلمين في أشنع حرب عرقية تحدث في أوروبا منذ أيام هتلر؟

وماذا عن الولايات المتحدة؟ إنها قوية، وغنية و" مسيحية " أكثر من أي دولة على وجه الأرض، حيث أن ٨٦٪ من عدد السكان يدينون بالمسيحية، وتقريباً ٥٠٪ من الشعب يذهبون إلى الكنائس أيام الآحاد.

لكن هل غيرت المسيحية حياتهم الشخصية وهم يرتكبون خطأ في حق أولادهم أكثر من أي جيل أو حضارة أخرى بسبب نسبة الطلاق العالية.

لقد غزت نظرية النسبية عقول المسيحيين. فإن ٦٢٪ من "المتجددين" المسيحيين لا يؤمنون بالحقيقة المطلقة. ونسبة الإجرام في الولايات المتحدة هي ضعف النسبة في الدول الصناعية الأخرى. وهي الدولة الثانية في العالم لأعلى نسبة إجرام. وسجون الولايات المتحدة تسجن أكبر نسبة من شعبها عن أى دولة أخرى. إن العنف والمخدرات منتشران في داخل مدنها. إن المسيحيين لهم مراكز سياسية مرموقة، لكن محبة يسوع للفقراء نادراً ما تظهر في برنامجهم. المبادئ المكسورة وعدم الثقة المتزايدة يصيبان الكنيسة هناك.

هل استراتيجية يسوع من أجل تغيير العالم تنفذ؟ الصورة غير واضحة تماماً للملاك جبرائيل. فعدد كبير من هؤلاء الذين يدّعون المسيحية يعيشون حياتهم مثل جيرانهم.

لكننا نرى هنا وهناك مجموعات صغيرة مثل المائة والعشرين الأصليين، يضعون يسوع مركزاً لحياتهم. فجبرائيل في جوردن واين Wayne Gordon وهو قس في أفقر وأعنف منطقة في قلب مدينة شيكاغو. فبعد أن تجدد وهو مراهق، وعد الله قائلاً : " سأفعل أى شئ تريدني أن أفعله في حياتي ". لذلك تحدّى الخارجين عن القانون وتحدّى العنف لكي يعلن لأبناء هذه المنطقة من المدينة الذين ليس لهم أى أمل في تعليم محترم، ووظيفة، وزواج – أن خالق هذا الكون يحبهم ويريدهم أن يعيشوا معه إلى الأبد. ولأن واين تمثل بيسوع في الاهتمام بالإنسان بكامله فقد أنشأ برامج توعية وتدريب، وعيادة طبية ومنازل متواضعة، ومشروعات صغيرة. بعد عشرين سنة، بارك الله إيمان واين وصلواته ومجهوداته فأسس كنيسة فيها خمسمائة عضو من مختلف الجنسيات، ومركز خدمة كبير يساعد في تغيير أصعب بقعة في شيكاغو.

ويرى جبرائيل مسيحيين حقيقيين آخرين ملتزمين – هناك الآلاف منهم منتشرين في كل العالم، يعيشون بفرح مع المسيح ويضعونه مركزاً لحياتهم. إنهم يقودون الآخرين ليسوع في كل مكان، مساعدين للمحتاجين، ومرافقين لهم في ظروفهم. إن خدماتهم تعيد الأسر المفككة، وتساعد الفقراء وتغير المجتمعات المتسمة بالعنف. إنهم يصححون التلوث البيئي، ويعملون من أجل الحرية والسلام والحياة والعدالة الاجتماعية. إن عملهم ومجهودهم وصلاحهم يغير ببطء مجتمعات بأكملها وأوطان بكليتها.

ويفكر جبرائيل : نعم، إن خطة يسوع تتحقق، عندما يكون المسيحيون مكرسون للرب كلياً.

إن نسبة صغيرة من عدد المسيحيين البالغ ١,٩ بليون يستطيعون أن يغيروا العالم بصورة عجيبة. الكل يستطيع أن يجد وظيفة كريمة ويكون له دخل– والعنف والعرقية والحروب يمكن أن تقل إذا عاش جزء من المسيحيين الذين يتبعون يسوع ما يعظون به.

ورويداً، يحلم جبرائيل حلما جميلا. إنه يحلم بعشرات الملايين من الأتباع الحقيقيين ليسوع الذين يتجهون بشجاعة نحو المدن والقرى في كوكب الأرض، وأن تكون لهم حياة زوجية وأسرية سعيدة رائعة. وأن يحبوا الأرض، ويهتموا بالخليقة، وينشئوا تكنولوجيا تنتج الغنى والشبع لهم ولأحفادهم. ويقيسوا مجتمعاتهم بمدى اهتمامها بالضعفاء والفقراء. كما أنهم يخبرون كل من يريد أن يصغي أن سر فرحهم هو يسوع المخلص، ويرحبوا بعدد متزايد من كل أمة وقبيلة وشعب ولسان إلى مجتمع التلاميذ.

لكن جبرائيل يرى أيضاً أنه سيكون هناك العديد من غير المسيحيين. حتى أولئك الذين يدَّعون أنهم أتباع يسوع لكنهم يعيشون مثل العالم. فالظلم والخوف والحرب لن يختفوا نهائياً. ويسوع يجب أن يكمل انتصاره فيما بعد، عندما يعود إلى الكوكب الصغير الذى زاره يوماً فى أيام يوليوس قيصر.

لكن الآن -بحسب حلم جبرائيل- نجد أن خطة يسوع تتحقق، فالمسيحيون الحقيقيون أقلية، وبالتأكيد، يوجد من لهم الاشتياق الكافي من التلاميذ مثل واين وأيضاً الـ ١٢٠ تلميذاً الأوائل، أن يروا وجه السيد المسيح، ويتعهدوا قائلين "إذا أعطيتني القوة، سأفعل كل ما تريدني أن أفعله"، والعالم يتغير.

سوف نواجه أنت وأنا احتمالات عجيبة ومخاطر قاتلة فى الألف سنة القادمة. إما أن يكون الجحيم أو أيام أفضل للمسيحية.

لكن هدف وخطة يسوع يستمران كما هما. وهو يطالبنا أنا وأنت أن نسلم له كياننا كليةً حتى نحمل خلاصه إلى أقصى الأرض، لأنه يشتاق أن يعرف كل شخص خلاصه. وكالخالق، يريد أن يتمتع كل إنسان بالحياة الوافرة فى هذا الكوكب الصغير.

وهذا يرجع إلينا. كما أنه ليس هناك خطة بديلة.

الفصل الأول

القداسة المطهرة والمحبة الغافرة

الصفة الأولى

المسيحى الحقيقى يقبل قداسة الله ومحبته

لقد عشتُ مع زوجتى أربيوتس ARBUTUS ثلاث وثلاثين سنة، ويمكنني أن أختصرها بالعبارة التى قالها ريتشارد فوستر RICHARD FOSTER "حياة يمتزج فيها الفرح بالإحباط"، لكن كان أغلبها مُبهجاً.

إن أصعب فترة مرت علينا كزوجين حدثت عندما كُنا في العقد الثالث. ومع أننا لم نرتكب خطية الزنا لكننا سببنا لبعضنا آلاماً كثيرة. وإني أعترف أنه في أحيان كثيرة كنت أجرحها بشدة عندما أستشيط غضباً، وذلك حتى أشبع رغباتي الشريرة. كان من الممكن أن أرتكب خطية الزنا لولا سبب واحد، إذ كيف أستطيع أن أتطلع إلى وجه إلهي المُحب بعد أن أخطئ. في الحقيقة وصايا الرب هي التي حفظتني عندما كنت أضعف وأخور. إن الحقيقة الكتابية وهي أن الله قدوس هي التي حفظت خطواتي ومنعتني من أن أتسبب في آلام جمة لإنسانة أحبها أكثر من أى شخص آخر في هذا العالم.

أعترف بأنني أخطأت إلى زوجتي، فقد كان زواجنا يمر في أزمة وكنت أتساءل إذا كنا سنستطيع أن نخرج منها دون أي خسائر. لكن في تلك الفترة الصعبة فهمت معنى الصليب بصورة أعمق. لقد علمت أنه يوجد ثلاثة خيارات أمامي وأمام زوجتي حتى نتعامل مع الجروح التي سببناها لبعضنا البعض. فإما أن نتظاهر بأن خطيتنا هذه لا تستحق أن نعطيها أهمية، أو أن يصرخ الواحد في وجه الآخر: "إنني لن أسامحك أبداً". وكلا الخيارين كانا سيدمران علاقتنا، ولا يُفسحان أي مجال للصلح. لكن كان يوجد خيار ثالث أمامنا، وهو أن يقول أحدنا للآخر: "إن خيانتك كانت فظيعة، لقد جُرحت بشدة. لكنني أحبك، إنني أحبك لدرجة أنني سأغفر لك كل الأذى الذي سببته لي. أنا لا أستطيع أن أتجاهل الذي حدث، لكن في نفس الوقت لا أريد أن نعيش في جفاء وبغض. لذلك فإنني سوف أتقبل الجروح التي سببها شرك وأطهرها على مذبح حبي وغفراني".

وهذا ما فعله الله على الصليب. فخطايانا فظيعة جداً، لذلك لا يستطيع الله أن يتغاضى عنها، لكنه في نفس الوقت يحبنا جداً. لذلك فإن الله ضم بين ذراعيه خطايانا وطبيعتنا الشريرة وقبِلَ العقاب الذي نستحقه نحن فعل هذا كله لأنه يريد أن يصالحنا معه ثانية.إن الصليب هو الحل الوافي الوحيد لهذا العالم الشرير المليء بالظلم والمعاناة. والصليب هو الحل العجيب لمشكلة الشر في العالم، هذا الحل الذي لا تجرؤ أي ديانة أن تقدمه، وهو أن خالق الكون مات من أجل خطايانا.

لكننا لا نستطيع أن نفهم معنى الصليب إلا إذا فهمنا أن الله هو سيد بار وأب مُحِب. والكتاب المقدس يوضح لنا هذه الحقيقة وهي أن القداسة والرحمة هما صُنوان لا يفترقان أبداً في طبيعة الله. لقد علَّمنا المسيح أن خالق الأكوان المهوب هو في الحقيقة أب حنون ومحب. لكن رغم هذا فإن المسيح حذر مراراً وقال إن الخطاة لن يروا هذا الإله القدوس أبداً.

إن كنيسة هذا العصر تريد أن تقبل نصف حقيقة الله، إنها تريد أن تصوغ عهداً ومفهوماً جديدين يقدمان غفران الله دون قداسته. لكن إله الكتاب المقدس يدعونا لنعرف من هو في الحقيقة. إن الله يأمرنا أن ننحني برهبة وخوف أمام قداسته المحرقة، وفي نفس الوقت نمجده لأجل محبته العظيمة. عندها فقط تفهم الكنيسة بالحق من هو الله، ما هي الخطية، وما هو الخلاص. وعندها فقط تستعيد الكنيسة قوتها الروحية. إن الكنيسة العصرية تريد شخصية "بابا نويل" الذي يمدهم بالغنى والصحة والسعادة. نعم إننا نفضل أن يكون هناك شخصية روحية تبتسم في وجوهنا وتقول: "لا بأس إذا أخطأتم، فكلنا نرتكب الخطايا". إن الكنيسة العصرية تريد أن ننسى الخطية، كما أنها تريد أن تهمل التوبة والتقديس. ونحن نفضِّل أن نحدِد مفهومنا الخاص بالسعادة ونبدِّل القداسة بالسعادة. هل نتعجب بعد هذا إذا كان المسيحيون المعاصرون والكنائس يعانون من ضعف مخزٍ ولا يأتون بثمر؟

إن إشعياء النبي عرف أن طبيعتي الله القداسة والمحبة مترابطتان بصورة مدهشة. عندما رأى إشعياء النبي الإله الحي في الهيكل فإن خطيته بانت بشكل واضح أمام مجد الله. "في سنة وفاة عزيا الملك رأيت السيد جالساً في كرسي عالٍ ومرتفعة أذياله يملأ الهيكل. السرافيم واقفون فوقه لكل واحدٍ ستة أجنحة. باثنين يغطي وجهه وباثنين يغطي رجليه وباثنين يطير. وهذا نادى ذاك وقال قدوس قدوس قدوس رب الجنود مجده ملء كل الأرض فاهتزت أساسات العتب من صوت الصارخ وامتلأ البيت دخاناً، فقلت ويل لي إني هلكت لأني إنسان نجس الشفتين وأنا ساكن بين شعب نجس الشفتين. لأن عيني قد رأتا الملك رب الجنود" (إشعياء ٦: ١–٥). لقد علم إشعياء أنه هو وشعبه قد عصوا العديد من وصايا الله. فقد عبدوا آلهة

أخرى، كما أنهم لم يهتموا بالفقير، والأرملة، واليتيم. وربما تذكر إشعياء تحذير الله: "لا تسيء إلى أرملة ما، ولا يتيم، إن أسأت إليه فإني إن صرخ إليّ أسمع صراخه، فيحمى غضبي وأقتلكم بالسيف" (خروج ٢٢:٢٢-٢٤).

هذا وإن غضب الله ليس صفة مختصة بالعهد القديم فقط. فإن رسول النعمة والحرية، الرسول بولس، لم يتردد في أن يذكر كره الله للخطية: "لأن غضب الله معلن من السماء على جميع فجور الناس وإثمهم الذين يحجزون الحق بالإثم". (رومية ١-١٨) "فإنكم تعلمون هذا أن كل زانٍ أو نجس أو طماع الذي هو عابد للأوثان ليس له ميراث في ملكوت المسيح والله" (أفسس ٥:٥)، كما أن المسيح نفسه حذر أولئك الذين لا يحفظون وصاياه بأنهم سوف يسمعون هذه الكلمات المخيفة: " . اذهبوا عني يا ملاعين إلى النار الأبدية المعدة لإبليس وملائكته" (متى ٢٥:٤).

لكن شكراً لله لأن غضب الله هذا هو نصف ما يخبرنا به الكتاب المقدس عن الله. فعندما شعر إشعياء بخطاياه وتاب عنها أرسل له الله بسرعة ملاكاً يؤكد له أن خطاياه قد غفرت، عندها شبَّه إشعياء الله بالنسر الأم التي تحمي صغارها من الوقوع بينما تعلمهم الطيران (تثنية ١١:٣٢-١٢). كما شبَّه إشعياء الله بالأم التي تتألم لتلد طفلها حتى يصور لنا مدى اشتياق الله ليعيد الإنسان إلى محضره القدسي. يقول الله: "كالوالدة أصيح، أنفخ وأنخر معاً" "كإنسان تعزيه أمه هكذا أعزيكم أنا." (إشعياء٤٢: ١٤، ٦٦: ١٣).

والمسيح عندما قدم مثل الابن الضال شبه الله بذلك الوالد الذي ينتظر عودة ابنه بشوق، حتى يغفر له عندما يتوب. نعم تحمَّل الخالق العظيم والقاضي القدوس، عذاب ابنه على الصليب بأيدي الرومان وذلك بسبب محبته للإنسان، ولأنه لا يريد أن يهلك أحداً (٢بط ٣:٣).

إن الأشخاص المعاصرين يندهشون من تعليم المسيح، وهو أن الله أب لنا، لأنهم لا يعرفون إلا الله القدوس البار الذي يحكم. لكن المسيح يشجعنا أن نتقرب من الله خالق هذا الكون وندعوه "يا أبانا". نعم فمهما أخطأنا ومهما تمردنا فإن الله يرحب بنا ويضمنا بين ذراعيه الحانيتين ويغفر لنا.

إننا لا نستطيع أن نفهم موضوع الخطية والخلاص إلا إذا قبلنا تعليم الكتاب المقدس عن طبيعة الله التي تحوي البر والقداسة من جهة والمحبة والغفران من الجهة الأخرى.

إن الكارثة الحاصلة في هذه الأيام هو أن الناس يرفضون فكرة وجود الخطية. وهذا حقاً غريب، قال عالم اللاهوت المشهور رينهارد نيبور Reinhard Niebuhr: "ربما تكون الخطيئة الأصلية

هي المبدأ المسيحي الوحيد الذي يمكن أن يبرهن بالتجربة والمعاينة". لكن من ناحية أخرى يدّعي المعاصرون أن الحقيقة عكس ذلك. إنهم يرفضون الإعلان الكتابي بأن جميع البشر خطاة متمردون على وصايا الله.

في القرن الثامن عشرة، في عصر التنوير الفكري كان الناس يرفضون حقيقة أن الله هو مصدر كل شيء حسن. وبدل هذا تبنوا مبدأ حكم الإنسان لنفسه، ووضعوا نظاماً أخلاقياً للسلوك. بعد ذلك العصر أتى ماركس وداروين وفرويد وأعلنوا أن الإنسان هو ابن بيئته، ولا يوجد خطأ وصواب لأن كل نظام يضعه الإنسان يتأثر بطفولته وطريقة نشأته، ولهذا فإن كل الأنظمة نسبية. بالإضافة إلى هذا فإن الفرد غير مسئول عن ما يحدث بل البيئة. أما برتراند راسل وهو أحد فلاسفة القرن العشرين فإنه وضّح نظرية النسبية مستنتجاً التالي: "إن الذين يمتلكون أنواع الغاز السام في العالم هم الذين يرسون النظام الأخلاقي في المستقبل". فعلم النفس الحديث يؤكد أن الذي يستريح إليه المرء يكون هو الصواب عينه، والإنسان له الحق في أن يُشبع رغباته. فمثلاً إذا كان شريك حياتك لا يشبع رغباتك فمن المفروض أن تبحث عن شريك آخر وإلا ستسبب لنفسك أزمة نفسية. وبعض المسيحيين بكل أسف يتحمسون لهذه النظرية ويقدمون براهين لاهوتية تدعمها. وبعض الوعاظ يتحاشون التكلم عن الخطية، بل إنهم يشجعون مبدأ التقييم الذاتي. كما أن بعضهم يبشرون عن الغنى المادي ويهملون مساعدة الفقراء. كما أن بعض النساء المتعصبات لقضية تحرير المرأة يرفضون أي كلام عن عدل الله وقداسته، ويرفضون أبوة الله على أنها تتعلق بسيطرة الرجل. وهناك سيدة مسيحية وهي شخصية تلفزيونية قدمت أفكارها الروحية الهرطوقية من خلال كتاب عنوانه "يجب أن أكون نفسي".

وبينما يرفض بعض الناس فكرة وجود الخطية فإن البعض الآخر يهملون وجودها بسبب كثرتها في العالم. كم مرة سمعت أحدهم وهو يرفض أن يُسمي تصرفاً ما خطية مع أن الكتاب المقدس يسميه بالاسم، ويتذرع بهذا القول: "لكن ألسنا كلنا خطاة؟". وحقيقة أن كلنا نخطيء ونفشل في أن نحفظ وصايا الله لا يعني أن نتوقف بأن ندعو هذا العصيان خطية. لكن عندما ندين الزنى والعنصرية علينا أن نلقي بأنفسنا على نعمة الله ونسأله الصفح عن خطايانا وتعدينا. في هذا المجتمع الذي يؤمن بالنظرية النسبية، يصدق البعض أن البشر صالحون بطبيعتهم، والأخطاء التي تصدر منهم سببها محاولتهم في التأقلم مع المجتمع الذي يعيشون فيه. لكن الله لا يوافق على هذا. إن خالق هذا الكون هو مصدر النظرية الحقيقية. والتمرد على ما أرساه الله من قيم، أعلنها لنا في الكتاب المقدس، يعتبر خطية وله عقاب أبدي.

بعد أن أخطأ داود مع بثشبع وقتل زوجها، تاب عن خطيته وطلب من الله أن يسامحه. إن المزمور الواحد والخمسين الذي كتبه النبي داود، يرفض تماماً المبدأ العصري الذي يقول بأن الأخطاء الأخلاقية هي مشكلة تخص الإنسان دون الله، وعلم أن خطيته هي أولاً عصيان وتمرد على وصايا الله القدوس ولذلك فهو يستحق العقاب.

لقد أكد الرسول بولس أن الخطية تبعد الإنسان عن السماء (غلاطية ١٩:٥-٢١). وحذر المسيح من عقاب الخطية الذي يودي بالناس إلى الجحيم (متى ٢٥:٤٤). إن موضوع الخطية هام جداً، وقد علَّم المسيح وبولس أهمية هذا الموضوع. إن هذا لا يتوافق مع الرأي العصري لكنه يوافق العقيدة الكتابية. وأكرر وأقول إن العهد الجديد يُعلِّم بأن الذين يرتكبون الخطية هم أعداء لله. ولا يوجد خلاص من عقاب الله على الخطية إلا من خلال صليب المسيح (رومية ٥: ٩و١٠). نعم إننا لا نفهم الخطية إلا إذا فهمنا من هو الله. وحينئذ فقط نستطيع أن ندرك ما هو الخلاص. إن مسيحيي هذا العصر لا يفهمون حقيقة معنى الخلاص، ولا نتعجب من هذا. إنهم يرفضون نصف الحقائق المتعلقة بالله فكيف يدركون معنى الخلاص؟ ويعتقد البعض أن الخلاص هو بمثابة تذكرة ندخل بها إلى السماء، ليس له تأثير على حياتنا في هذا العالم. ويعتقد آخرون أن الخلاص هو حالة كمال نفسي وتقييم ذاتي صحيح وسعادة وحالة اجتماعية جيدة. لكن الكتاب المقدس يصرِّح بأن الخلاص مُكلِّف ويحتاج للقداسة.

إن الخطية خاطئة جداً حتى إنها كلفت خالق الكون الموت على الصليب. إذا نظرنا إلى يسوع على أنه إنسان بريء قد دين بسبب غضب الله فإننا نخطئ فهم الصليب. لأن الشخص الذي سُمر على خشبة الصليب ما هو إلا الأقنوم الثاني في الثالوث الإلهي- الله صار جسداً. إن الله نفسه كان يتألم ويعاني يوم الجمعة العظيمة.

لماذا يأتي خالق هذا الكون الفسيح إلى كوكبنا الصغير حتى يصلب؟ لأن الخطية خاطئة جداً ولا يمكنه أن يتجاهلها. وأيضاً لأن محبة الله العجيبة لنا أعظم بكثير من كرهه للخطية. والله لا يمكن أن يتغاضى عن الخطية أو يتجاهلها ببساطة لأن الكل يخطئ، فالخطية تشوه عالم الله الجميل وتعتدي على قداسة الله، كما أنها تخرب الأرض لذلك فإنها تستحق عقاب الله القدوس.

لكن الله برحمته يتشوق لأن يعيدنا إلى محضره القدسي، لذلك قبل هو العقاب الذي نستحقه نحن عن خطايانا وهو يقدم لنا الغفران والخلاص. لكن الله يريد أن يقدم لنا المزيد، إنه يريد أن يغيرنا، يغير البشر والمجتمع والخليقة كلها إلى الصورة التي تُسِرُّه.

إذا كان الخلاص يعني فقط الغفران فإن المسيحيين لا يكونون بحاجة لأن يتغيروا ويتركوا طرقهم القديمة من زنى وتحزب وأنانية. لكن الخلاص الذي يقدمه الكتاب المقدس يتضمن أكثر من الغفران.

لنأخذ مثالاً على ذلك، قبل عشرين سنة كان زواج صديقي "آدي ومايكل بانكس Addie and Michael Banks" في خطر. كانا يكرهان بعضهما، والسبب الوحيد الذي ابقاهما معاً هو أن كل واحد كان يبغي تدمير الآخر. وذات يوم قبلت "آدي" المسيح مخلصاً، وتغيرت بصورة ملحوظة، وهذا قاد زوجها مايكل لأن يقبل المسيح أيضاً. لكن المسيح لم يُجرِ معجزة فورية بالنسبة لمشاكلهما. فالجروح القديمة سببت مشاكل ومعارك جديدة، لذلك يئس "مايكل" وشعر أن الله لن يُغير حالة زواجهما، فقال لآدي: "لماذا لا يذهب كل منا في طريقه؟".

إن كلام آدي هذا يبين حقيقة كتابية أساسية تتعلق بالخلاص: "إذا كان الله قد صالحنا معه ولا نستطيع أن يصالح بعضنا البعض، فإن هذه المصالحة تكون مزيفة". إن الخلاص الذي يتكلم عنه الكتاب المقدس هو ليس مجرد المصالحة مع الله، بل يجب أن يغير شخصية وأسلوب حياة المؤمن. الإيمان الحقيقي يؤدي إلى التوبة وإلى الابتعاد عن الخطية والحياة في قداسة. إن ما يريده الله واضح، وقد أكد عليه المسيح: "فكونوا أنتم كاملين كما أن أباكم الذي في السموات هو كامل" (متى ٥: ٢٤).

يعلمنا الرسول بولس بأن المسيح قد أصبح جسراً يصل بين الله القدوس والبشر الخطاة، لذلك فإن المؤمنين يستطيعون الآن أن ينظروا وجه الله القدوس الملئ بالحنان وأن يعاينوا مجده. وبينما نمارس هذا كل يوم فإننا "... نتغير إلى تلك الصورة عينها من مجد إلى مجد" (٢ كورنثوس ٣: ١٨). وعندما نُبقي أعيننا مثبتة على المسيح فإن الروح القدس يصلح في شخصياتنا ويغيرنا إلى شبه المسيح الناصري.

كما أن الخلاص لا يتعلق بكل فرد على حدة. لأن الكنيسة وهي جماعة المؤمنين يجب أن تكون المجتمع الجديد المفدي والذي يمثل السماء بصورة مصغرة. إن الرب يسوع المسيح " بذل نفسه لأجلنا لكي يفدينا من كل إثم ويطهر لنفسه شعباً خاصاً غيوراً في أعمال حسنة" (تيطس ٢: ١٤). إن الكنيسة الأولى حطمت حائط الخطية الذي خلق العداء بين الرجال والنساء، وبين اليهود والأمم، وبين العبيد والأسياد. فالجميع واحد في المجتمع المسيحي الجديد، والكل متحد في المحبة، كما بشر الرسول بولس (أفسس ٣: ١-٦). إن الخلاص كما يقول لنا الكتاب المقدس يخلق مجتمعاً مسيحياً جديداً، لكن عندما يأتي المسيح ثانية فإنه

سيحرر الخليقة التي تئن. "لأن الخليقة أيضاً نفسها ستعتق من عبودية الفساد إلى حرية مجد أولاد الله" (رومية ٢١:٨). كما أن سفر الرؤيا يعلن الحقيقة الرائعة، إنه عندما يأتي المسيح ثانية "تمشي شعوب المخلصين بنورها وملوك الأرض يجيئون بمجدهم وكرامتهم إليها" أي إلى أورشليم الجديدة (رؤيا ٢١: ٢٤). "ويجيئون بمجد الأمم وكرامتهم إليها" (٢٦).

نعم إذا فهمنا ما هو الخلاص فإننا لن نكتفي بنوال الغفران بل نطلب القداسة في حياتنا. كما إننا لن نكتفي بأن نكون ضمن مجتمع تلاميذ المسيح المفديين ونقبع في كنائسنا بل نخرج إلى العالم الذي شوهه إبليس ونغيره بقوة الله. إن الله الذي اختار أن يموت من أجلنا لن يسكت قبل أن يصلح كل ما خر بته الخطية.

إننا لن نحصل على السعادة إذا كنا نسعى ورائها. قال أحدهم "إن المسيح لم يأت لكي يمنحنا السعادة بل لكي يجعلنا قديسين"، وهذا صحيح. وحياة القداسة ليست مملة ومكدرة، لكن عندما يكون هدفنا في الحياة هو السعادة الشخصية والاكتفاء الذاتي، فإننا لن نحصد إلا الخيبة والشر بسبب أنانيتنا. بينما عندما نسعى وراء القداسة نحصل على السعادة.

لقد اكتشفت أنا وزوجتي هذه الحقيقة في حياتنا. فعندما ابتدأنا نطلب طاعة الله في زواجنا ابتدأنا نختبر فرحاً جديداً عميقاً. إن فهمنا لوصايا الله قد ساعدنا لنتغلب على الشر الذي كان يهدد حياتنا. لكننا اكتشفنا أيضاً أن السقوط والخطية والآلام، يتسللون دائماً إلينا وإلى العلاقات البشرية القوية والصحيحة. وعندما يحدث هذا فإن الحل الوحيد للمصالحة يكون من خلال عمل الله على الصليب.

لنعلم إنه لن تحصل مصالحة في الزواج، بدون الغفران. كما أنه لن يكون هناك مصالحة بين الوالدين وأولادهم أو بين الأعداء العنصريين إلا من خلال التوبة. في الحقيقة إن الخلافات تكبر وتتفاقم بدون الغفران. كما أن الظلم والانتقام والعنف يمتد وينتشر أكثر إذا لم يكن هناك غفران. بدون الغفران يتسع فم الهاوية وتنحدر البشرية المحطمة إلى الجحيم.

لكن من خلال الغفران فإن كل شئ يصبح كاملاً، إن في هذه الحياة أو في الحياة الأخرى. من خلال الغفران وعمل الروح القدس المغير فإن الأسر والمجتمعات المفككة تنتهي. من خلال المسامحة والتوبة والحياة التي فداها المسيح فإن التعصب العرقي والعداء الذي يمزق العالم ممكن أن يتوقف. من خلال الغفران والعدالة التي ينشرها المسيح فإن الانقسام الاقتصادي الذي يسبب المجاعات في دول معينة والترف الشديد في بلدان أخرى يمكن أن يفسح المجال لحياة أفضل في هذا العالم.

إنني لا أدّعي ولو للحظة بأن هذا الكمال ممكن أن يحدث في تاريخ البشرية. لن يحدث هذا إلا عندما يأتي المسيح ثانية ويجدد هذا العالم. إن المسيحيين الذين عرفوا خلاص الله يجب أن يعيشوا مثل المسيح في حياتهم الشخصية وفي كنائسهم وفي العالم. وعندها فإن ثمر هذا الخلاص ينتشر في المجتمع ويتسلل مثل الملح والنور.

إذا قبلنا الحقيقة الكاملة عن الله والخطية والخلاص نكون شعباً قوياً يستخدمه الله لتغيير هذا العالم. أما غير هذا فإننا نكون ضعفاء لا نستطيع أن نؤثر في العالم.

الجزء الأول

الفـــرديـــة

الفصل الثانى

التمثل بالمسيح

الصفة الثانية

المسيحى الحقيقى يحيا كالمسيح

معظم المسيحيين يقلدون العالم. إنهم غالباً مثل أصدقائهم غير المسيحيين، أنانيون، عنصريون، ماديون. إنهم يعبدون الغنى، ويرتكبون الزنى، ويطلّقون، ويفسدون البيئة مثل جيرانهم.

إن التمثل العلنى بالعالم قد أصاب المسيحيين منذ قرون عديدة. فقد خضنا حملات وحشية لقتل المسلمين، وجهزنا ردوداً كتابية لتبرير العبودية والعنصرية. كما أننا اشتركنا فى المذابح، وحتى فى مذبحة إحراق اليهود نفسها. وبينما يعيد العالم المعاصر صياغة مفهومه للسعادة على أنها إشباع الرغبات الشخصية،وتوفير المادة، إننا نكتب إنجيلاً جديداً عن الغنى وتحقيق الذات. والعالم يسخر من ريائنا، مقتنعاً بأن المسيحيين الذين يعصون الإله الذى يعبدونه ليس لديهم ما يقدمونه للعالم.

فكر ذات مرة المهاتما غاندى Mahatma Gandhi أعظم قائد هندى ظهر فى القرن العشرين جدياً فى قبول دعوة المسيح لأنه أحب يسوع الذى تكلمت عنه الأناجيل. لكنه عندما قارن كيف يعيش المسيحيون تعاليم يسوع، غيّر غاندى فكره نهائياً، وقال : " إننى أعتبر المسيحية الغربية فى ممارستها الفعلية منافية تماماً لمسيحية المسيح".

شكراً لله، إن هذا ليس هو كل القصة. فحتى فى أسوأ الأوقات، فهنالك بقية مؤمنة تجرأت أن تتحدى العالم من خلال تمثلها بيسوع المسيح. فمثلاً (كورى تن بووم) Corrie ten Boom خاطر بنفسه حتى الموت، وهو يدافع عن اليهود فى هولندا خلال الحرب العالمية الثانية. وقبله بقرن ونصف، عمل وليبر فورس William Wilberforce لفترة ثلاثة عقود حتى يقضى على الرق فى

الإمبراطورية البريطانية. واليوم تهتم الأم تريزا بكل لطف بالفقراء وتحامى عن الأجنة. والعديد من المسيحيين اليوم يلتزمون بعهود زواجهم بكل فرح، رغم جنون هوليوود.

لكن لماذا هؤلاء المسيحيون الذين يعيشون كما عاش المسيح - أقلية ؟ هذا السؤال يقودني إلى البكاء وحتى إلى الشك.

لقد كان لي كطالب جامعي صراعات سببها أسئلة عقلية متعلقة بالحق المسيحي. ورغم أن هذه الشكوك قد اختفت الآن، لكن يبقى هناك شك واحد وهو: الكنيسة. ماذا يعلل وجود كنيسة عاصية، فإن معظم المسيحيين لا يختلفون في سلوكهم اليومي عن أولئك غير المؤمنين ؟

لو كان الإنجيل فقط هو غفران الخطايا، فإن عار عصيان المسيحيين لا يهم. عندها نحصل على تذكرة سفر للسماء بصرف النظر عن كيفية حياتنا. لكن إنجيل يسوع هو الأخبار السارة عن الملكوت. لقد علّم أن يوم المسيح قد أتى. لذلك قال إن تلاميذه وبقوة الروح القدس يستطيعون أن يعيشوا المبادئ المضحية والمكلفة لهذا الملكوت الآتي. هذا يعني أن يعيشوا كما عاش هو.

هذه الدعوة الهامة لنتمثل بالمسيح بدل العالم، مسجلة في كل العهد الجديد. " كأولاد طاعة لا تشاكلوا شهواتكم السابقة في جهالتكم. بل نظير القدوس الذي دعاكم كونوا أنتم أيضاً قديسيين في كل سيرة. لأنه مكتوب كونوا قديسين لأني أنا قدوس ". (١ بطرس ١: ١٤-١٦).

وقد حرّض بولس الرسول المسيحيين الكورنثيين قائلاً : " كونوا متمثلين بي كما أنا أيضاً بالمسيح" (كورنثوس ١١: ١). كما أن بولس الرسول يحث أهل رومية المسيحيين لكي يتحولوا عن العالم، ويسلموا نفوسهم بالكامل وبدون أي شروط للمسيح. " ولا تشاكلوا هذا الدهر " (رومية ١٢ : ١-٢).

لقد حرص الرسل المسيحيين الأوائل على التمثل بالمسيح - وبخاصة بمحبته المضحية على عود الصليب - في الأسرة والكنيسة والمجتمع. " أيها الرجال أحبوا نساءكم كما أحب المسيح الكنيسة (أفسس ٥: ٢٥). إن يسوع هو مثال لجماعة المؤمنين، فبولس الرسول طلب من الفيلبيين المسيحيين أن يكونوا لطفاء، محبين ومتواضعين. " فليكن فيكم هذا الفكر الذي في المسيح يسوع أيضاً". (فيلبي ٢ : ٥). كما أن توجيهات الرسول بطرس للعبيد تشير إلى أنه حتى في السوق أن يكون، يسوع هو المثال. " لأنه أي مجد هو إن كنتم تلطمون مخطئين فتصبرون. بل إن كنتم تتألمون عاملين الخير فتصبرون فهذا فضل عند الله. لأنكم لهذا دعيتم. فإن المسيح

أيضاً تألم لأجلنا تاركاً لنا مثالاً لكي تتبعوا خطواته. (١ بطرس ٢ : ٢٠ - ٢١). إن العهد الجديد يشدد ويكرر ويأمر المسيحيين أن يتمثلوا بيسوع.

لكن مع هذا، فإن الكنيسة المعاصرة تفضل أن تقبل نصف يسوع. إنهم يقبلونه إما مثالاً أو وسيطاً، لكن ليس الاثنين معاً. البعض يحثوننا أن نتمثل بمحبته واهتمامه الاجتماعي، لكنهم ينسون صليبه. وآخرون يؤكدون على موته من أجل خطايانا، لكنهم يفشلون في أن يتمثلوا بأعماله. لكن المسيحية لا تكون قوية إلا عندما نقبل المسيح كله.

إن اتّباع المسيح ليس فكرة مجردة غامضة أو مبدأ فلسفياً سامياً. لكن اتّباع المسيح يعني أن نعيش مثل يسوع. وإذا كنا نصدّق العهد الجديد،ونفهم أن يسوع يتوق أن يرانا نحب القريب كما أحبه هو، كل يوم، بإصرار وبطريقة عملية. لقد كان يسوع مثالاً للخادم المضحي الذي يهتم بصورة خاصة بالفقراء والمتروكين. كما إنه كان يهتم باحتياجات البشر الروحية.

كل هذا يبدو غريباً على الآذان المعاصرة، وذلك لأننا لسنا معتادين على إنكار ذواتنا من أجل خدمة الآخرين. لكن يسوع أصر على أنه لا يوجد تلمذة دون إنكار للنفس. إن إشباع الرغبات الفوري هو أساس الحياة العصرية، لكن إنكار الذات المكلف هو أساس طريق يسوع. وعلينا أن نختار. " . من أراد أن يأتي ورائي فلينكر نفسه ويحمل صليبه ويتبعني. فإن من أراد أن يخلص نفسه يهلكها. ومن يهلك نفسه من أجلي ومن أجل الإنجيل فهو يخلصها ".(مرقس ٨ : ٣٤ - ٣٥).

لهذا السبب، مسيحيي اليوم هم لطفاء لكن غير مهادنين. إن مجرد فكرة إنكار الذات تزعج القلوب العصرية. إذ أنها تفضل الإشباع الفوري. هذا الموقف هو سبب كثرة وجود الطلاق والإجهاض. فصعب جداً ومكلف جداً أن نتعلم الخضوع في الزواج والاهتمام بالأطفال الذين لم يولدوا بعد. وهذا هو سبب الفضائح في وول ستريت Wall Street، وأيضاً التخريب في البيئة. بالإضافة إلى العجز المالي الذي نورثه لأحفادنا. نعم، إن ربح المال بطريقة شريفة وحكيمة يأخذ الكثير من الوقت، ونحن نريد أن نمتلك كل شئ حتى لو لم نكن نستطيع دفع ثمنه.

لكن يسوع عنده طريق أفضل، وهذا الطريق يقود إلى فرح أعمق وسعادة لا يمكن أن يوفرها المال ولا الجنس، ولكنه طريق يتخلله الصليب.

لقد رفض يسوع أيضاً أن يتبع عادات وتقاليد عصره بطرق أخرى. في الواقع، كان مخالفاً لعصره، حتى إن السلطات غضبت وقررت أن تقتله (لوقا ١٩ : ٤٥ -٤٧).

لاحظ الطرق العديدة التى كان فيها يسوع مختلفا :

* فقد قال يسوع للثوار الذين أرادوا أن يطيحوا بالمحتلين الرومان " أحبوا أعداءكم " (متى ٥ : ٤٤).

* وقد دعا الحكام الأقوياء الذين كانوا يحبون أن يسيطروا على رعاياهم لكى يكونوا قادة خادمين (متى ٢٠ : ٢٥).

* وحذر يسوع الأغنياء الذين يهملون الفقراء قائلاً إن عدم إطعام الجياع يقود للهلاك الأبدى (متى ٢٥ : ٤١).

* وأعلن يسوع للرجال الذين كانوا مسرورين بقانون الطلاق السهل بأن إرادة الخالق فى الزواج هو أن يتحد الرجل والمرأة بعهد أبدى.

هناك اختلاف يلفت الانتباه جداً، وهو أن يسوع كان يهتم بصورة خاصة بالفقراء والمحتاجين، فجزء رئيسى من إرساليته على هذه الأرض كان "... لأبشر المساكين... لأشفى المنكسرى القلوب لأنادى للمأسورين بالإطلاق وللعمى بالبصر وأرسل المنسحقين فى الحرية " (لوقا ٤ : ١٨). لقد مدح يسوع زكا لأنه أعطى نصف أمواله للفقراء. وقد حذر من أخطار الغِنى : " لأن دخول جمل من ثقب إبرة أيسر من أن يدخل غنى إلى ملكوت الله ". (لوقا ١٨ : ٢٥).

لقد أحب يسوع الأغنياء بقدر ما أحب الفقراء. وقد رحب بالجميع لكى يتوبوا وينضموا إلى جماعته. لكن عندما كان الأغنياء ينضمون، كان يسوع يتوقع منهم أن يتمثلوا به وبزكا، بأن يشاركوا أموالهم مع الفقراء.

وكان يسوع يهتم بنوع خاص بالبرص والزناة والمعاقين. بينما كان معظم معاصريه يبتعدون عن البرص، كان يسوع يلمسهم بلطف ويشفيهم. وبعض قادة الدين عزلوا المعاقين عن مجتمعهم الدينى. لكن يسوع علَّم وقال إن ملكوته هو من أجل " المساكين والجدع والعرج والعمى ". (لوقا ١٤ : ٢١).

هذا وقد تحدى يسوع موقف المجتمع بالنسبة للمرأة. فبالنسبة لمعاصريه، كان عاراً أن يظهر رجل مع امرأة فى مكان عام. وقد علم أحد الربين أنه من الأرحم إحراق نسخة من التوراة عن أن يسمح لامرأة بأن تلمسه، وهناك صلاة تستخدم كثيراً، يشكر فيها الرجال اليهود الله لأنهم ليسوا أمماً ولا عبيداً ولا نساءاً!!

لقد رفض يسوع وجماعته عداء الرجل للمرأة الذى استمر لقرون عديدة، وعامل المرأة بالمساواة. وقد ظهر مع نساء فى أماكن عامة (يوحنا ٤ : ٢٧) وعلمهن الدين (لوقا ١٠ : ٣٨-٤٢).

وقد سمح لامرأة يعرف الجميع أنها خاطئة،بأن تغسل رجليه بدموعها، وتمسحهما، بشعر رأسها، وتقبلهما، وتكسر قارورة الطيب عليهما، كل هذا فى مكان عام (لوقا ٧ : ٣٦ – ٥٠)!! وعندما تركت مريم دورها التقليدى فى طبخ الطعام، لكى تصغى إلى تعاليم يسوع، اعترضت مرثا. لكن يسوع دافع عن مريم.(لوقا ١٠ : ٣٨-٤٢). فليس صدفة أن يظهر يسوع أولاً بعد قيامته لنساء !!

لقد استمرت الكنيسة الأولى تتمثل بالمسيح بالنسبة لموقفها تجاه المرأة. وقد وعد الأنبياء بأنه عندما يأتي المسيح، سوف يتنبأ البنات والأبناء والنساء والرجال (يوئيل ٢ : ٢٨). وهذا حدث فى الكنيسة الأولى، فالنساء تنبأن (أعمال ٢١ : ٩ و١ كورنثوس ١١ : ٥) كما أنهن صححن اللاهوت للرجال. بعد أن تحررت النساء من قيود المجمع اليهودى، اشتركن بحماس فى خدمة العبادة في الكنيسة الأولى. حتى إن الرسول بولس افتخر بفرح أنه فى المسيح " ليس يهودى ولا يونانى، ليس عبد ولا حُر، ليس ذكرٌ وأنثى " (غلاطية ٣ : ٢٨).

حتى إذا كنت تعترض على قيادة المرأة فى الكنيسة لا تستطيع أن تتهرب من رسالة يسوع الواضحة بأنه لا يجب أن تعامل المرأة على أنها مواطن من الدرجة الثانية. هذا ليس تحزباً للحركة النسائية العالمية بل إنها المسيحية بحسب الكتاب المقدس.

هذا مدهش ومزعج للمجتمع ! فيسوع وجماعته الجديدة المكونة من نساء ورجال، أغنياء وفقراء، كانوا بالحق نوعاً جديداً من البشر، رفضوا أن يشاكلوا خطية هذا العالم.

هذه هى الشخصية التاريخية الثابتة التى يدعو العهد الجديد أن يقتفى أثرها كل المسيحيين. إن بولس الرسول يستشهد بالتحديد بهذا الرجل الناصرى عندما يعلن أننا " نتغير إلى تلك الصورة عينها من مجد إلى مجد " (٢ كورنثوس ٣ : ١٨).

لماذا ينظر المسيحيون الحقيقيون وجه الله ويرجونه لكى يصبحوا مشابهين لذلك الجليلى الذى عاش فى القرن الأول ؟ لأننا نعرفه. لأننا نعرف بالحق من هو، ولأننا نعرفه شخصياً.

إن المسيحيين يعلمون أن النجار الذى أتى من الناصرة هو أيضاً الأقنوم الثانى من الثالوث الأقدس، وهو ابن الله الوحيد. إن الذى شفى المرضى واهتم بالفقراء هو نفسه الكلمة الأزلي الأبدي الذى كان منذ البدء مع الله وكان هو الله (يوحنا ١ : ١). والذى تعامل مع

البرص والزناة هو نفسه الذى جعل النجوم فى الفضاء. والذى تعامل مع النساء بكل تكريم واحترام، وأصر على الوفاء فى الزواج، هو الكلمة الأزلى الأبدى الذى صار جسداً.

ونفس الرسل الذين يأمروننا أن نعيش حياتنا مثل يسوع، سجدوا له. هو الذى يجب أن تُحنى له كل ركبة ويعترف به كل لسان (فيلبى ٢ : ١٠-١١)، هو الذى " فيه سر (الله) أن يحل كل الملء "(كولوسى ١ : ١٩). لو كان نجار الناصرة مجرد معلم حكيم، لكان من حقنا أن نختار من نصائحه ومبادئه ما نشعر أنه يناسبنا. لكن بما أننا نعلم أنه ملك الملوك الحقيقى ورب الأرباب، فلا يسعنا إلا أن نجثو على ركبنا عابدين ومصلين من أجل القوة حتى نحيا كما عاش هو.

لو كنا نعرف عنه فقط، لوكنا نعرف مجرد معرفة أن الكلمة الأزلى الأبدى، يأمرنا أن نكون قديسين كما هو قدوس، فإن معرفتنا تكون قانونا مخيفاً. لكننا لا نعرف عنه فقط بل نعرفه معرفة حقيقية وشخصية. وبالإيمان، لنا معه علاقة شخصية حية. ونعلم أن هذا المثال الكامل هو الفادى الوافى الذى يغفر لنا عندما نخطئ. ونعلن مع بولس الرسول أنه يعيش الآن فى قلوبنا وعقولنا " فأحيا لا أنا بل المسيح يحيا فيَّ " (غلاطية ٢ : ٢٠). ونعترف بدهشة مفرحة بأن نفس القوة التى أقامت يسوع من الموت تعمل الآن في شخصياتنا الناقصة حتى تشكلنا لكى نشابه صورة رجل الناصرة (أفسس ١ : ١٨- ٢٦).

هل لاحظت صبياً وهو ينظر إلى بطل رياضة مشهور ؟ وبينما يشاهده، يحاول أن يقلده فى المشي والكلام وحتى فى الثياب. هكذا، بطريقة ما، علينا أن ننظر إلى يسوع، يسوع وحده، والروح القدس يساعدنا حتى نتمثل به.

فكر ماذا يحدث لو أن جزءًا بسيطاً من مسيحيي اليوم عاشوا مثل هذا الإنسان العجيب. إن تلك الزمرة الصغيرة الأولى المكونة من مئة وعشرين رجلاً وامرأة فعلوا هذا. وبقوة الروح القدس سعوا لكى يعيشوا كما عاش يسوع، وليس كالمجتمع الذى من حولهم، وعندما سألهم المتعجبون عن تفسير، شاركوهم الإنجيل بكل شجاعة. وهكذا تغير العالم.

ورغم مشابهة العديد من المسيحيين للعالم، لا تزال هناك أقلية شجاعة تسعى لكى تعيش اليوم مسيح الكتاب المقدس. وعندما يفعلون هذا فإن قوة قيامته تنتشر لتغير الأشخاص والجيران والمجتمعات. والأمثلة على ذلك موجودة فى كل مكان.

* فهناك رجل أعمال أسترالى ثرى يعيش مع الفقراء، وعرف كيف يقدم ٧٥ ألف قرض صغير، ليغير ويحسن من حياة ٣٧٥ ألف شخص خلال ثلاثين سنة فقط.

* وهناك قس من Denver يحث جماعة صغيرة من الطبقة المتوسطة لكي تنفصل عن العلمانيين، وتتحرك خارج أسوار الكنيسة لكي يبشروا ويهتموا بالمجتمع، وبعد أن كان عدد المجموعة مئة أصبح العدد ألفاً بعد عشر سنوات.

* وهناك قائد موهوب من الهند، متخرج حديثاً من جامعة كامبريدج، قرر أن يعيش ويعمل بين الفقراء حتى يقدم لهم إنجيل يسوع الكامل. وكانت النتيجة هي مؤمنون جدد، وبناء كنائس جديدة وخدمة لخمسين ألف شخص. عندما يعيش الناس ويعظون مثل المسيح، يتغير العالم.

إنني لن أنسى منظر الأم تريزا وهي تتكلم في أثناء الإفطار لاجتماع الصلاة القومي National Prayer Breakfast في واشنطن في شهر فبراير سنة ١٩٩٤. إنها امرأة صغيرة الحجم وحتى وهي تقف على منصة عالية، فإن رأسها لا يكاد يُرى من وراء المنبر. لكن رئيس الولايات المتحدة، وأعضاء قياديين من الكونجرس، وسياسيين لامعين من مختلف البلدان وآلاف من القادة من العالم أجمع، كانوا يصغون إليها بهدوء وانتباه، بينما كانت تتحدث عن الفقراء، وعن حقوق الإنسان. لم يكن كلامها فصيحاً، ومع هذا فقد كانت هناك قوة في كلامها، لأننا كلنا نعلم أنها تعيش كما عاش يسوع.

لقد صليت لعدة سنوات وبصورة منتظمة من أجل موهبة ممتلئة من الروح حتى أعمل وبصورة كتابية من أجل السلام والعدالة. ومنذ بضعة سنوات، وَسعت نطاق هذه الصلاة، وابتدأت أسأل الله من أجل موهبة ربط الرسالة الكرازية بالتغيير الاجتماعي.

لكنني اليوم، أصلي فقط لكي أصبح أكثر مثل يسوع، ولكي أتعلم كيف أساعد الكنيسة حتى تشبهه أكثر بقوة الروح القدس. وعندما أقضي وقتاً في التأمل في محضر الرب، غالباً ما يذهب تفكيري لما جاء في ٢ كورنثوس ٣ : ١٨. وأشعر بغمر من الفرح أنني أستطيع أن أنظر وجه رب الكون. وأحياناً أرجوه بدموع أن يغيرني يوماً بعد يوم لكي أشبهه أكثر فأكثر. كما أنني أطلب حكمة الروح القدس والقوة حتى أكون أداة تساعد الكنيسة لكي تشبه إلهنا أكثر.

ولكنني لم أصل بعد. وغالبا ما أفشل، لذلك فإنني افهم يا إخوتي وأخواتي من هم الذين يخذلونه. لكننا جميعنا نرتاح في رحمته.

بل اشتياقي العميق هو أن أكون ضمن دائرة التلاميذ الملتزمين الذين يظهرون مجده. وأعلم ماذا سيحدث عندئذ، فالنهضة تملأ الأرجاء، وغير المسيحيين سوف يقبلون الإيمان. والبيوت المحطمة سوف تختبر فرحاً وكمالاً جديدين. كما أن رغبته جديدة للعدالة والحرية والحياة والسلام سوف تخترق سراديب قوى الاقتصاد والسياسة، والعالم سيتغير، والملايين من

البشر سوف يختبرون الفرح العجيب، و مهما حدث الآن، سوف يرنمون إلى الأبد في محضر الرب المقام.

كل ما علينا أن نفعله هو أن نسمح ليسوع أن يكون مركز حياتنا وفوق الكل، علينا أن نتوق أكثر وأكثر أن نشبهه هو وليس العالم.

الفصل الثالث

تجديد فى الأسرة والزواج

الصفة الثالثة

المسيحى الحقيقى يلتزم بعهد الزواج ويقدم أطفاله على عمله

أريد أن أخبركم عن عمي جيس JESSE وزوجته التي أحبها ليديا.LYDIA فبعد خمس سنوات زواج سعيد حدثت لهما كارثة أسرية. ففي اليوم التالي لولادة ابنتهما الثانية تغير حال ليديا وأصبحت غير متزنة واختل عقلها. ولم تعد واعية لأى شيء يدور حولها. وأصبح من الصعب جداً على عمي "جيس" أن يعتني بها في البيت. أخيراً، وبعد سنوات عديدة من الصراع والألم، اضطر عمي ان يأخذها إلى مستشفى للأمراض العقلية في هاملتون بأونتاريو. .Ontario. كان يظن أن زوجته ستتحسن بعد فترة لذلك كان كلما ذهب لزيارتها في عطلة نهاية الأسبوع يسأل الأطباء عن مدى تحسنها. وذات يوم أعلن له الطبيب المتخصص الحقيقة " إن زوجتك لن تتحسن، أنصحك أن تعود إلى منزلك وتبدأ حياتك من جديد. اعتن بابنتيك وانس هذه المرأة تماما." فأجابه عمي:" يا دكتور، سأعود إلى البيت وأعتني بابنتي لكنني لا أستطيع أن أنسى ليديا، إنها جزء مني ".

وهكذا، ولمدة ثلاثين عاما تقريبا، كان "جيس" يقود سيارته كل أسبوعين أو ثلاثة أسابيع لمدة ساعتين حتى يزور المرأة التى وعد أن يحبها إلى أن يفصلهما الموت تحت أى ظرف.

ويقول "جيس": " كانت ليديا عادة تسر أن تراني، لكن في بعض الأوقات كانت تقول لي " أتمنى أن تنكسر رقبتك وتموت وأنت في طريقك إلى البيت " وعندئذ كنت أفكر وأقول " ماذا افعل، لا فائدة من زيارتها بعد الآن " لكنني لم أكن أستطع نسيانها، وبعد أسبوع أواثنين كنت أعود لزيارتها فألقى منها رد فعل مختلف تماما.

لقد ظل "جيس" لسنوات عديدة يصلي ويأمل أن يشفي الله زوجته ويقول " إنني لا أعرف لماذا لم تشف. واعتبر هذا أحد أسرار الحياة".

في سنة ١٩٥٣ اقترح الأطباء إجراء عملية لاقتطاع جزء من المخ وذلك لتهدئة هيجانها. وفي اليوم التالي من إجراء العملية رآها عمي وفرح جدا بالتغيير الذي طرأ عليها. فلقد سألته

عن البيت وعن أشياء أخرى لم تذكرها منذ سنوات. أحضرها عمي إلى المنزل لفترة أسبوعين لكنها كانت تخرج من البيت وتهيم على وجهها لمدة ساعات حتى إنها ذات يوم ذهبت إلى مزرعة والدي التي تبعد عن منزلهما حوالي أربعة أميال. وكان بعض الناس يخافون منها. وهكذا ذهب والدي مع عمي وأعاداها إلى المستشفى.

بعد عدة اشهر عاد بها "جيس " مرة أخرى إلى المنزل. وكانت حالتها أفضل هذه المرة لأن الأطباء توصلوا إلى علاج متوازن بعد عدة تجارب ومحاولات. نعم لقد عادت ليديا إلى البيت بعد تسعة وعشرين عاماً.

كان مظهرها المترهل وعدم إدراكها للأمور الروحية مصدر ألم لعمي، لم تكن ليديا المرأة التي عرفها قبلاً لكنها من جهة أخرى بدت متعاونة ومقبولة. وبقي "جيس" يعتني بحبيبته السابقة لمدة ثلاث سنوات، وفي يوم خميس مرضت ليديا وبعد أيام قليلة انفجرت الزائدة الدودية في بطنها. إنها لم تشعر بألم الزائدة قبل انفجارها وذلك بسبب العملية التي أجريت لها في المخ. وبينما هي على فراش الموت قالت لجيس: " هل تصلي من أجلي؟" ويقول عمي:" إنني واثق أنها كانت مؤمنة قبل أن يصيبها المرض العقلي. لكنها خلال السنوات الثلاث الأخيرة لم تظهر أي اهتمام روحي، لذلك عندما طلبت مني أن أصلي من أجلها لبيت لها طلبها، في اليوم التالي توفيت. لقد شعرت أنه كان هذا وقت الرب لكي يأخذها إليه. وقد مر كل شئ بسلام".

كنت أبكي وأنا استمع إلى قصة زواج عمي وسألته:" هل كنت تشعر بغضب تجاه الله؟" فأجابني:" في البداية فقط. كنت أقول، هذا ليس عدلا لأنها كانت شابة في التاسعة والعشرين من عمرها عندما مرضت. لكن لم يفدني هذا بشيء. طوال تلك السنوات لم أشعر أنها حملا أريد أن أتخلص منه. لقد أحببتها وعملت كل ما أستطيع عمله".

وسألته:" هل تظن أنه من الصعب في أيامنا هذه أن نتصرف كما تصرفت أنت منذ ثلاثين عاما،لأنه في ذلك الوقت كان الطلاق نادرا، أما في يومنا هذا فإن الأزواج يطلقون زوجاتهم لأسباب بسيطة؟؟ فأجابني عمي "جيس" بهدوء: " أنا لا أستطيع أن أفهم ماذا يحدث في هذا العصر. لقد اخترت أنا هذه الزوجة بمحض إرادتي، فلماذا أغير رأيي بعد عشر سنوات؟ " فقلت له:" لقد عشت حياة لم تكن في الحسبان " فأجابني " نعم، فعندما أخذتها أول مرة إلى المستشفى كنت أظن أنها ستشفى بعد ثلاثة أشهر. لكن هذا لم يحدث. إننا يجب أن نسير مع الرب كل يوم بيومه."

عندما اقترن عمي بالفتاة التي أحبها قطع على نفسه عهداً أمام الله أن يعيش معها كل حياته تحت أي ظرف. وقد ساءت الظروف لكنه بقي محافظاً على الوعد الذي قطعه، وعاش حياته كل يوم متكلاً على نعمة الله.

لكن عالمنا اليوم يبدو مختلفاً. إن الزنى يقتل العديد من الزيجات. في الولايات المتحدة نفسها نصف الزيجات الحالية سوف تنتهي بالطلاق. وعدد الرجال والنساء الذين يقيمون علاقات بدون زواج يتزايد بسرعة. إن ثلث عدد الأطفال اليوم في الولايات المتحدة يولدون من أمهات ليس لهن أزواج. وأقل من خمسين بالمائة من الأطفال في الولايات المتحدة سوف يعيشون سني طفولتهم برفقة الأب والأم معاً. إن المأساة تهدد بيوتنا بسبب الفساد والأذية. نعم إن ما نفعله في أولادنا لم يحدث من قبل في تاريخ البشرية.

تؤكد الأبحاث العلمية في يومنا أن الخالق كان على حق. فالأطفال يحتاجون إلى والديهم، إنهم يحتاجون إلى الأب والأم معا. إن أطفال المطلقين والأطفال الذين لديهم الأب أو الأم فقط يتألمون.

في مقالة نشرت حديثا في مجلة أتلانتنا الشهرية ATLANTIC MONTHLY قدمت الكاتبة باربارا دافووزرهيد BARBARA DAFOE WHITEHEAD هذه الإحصاءات المدهشة:

إن احتمال حالات الفقر عند الأطفال الذين يعيشون مع الأم أو الأب فقط هي أكثر بستة أضعاف. ومن المتوقع أن يبقوا فقراء لفترة أطول. إن ٢٢٪ من الأطفال الذين يعيشون مع الأم أو الأب فقط سوف يعيشون في فقر لسبع سنوات من طفولتهم أو أكثر. بينما النسبة في الأطفال الذين يعيشون مع الأب والأم معا لا تزيد عن ٢٪. إن أطفال الوالد الواحد يصابون بالمشكلات السلوكية والعاطفية مرتين أو ثلاث مرات أكثر من أقرانهم الذين يعيشون مع الوالدين معا. وهناك احتمال أكبر في رسوبهم في الثانوية العامة، وأيضا في حدوث حمل خلال سني المراهقة، وفي إدمان المخدرات، وفي التعدي على القانون. العديد من الأطفال الذين ينشأون ضمن أسر مفككة يواجهون صعوبة في إقامة علاقات حميمة أو زواج ثابت أو وظيفة دائمة.

إن مجتمعنا لن يصمد طويلا أمام هذا التدمير المؤلم الذي يحدث داخل الأسرة. أتذكر أغنية جميلة ألفها كلايد هولنجر CLYDE HOLLINGER عنوانها "لا يجب أن تخاف العاصفة"، وقد كتبها إلى ابنه الذي كان ذات ليلة مرتعبا من العاصفة ومن صوت الرعد. ويخبرنا "كلايد" كيف أخذ ابنه بين ذراعيه ووعده قائلا: "يا بني، لا يجب أن تخاف العاصفة، سوف أكون بقربك في كل وقت، ثق بكلامي". إن نصف آباء وأمهات هذا العصر لا يقدرون ان يغنوا هذه الأغنية

ويدركون ما يقولون. فأنت لا تقدر أن تعد طفلك أنك ستكون دائماً بقربه إذا كنت تضع احتمال الانفصال عندما تظهر في زواجك الصعوبات.

لو أن مسيحيي هذا العصر يتبعون تعاليم المسيح في الزواج والعلاقات الجنسية بدل اتباعهم العالم لكانت الأسر المسيحية تقف ثابتة وبصورة مدهشة ورائعة. وعندها تكون بمثابة غرفة ينبعث منها النور والدفء في مدينة باردة تهب عليها ريح مثلجة. لكن بكل أسف يعصى المسيحيون سيدهم، ويكسرون عهود الزواج مثل جيرانهم غير المسيحيين.

لا أريد أن تسبب كلماتي هذه الآلام للقارئ، لكنني في الحقيقة أبكي على غيظ وعذاب أولئك المطلقين. أنا أعلم أن التجارب والصعوبات تهدد كل زواج، كما أنني أعرف العديد من الأزواج الذين يتألمون بطريقة مروعة من شركاء حياتهم. وإنني أؤمن أن المجتمع المسيحي يجب أن يساند هؤلاء الأزواج الذين ينفصلون لفترة ما عن شركاء حياتهم المؤذين. لكن مهما كان نوع خطيتنا لنثق أن الله يشتاق أن يسامح من يأتي إليه بتوبة حقيقية.

لكن المشكلة هي أن العديد من المتزوجين يستسلمون بسرعة، ولهذا كثر الطلاق جدا. في إحدى الأفلام الجديدة يحاول أب أن يفسر لابنه لماذا سيطلق من والدته فيقول له: "غالبا ما يحدث إلا ويلتقي الأب والأم في أمور كثيرة في حياتهما معا، لذلك يأخذ كل منهما طريقا منفصلا." ويأتي رد الابن ليمثل موقف ملايين الأطفال مثله فيقول: " لكن لماذا لا يبقيان في نفس الطريق دون أن ينفصلا؟"

كيف وصلنا إلى هذه المأساة؟ ترى ما الأسباب التي أدت إلى زيادة نسبة الطلاق في تاريخ البشرية؟ هناك العديد من الأسباب. فأمور كثيرة تجمعت لتصعب اليوم استمرار الزواج. هناك أفكار جديدة تبث في كل مكان من خلال الإعلام وتقلل من أهمية الاستقامة الجنسية وعهود الزواج. حتى إن المفكرين المعاصرين يؤيدون النظرية النسبية معلنين أنه من الممكن أن يكون مبدأ أخلاقي ما بنفس جودة مبدأ أخلاقي آخر. هذا وإن الثورة الجنسية التي حدثت في الستينات نشرت سمها في كل مكان. فالعفة قبل الزواج ا ستهين بها ووصفت أنها صوفية. والحب قبل الزواج والزنى العلني ما هما إلا أسلوبان من أساليب الحياة التي يحق لنا الاختيار منها، ويمكننا أن نتحاشى أي ضرر من خلال طرق الوقاية العديدة في الممارسات الجنسية. هذا المبدأ العصري شجع كل فرد على إشباع احتياجاته. فإذا لم يعد شريك حياتك يشبع احتياجاتك عليك ان تبحث عن شخص آخر. إن الوعي بالاحتياجات الشخصية أهم من عهود الزواج والمسئوليات العائلية.

هناك تغيرات أخرى ابتدأت تحدث أيضا. فهناك تغير اقتصادي قوي يسرى من خلال هذه الثورة في القيم. لقد عشت حداثتي في مزرعة حيث كان يعمل والديّ معا ويربيانني معا كل أيام الأسبوع. كان هذا هو أسلوب الحياة المعروف، إلى أن جاءت الثورة الصناعية في القرن التاسع عشر، وعندها انفصل العمل عن الأسرة. وأصبح الرجال يتركون زوجاتهم في المنازل لتربية الأطفال، ويذهبون إلى مصانعهم ومكاتبهم التي تبعد أميالا عن البيت. إن هذه الصورة أن يكون الرجل عائلا لأسرته والأم مربية للأطفال، هو أسلوب الحياة الجديد الذي سببته الثورة الصناعية. وأهم خسارة أحدثها هذا التغيير هو أن الأب خسر فرصة أن يربي أطفاله وأن يقيم معهم علاقة قريبة.

العلم الحديث والتكنولوجيا عملا على هدم كيان الأسرة بطرق أخرى أيضا. فقبلا كان الناس يعيشون في مجتمع واحد كل أيام حياتهم بالقرب من أقربائهم وأصدقائهم الذين كانوا سندا لكل زوجين في حياتهما الزوجية. لكن اليوم بسبب تطور التعليم والتخصص العلمي وسهولة التنقل ابتدأ الناس يتنقلون من مكان إلى آخر في بلدهم وحتى خارج بلدهم وذلك ليجدوا الوظيفة التي تتلاءم واختصاصاتهم. وفي مكانها الجديد لا تجد الأسرة السند الاجتماعي الذي تحتاجه من أجل المحافظة على عهود الزواج والتضحية من أجل تربية الأطفال. وفي نفس الوقت نلاحظ أن المطاعم التي تقدم الوجبات السريعة، بالإضافة إلى التلفزيون ساعدهم على عدم وجود لقاءات عائلية يومية حول المائدة.

كما أن وفرة المادة التي سببتها الثورة الصناعية أغرتنا أكثر. فالناس أصبحوا مشغولين بالسلع والمنتجات والرفاهية وأهملوا العلاقات الشخصية. العمل والحصول على المال أصبحا أهم من قضاء الوقت مع شريك الحياة ومع الأطفال.

لقد أصبح صعبا في يومنا هذا أن يحافظ الإنسان على حياته الأسرية وعلى وفائه في الزواج، لكنه ليس مستحيلا. في الحقيقة إذا أردنا لمجتمعنا البقاء علينا أن نفعل المستحيل حتى نحافظ على الأسرة والزواج. ولكي نفعل هذا علينا أن نتحدى مبادئ مجتمعنا النسبية وسهولة الطلاق والانحراف الجنسي. كما علينا أن ننبذ المادية ونسعى حتى يكون التطور الاقتصادي سببا في بناء الأسرة وليس في تدميرها.

وبما أننا نعلم أن الشيطان يستخدم أسلحة قوية من أجل تدمير الأسر فعلينا أن نتعاطف مع الأشخاص المهزومين المنكسرين. يجب علينا أن نقف معهم ونشاركهم بكاؤهم ونكون رسل الله اللطفاء. وليرحم الله كل إنسان لم يختبر الطلاق، لكنه يتكبر ويظهر بره الذاتي، ويحكم على

الآخرين. إذا كنا صادقين مع أنفسنا فإننا نعلم أننا كلنا معرضون لهذه التجربة وكل واحد منا جرب يوما وكاد أن يسقط. لكن لا يجب أن نفشل، لأننا نثق أن الإيمان المسيحي يستطيع أن يحفظ الأسرة والحياة الزوجية، هذا إذا قبلنا أن نسلم ذواتنا كليا وبدون أي شروط لله.

يوجد ثلاثة حقائق كتابية رئيسية: فكلمة عقد المرتبطة بالزواج يجب أن تبدل بكلمة عهد أو ميثاق. والوعي للاحتياجات الشخصية يجب أن تستبدل بالتضحية وصلب الذات. والفردية يجب أن تستبدل بالجماعة. عندها فقط تستطيع الكنيسة أن تقدم المساندة القوية للأسرة والزواج. هذه الثلاثة - العهد والصليب والمجتمع المسيحي هم العناصر الرئيسية التي تساعد على استمرار الزواج المسيحي.

سأتكلم أولا عن العهد. ما هو المفهوم الكتابي لعهد الزواج؟ إن ما ورد في تكوين الأصحاح الثاني وإنجيل متى ١٩ يساعدنا حتى نفهم هذا المفهوم. يوجد في تكوين ٢ قصة خلابة، فآدم لم يكن مكتفيا بالمزروعات والحيوانات التي وكله الله عليها. لذلك أحضر له الله حواء عظم من عظامه ولحم من لحمه،فقال آدم: هذا ما كنت أتمناه !" وكان فرحهما ببعضهما البعض رائعا، وأصبحا واحدا. ويساعدنا متى ١٩ أن نفهم بوضوح ما كان يكلمنا به الله في تكوين: إن الزواج التزام لمدى الحياة. ففي متى ١٩ يجيب يسوع على سؤال يتعلق بالطلاق بأن يقتبس الآية الواردة في تكوين ٢: ٢٤، بأن الاثنان يصيران واحدا وفي النص اليوناني يصيران جسدا واحدا، ثم يؤكد يسوع في العدد السادس ويقول "ما جمعه الله لا يفرقه إنسان"، نعم لا يجب على أي إنسان أن يمزق هذا العهد المقدس الذى يوحد حياتين إلى الأبد .. إن الزواج ليس من أجل المناسبات السعيدة فقط بل من أجل الأوقات الصعبة أيضا. فالزواج يجب أن يستمر في الغنى والفقر، في المرض والصحة، في الحالات الجيدة والحالات السيئة، حتى يفصله الموت.

إننا لن نستطيع أن نفهم تعليم المسيح هذا بعمق إلا إذا عرفنا حالة المجتمع الذي كان يعيش فيه يسوع. لقد كان الطلاق سهلا جدا بالنسبة للرجل في فلسطين في القرن الميلادي الأول. فالقانون الموسوي الوارد في تثنية ٢٤: ١ أعطى الرجل حرية كبيرة في أن يترك زوجته. لكن المسيح ينحي القانون الموسوي جانبا ويعود إلى خطة الخالق الأصلية. قال: ... إن موسى من أجل قساوة قلوبكم أذن لكم أن تطلقوا نساءكم ولكن من البدء لم يكن هكذا (عدد ٨). نعم يجب على تلاميذ يسوع أن يلتزموا بعهود الزواج كما قصد الله في البدء وهم قادرون على ذلك.

ونقول بكل صراحة إن يسوع سهل مبادىء وقوانين زمانه، لكنه في قضية الطلاق عمل العكس تماما. ولكي نتأكد من هذا نقرأ في عدد ٩ أن يسوع سمح بالطلاق في حالة واحدة فقط وهي حالة الخيانة الزوجية. إن تعليم يسوع واضح وصريح ويرفض الطلاق في أي حالة من الحالات التي تؤدي إلى الطلاق بين الأزواج في يومنا هذا.

في يومنا هذا توجد جماعات كثيرة في الكنيسة تعصى تعاليم يسوع لأن مستواها رفيع جدا. لكننا لن نستطيع أن نستعيد وضع الأسرة الصحيح، إلا إذا عدنا لخطة الخالق. هل الأزواج مستعدون اليوم أن يتبعوا يسوع وينبذوا العالم؟ لن يكون هذا سهلا، لكن هذه هي الطريقة الوحيدة لكي نحافظ على الأسرة ونستعيد الفرح العميق في الزواج. لا ننكر أنه ستمر أوقات تعصف فيها رياح الحياة بالزواج وكأنها عاصفة هوجاء. في تلك الأوقات أفضل حماية للزواج هو أن يكون كل شريك متعهد ودون أي تحفظ أن يبقى مع شريكه " حتى يفصلهما الموت ". إذا كان هذا واضحا أمامنا نستطيع أن نبكي ونصلي ونصارع ونثق أن الله سوف يخرجنا من هذه الأزمة سالمين.

إن للعالم بديل رخيص جدا لعهد الزواج المسيحي، ويدعى العقد، وأحيانا يكون هذا العقد مؤرخا. هناك بعض الأشخاص الذين يجهزون هذا العقد بأنفسهم. فيكتبون كل ما يتفقون عليه، وإذا أخل أحد الطرفين بالاتفاق وفشل في أن يطبق ما جاء بالعقد يلغى. ونحن لا نعترف بصراحة أن هذا عقدا. لكننا نقول "لأجرب إذا كانت الأمور ستسير على ما يرام. لأجرب إذا كان هذا العقد سيشبع احتياجاتي" لكننا في الباطن نقول إن هذا العقد هام جدا بالنسبة لنا وإذا لم يلب الطرف الآخر احتياجنا، أو لم نستمتع معه فإننا سوف نلغي هذا العقد.

إن عقد الزواج المحدد في هذا المجتمع ليس عهدا مسيحيا. إنه بديل رخيص من الشيطان. إنه لعبة مخادعة. وبالطبع فان الشيطان يبيعنا إياها بكلامه المعسول ووعوده الخلابة. يقول لنا بهذه الطريقة نكون أحرارا. ويحاججنا قائلا "المجتمع يتغير دائما، وأنت تتغير ، فكيف تستطيع أن تلتزم بعهد أبدي؟". إنني أريد أن أصرخ في أولادي وأولادنا جميعا:" لنحذر ولا ننخدع بهذا البديل الذي يقدمه الشيطان" لنختر العهد الثابت الذي نقطعه أمام الله دون العقد المؤقت. وباسم الله لنختر أزواجا مسيحيين يشاركوننا هذا المفهوم الكتابي، وعندها لنلتزم بوعودنا مهما قال العالم أو فعل مثل عمي "جيس". هذا هو الأساس المتين الوحيد الذي يجلب لنا الفرح الحقيقي من خلال خضوعنا وبذلنا لأنفسنا بمحبة وفرح. نعم إن العهد الذي نقطعه أمام الله وبحسب الكتاب المقدس هو أساس الزواج المسيحي.

أتأمل ثانية في الصليب. أي شخص مضى على زواجه ولو عدة شهور فقط يعلم أنه يوجد فرح وألم أيضا في الزواج. نحن جميعنا خطاة أنانيون ومتكبرون. إننا نؤذي بعضنا البعض، ولأننا حمقى نحاول بعدها أن نلوم الطرف الآخر أو نتغاضى عن خطئنا ونرفض أن نقدم الاعتذار. وحتى في أفضل الزيجات يوجد هذا الإيذاء العنيف. لهذه المشكلة حل واحد لكنه حل مكلف. هذا الحل نجده في قلب الإنجيل، إنه الصليب. نعم الغفران من خلال الصليب مكلف جدا.

نقرأ في أفسس أنه على الرجال أن يحبوا نساءهم كما أحب المسيح الكنيسة (أنا متأكد أن المسيح يريد أن الزوجات يحببن أزواجهن أيضا) ترى كيف أحب المسيح الكنيسة؟ لقد مات من أجلها. لقد وضع جانبا الإشباع الذاتي المؤقت واحتمل عذاب الصليب الروماني. لماذا؟ ليس لأننا صالحون، بل لأنه أحبنا حتى إنه قدم نفسه ذبيحة ليعطينا الغفران الكامل.

هذا الحب المكلف ضروري جدا حتى يدوم الزواج ويكون زواجا سعيدا. إن الخيانة والغضب والخطية سوف يهاجم كل زواج، في ذلك الوقت يوجد أمامنا خيار واحد جيد وخيارين سيئين كما رأينا في الفصل الأول. أول خيار سيئ هو أن نسمح للغضب والكراهية أن يسيطرا علينا، لأن هذا سوف يحطم الزواج. والخيار الثاني السيئ هو أن نتجاهل وجود أي مشكلة، ونتظاهر بالنسيان وبعدم الاكتراث. إن التظاهر والتسامح لن يؤديا إلى المصالحة ولن يرجعا العلاقة الطيبة.

الغفران المكلف هو الخيار الوحيد الفعال. وهذا هو طريق الصليب. إن الألم والخيانة والأنانية والخطية يؤثرون جدا على الزواج، ويجرحون بشدة، ويمزقون شريكي الحياة. لكن الغفران المكلف يتعامل مع هذه الأذية في الزواج كما يتعامل الله مع الخطية. الخطية خاطئة جدا، لكن على الصليب حمل الله العقاب الذى نستحقه لأن الله أحبنا رغم طبيعتنا الخاطئة. هذا الغفران المكلف هو الطريقة الوحيدة من أجل زواج دائم سعيد. عندما تحدث خيانة يجب أن نحل المشكلة. يجب أن نواجه الألم الذي يعصر قلوبنا بصورة كاملة. ويجب أن نتوب ونعترف بالخطية. ثم بعد وقت وبنعمة من الله نستطيع أن نقول: "لأنني أحبك فإنني أقبل الألم الذي سببته لي خيانتك وإنني أغفر لك." هذه هي الطريقة الوحيدة حتى يعود الأزواج والزوجات ليختبروا المصالحة والفرح بعد الخيانة. فأنت لا تستطيع أن تتظاهر بأنك لم تتأذ، كما أنك لا تستطيع أن تهرب مما حدث. ليس بمقدورك إلا أن تقبل هذا الألم ثم تغفر. وبينما يتشارك الغفران مع التوبة في إعادة العلاقة على ما كانت عليه يحدث الشفاء والمصالحة.

ترى كم مرة نحتاج أن نحمل هذا الصليب في حياتنا الزوجية؟ كما أحب المسيح الكنيسة هكذا يجب على الأزواج أن يحبوا زوجاتهم وعلى الزوجات أن تحببن أزواجهن. كم مرة يسامحك المسيح؟ سبعون مرة سبع مرات. وكم مرة سامحك المسيح في السنوات الماضية؟ هكذا وبهذا المقدار علينا أن نسامح أزواجنا وزوجاتنا.

لكن هذا لا يعنى أن يتغاضى شريك الحياة عن التصرفات الخاطئة وسوء المعاملة التي تحدث بصورة متكررة. وبدل أن نصبح سلبيين لا حول ولا قوة لنا علينا أن نواجه الخطأ. وعندما يصبح الانفصال أمرا ضروريا يجب على الإخوة المسيحيين أن يقفوا مع الزوجين ويساعدوهما على الصفح والشفاء ومن ثم على المصالحة.

إن الغفران المكلف له علاقة وثيقة بالعهد. الصليب يعنى عدم الاستسلام. فنحن طوال حياتنا يقف أمامنا المسيح مقدما لنا الغفران، والله لا يقول " لقد سئمت منك. لقد سئمت من فشلك وجهلك وعدم أمانتك وخطيتك." لكن طوال حياتنا يقول لنا الله " أريد أن أهبك فرصة أخرى". إذا اخترنا أن نقبل طريق الصليب في حياتنا الزوجية،وأن نحب شريك حياتنا كما أحب المسيح الكنيسة، فيجب علينا ألا نستسلم حتى في الأوقات الصعبة والمؤلمة.

لكنني أضيف أني لا أقدم طريقة حياة ملآنة بالعذاب والألم، ومع هذا أقول بأنها الطريق الوحيد من أجل زواج سعيد، نعم إنها الطريق الوحيد من أجل الشفاء والفرح. وبما أن الفشل والألم يصيبان كل زواج، فإن أفضل طريقة للمصالحة هي من خلال الغفران المكلف. نعم إن الصليب يجب أن يتوسط كل زواج مسيحي.

ثالث عنصر هام يحتاجه الزواج المسيحي هو المجتمع الكنسي الحقيقي. من الممكن أن يقول الشباب:" إن الارتباط مخيف. والمتطلبات كثيرة جدا." هذا صحيح. لكن صحيح أيضا أن المكافآت أكثر بكثير. وعندما يبدو الارتباط لمدى الحياة صعبا يتذكر المسيحيون أنه يوجد من يساندهم. فبالإضافة إلى حضور الروح القدس اليومي في حياتهم، هناك محبة ومساندة الكنيسة. فكل الإخوة والأخوات في الكنيسة مستعدون لمساعدتنا. لهذا السبب نقيم مراسم الزواج في الكنيسة، فعهد الزواج الذي نقطعه ليس مجرد عهد شخصين في حضور الله لكن يحضره أيضا إخوتنا وأخواتنا في المسيح، ومن خلال تواجدهم يعلنون استعدادهم لمساعدتنا في الحفاظ على عهد الزواج.

إذا تألم عضو في جسد المسيح فكل الأعضاء تتألم. وإذا فرح عضو فجميع الأعضاء تفرح (١ كورنثوس ١٢: ٢٦). هذا يعني أن يشترك الأعضاء في جسد المسيح في حفل الزواج، ويعني أيضا

أن يساندوا بعضهم في أوقات الضيق. هذا ما نعد به كل عروسين عندما نحضر عرسهما. نعم إننا مسئولون عن زواج بعضنا البعض. وإذا فشل زواج عضوين فإن كل الجماعة تكون مسئولة عن هذا الفشل. ويجب أن نسأل نفوسنا هل صلينا من أجلهم أم ثرثرنا؟ هل بكينا معهم ومن أجلهم أم سخرنا منهم؟ هل حاولنا أن نساعدهم أم بقينا صامتين؟ هل قدمنا لهم المساعدة حتى وإن كانت مكلفة أم تركناهم في صراعاتهم؟

هناك العديد من الطرق التي تستطيع من خلالها الجماعة المسيحية أن تساعد على تقوية روابط الزواج والأسرة. شبابنا وأطفالنا في حاجة إلى تعاليم مختصة بالالتزام في الزواج والفرح والسعادة الذي يجلبه هذا الالتزام. أتمنى أن تعلن كل كنيسة بأنها لن تسمح لأحد بالزواج قبل أن يكون قد حضر ولعدة أشهر الصفوف التي تقدم المشورة المختصة بالزواج. بالإضافة إلى هذا نحن بحاجة إلى مجموعات مشورة بعد الزواج، حتى نشارك الآخرين ما يحدث في زواجنا من صراعات ونشجع بعضنا البعض في طلب المشورة والمساعدة عندما يحتاج الأمر.

لكن من السهل جداً أن نتكبر ونرفض هذا. لقد باركنا الله أنا وزوجتي أربوتس بزواج سعيد طويل الأمد. وكما ذكرت في الفصل الأول مر علينا وقت صعب كنا نحتاج فيه لمساعدة مختصة. وأعترف أن كبريائي منعني من طلب المساعدة لفترة طويلة. كنت أعرف أزواجاً كثيرين محتاجين للمساعدة وفي الحقيقة كنت أشجعهم أن يطلبوا المشورة، لكن ليس لي أنا. وأخيراً وبعدما تألمت كثيراً وافقت.وأشكر الله من أجل تلك الشهور الستة من المشورة الزوجية مع طبيب مسيحي موهوب.

الشيطان كذاب شاطر. إنه يقول بأن الزيجات كانت تدوم في الماضي لأنه لم يكن هناك خيار آخر. كان الزوجان يضطران للمكوث مع بعضهما رغم انفصالهما وكراهيتهما لبعضهما البعض وذلك بسبب التقاليد. يوجد بعض الصحة في هذا، لكن المجتمع المسيحي يقدم حلاً لهذه المشكلة. أنا لا أؤمن أن الله يريدنا أن نتألم باستمرار في زواجنا، ولهذا فإن الكنيسة التي تفهم بحق معنى الجسد الواحد في المسيح ستجد طرقاً لكي تساعد الأزواج في معالجة الألم والفشل والأذى الذي يسببه شريك لآخر. ولا يجب أن تنتقد الكنيسة العالم وتتظاهر أنه لديها حلاً للخيانة الزوجية وللمأساة التي نراها من حولنا إلا إذا كانت تستثمر الكثير من المال والوقت لكي تساعد أعضاءها حتى يكتشفوا فرح وكمال الحياة الزوجية. والكنيسة اليوم تعلم الطريق الصحيح. إننا نعلم أن الزواج الكامل الدائم يبدأ بعهد الزواج الكتابي، ويتجدد بالغفران المكلف، ويتقوى باحتضان ومساعدة الإخوة والأخوات في المسيح.

حتى الآن لم أتكلم عما يمكن أن يفعله المسيحيون ضمن مجتمع المؤمنين. لكن المجتمع العام يساعد أيضاً في تقوية روابط الأسرة والزواج. فكر كم سيتغير الوضع لو أن الأشخاص الذين لهم تأثير في مجال الفن والتعليم والإعلان يدعمون ويساندون العفة والأمانة الزوجية بدل أن يستهزئوا بهما. تخيل مجتمعاً يعيش فيه أناس يقولون إن تربية الأولاد والتواجد معهم أهم من العمل والغنى، وليس ذلك فقط بل يطبقون قولهم هذا! تخيل كم يكون سهلاً في ذلك المجتمع أن يعضد الموظفون أصحابهم الموظفين الذين أصبحوا أمهات وآباء جدد فتقل ساعات عملهم حتى يتسنى لهم أن يعتنوا بأطفالهم أو بذويهم الذين تقدموا في السن. ونعترف أن برامج الدولة: (مثل قوانين الضرائب التي تميز المتزوجين عن غيرهم) تلعب دورا متواضعا لكن هاما في تقوية روابط الزواج.

ولحسن الحظ يوجد اليوم بوادر أمل في الكنيسة والمجتمع أيضاً. فلأول مرة منذ عقود عديدة، ابتدأت السلطات العالمية تتحدث بصراحة عن أهمية تواجد الوالدين كليهما مع الأطفال. كما أن عدد الناس الذين يحافظون على عفتهم قبل الزواج يتزايد. وهناك اتحادات عديدة مثل NATIONAL FATHERHOOD INITIATIVE يدعون الآباء لكي يتحملوا مسئولياتهم من جديد. وواحد من أهم الموضوعات التي ينادي بها اتحاد MILLION MAN MARCH هي أن يعود الرجال ويكونوا أزواجاً وآباء ملتزمين أمام زوجاتهم وأولادهم..

وداخل المجتمع المسيحي، نمت حركة كبيرة من أجل حماية الأسرة. فمثلاً هناك منظمة جديدة تدعى PROMISE KEEPERS رسالتها هي دعوة الرجال المسيحيين ليكونوا أزواجا أمناء وآباء يتواجدون مع أولادهم ويهتمون بهم. وهناك منظمات مثل TRUE LOVE WAITS يلهمون مئات الآلاف من الشباب المسيحي للتعهد بالعفة حتى وقت الزواج.

كل هذه بوادر طيبة، لكنها فقط البداية. تخيل تأثير ربع مسيحيي اليوم وهم يعيشون حياة أسرية وزوجية مسيحية لفترة عقدين قادمين. هناك أشياء قليلة أخرى تستطيع أن تؤثر روحيا على عالمنا المليء ببيوت منقسمة.

إنني أصلي أن يكون هناك عشرات الملايين من الأسر المسيحية التي تعيش بفرح واستقامة وتظهر بجلاء في الظلمة المحيطة. في تلك المنازل يعلم الأزواج والزوجات أن أفضل شيء يمكنهم أن يقدموه لأولادهم هو محبتهم واهتمامهم بهم. إنهم يصرفون من وقتهم وقوتهم حتى يتواصلوا بصدق، ويتوبوا عندما يسقطون، ويغفروا بعضهم لبعض، وينموا مع بعضهم، ويستمتعوا بصحبة بعضهم البعض، ويخضعوا بعضهم لبعض. إنهم يقدرون الوقت المخصص للأسرة أكثر من

الترقيات الوظيفية. كما أنهم يلتزمون بعهودهم حتى في الأوقات الصعبة. نعم، أسرتهم السعيدة تبرهن بقوة أن خطة الخالق بالنسبة للجنس والزواج هي الطريق الوحيد للسعادة والسلام وأيضاً الشعور بالاكتفاء الذاتي.

إذا عشنا هذا الفرح وهذه الاستقامة، نكون شهوداً فعّالين وسط المتألمين ولمن حياتهم كالجحيم في أسر هذا العصر. سوف يلاحظوننا الجيران بعد أن يتأكدوا أن فرحنا حقيقي، وغالباً ما يسعون إلى نفس الحياة ويقبلون نفس الإله.

يستطيع الزواج المسيحي خلال العقدين التاليين أن يكون أكثر فعالية للتبشير ونشر الإنجيل.

لكن لا يمكننا أن نقدم للعالم ما يسعى إليه إلا إذا عشنا أولاً ما نبشر به. هل يوجد اليوم عدد كاف من المسيحيين يريدون أن يتبعوا المسيح وينبذوا العالم؟ هل يوجد عدد كاف من المسيحيين يعيشون الفرح والوفاء والاستقامة في زواجهم حتى يراهم العالم ويؤمن؟

هذا يمكن أن يحدث من خلال كل أسرة وكل فرد. وبمساعدة الله، إنني أتعهد أن أحافظ على زوجتي وأولادي وأضعهم فوق العمل والمال والشهرة. فهم أفضل هدية وهبني إياها الله بعد عطية ابنه يسوع المسيح.

الفصل الرابع

الصلاة والامتلاء بالروح

الصفة الرابعة

المسيحي الحقيقي ينمي يوميا حياته الروحية الجديدة، ويعيش متكلا بقوة الروح القدس.

أعرف أن معظم الأشخاص، يشعرون بالذنب لأنهم لا يصرفون وقتا كافيا كل يوم في خلوة شخصية. لقد أصبح من الصعب في يومنا هذا أن يجد المؤمن وقتا كافيا يصرفه في الصلاة والقراءة والتأمل. والسبب يعود إلى سرعة الحياة العصرية وأيضا إلى محبة العالم التي تتسلل إلى قلوبنا.

إن إهمال الصلاة يجب أن يعتبر خطأ فظيعا. المسيحيون العظماء على مر العصور يخبروننا كم كانت الصلاة هامة بالنسبة لهم. كما أن ربنا ومخلصنا يسوع المسيح يقدم وعودا عظيمة إلى كل من يصلي. ومع هذا فإننا لا زلنا نصارع لنلتقط بعض الدقائق يوميا للصلاة.

أنا واحد من الذين أهملوا الصلاة. فلقد بقيت لسنين عديدة أشعر بالذنب بسبب قلة الوقت الذي أكرسه للصلاة. كنت أعلم روحيا ونظريا أن الصلاة هامة جدا، حتى إنني كتبت عن هذا الموضوع ! في مقدمة كتابي AT THE BEGINNING OF EVANGELICALS FOR SOCIAL ACTIONS كتبت: إنه لا شيء سيغير نظرة المجتمع إلى أهمية الكتاب المقدس إلا الصلاة. لكنني لم أكن أجد الوقت لأمارس ما كنت أكتبه. ففي كل صباح كانت قائمة الواجبات الهامة والعاجلة كبيرة لدرجة أنني لم أستطع أن أصلي إلا لمدة عشر دقائق على الأكثر. وحتى خلال الصلاة كان تفكيري ينشغل بالمسئوليات التي تنتظرني. ومثل بقية الناس كنت أتحاشى الالتزام بالصلاة. فليس خطية أن يمر يوم هنا ويوم هناك دون أن أصلي. لكن بعدها لاحظت أنه أحيانا تمر ستة أيام من الأسبوع دون أن أصلي. ولم أستطع أن أسمي هذا عدم التزام.

وأخيرا استخدم الله عصى محبته حتى يلفت انتباهي. لقد ذكرت في الفصل الأول أن زواجنا مر بوقت عصيب. الشيء الوحيد الذي جعلني أصمد خلال تلك الأيام هو تضرعي إلى الله في كل صباح حتى يعطيني القوة اللازمة. تلك الأوقات التي كنت أمضيها أمام الله، أكلمه

عن المعي، أرجوه أن يغفر لي، وأطلب منه القوة، أصبحت أوقات راحة وسلام بالنسبة لي. وابتدأت أستمتع بأحاديثي اليومية مع الله بطريقة لم أعهدها من قبل. ومنذ ذلك الوقت أصبح من السهل أن أخصص وقتاً كل صباح من أجل الخلوة الشخصية.

بالطبع فإن أيامنا المليئة بالحركة والعمل يجب أن تكون بكاملها حياة صلاة بدون توقف. إنه لرائع أن نتعلم كيف نعيش هكذا. فمن جهة نستطيع أن نقود سيارتنا أو نتكلم في الهاتف، ومن جهة أخرى نرفع صلوات قصيرة إلى الله من أجلنا ومن أجل الآخرين. لكنني لا أنكر أنه لا شيء يعوض عن الوقت الذي نخصصه كل يوم حتى نتحدث مع حبيبنا القدوس.

لي صديق يدعى بيتر سكرك PETER SCHRECK ، أخبرني عن قصة حدثت معه تتعلق بهذا الموضوع. فذات يوم كان يستمع "بيتر" إلى جماعة من المؤمنين المتعلمين وهم يتحاورون في موضوع الصلاة،وشعر بخيبة أمل. فقد قال أستاذ جامعي إنه لا يوجد حاجة لأن نخصص وقتاً للصلاة بما أن حياتنا كلها يمكن أن تكون صلاة. وللإجابة على هذا قدم " بيتر" مثلاً يتعلق بعلاقته بزوجته كارول. فقد كانا خلال الشهر الماضي مشغولين جداً إذ كانا ينقلان أمتعتهما إلى سكن آخر. قال "بيتر":" لقد كنت متزوجاً من كارول خلال شهر أغسطس، لكن كان مهماً جداً لنا أن نتوقف عن عملنا كل فترة ونذهب لنتمشى معاً تحت ضوء القمر." نعم إن تخصيص وقت يومي للمكوث في حضرة الله هام جداً.

إن الأوقات الصعبة في حياتنا تعلمنا أهمية الصلاة، هذا بالإضافة إلى المسيحيين العظماء الذين يجب أن نتمثل بهم، وأيضا وعود يسوع المتعلقة بالصلاة.

كان وليم وليبروفورس قائداً في بريطانيا العظمى على الحملة ضد العبودية وتجارة العبيد. ويخبرنا المؤرخون أنه كان هو ورفقاؤه يشكلون دائرة صغيرة اسمها CLAPHAM SECT ، ورغم انشغالهم الشديد بالتخطيط العسكري والمراوغة البرلمانية، اعتادوا أن يخصصوا ثلاث ساعات يومياً في صلاة تشفعية.

وبعدها، في القرن التاسع عشر قاد شافتسبيرى SHAFTESBURY حملات اجتماعية عديدة، قضى فيها على ظاهرة تشغيل الأطفال وأعاد تشكيل المصانع. وعندما سأله ابنه كيف يستطيع أن يحمل كل هذه المسئوليات في وقت واحد، أجابه:" من خلال صلاتي القلبية إلى الإله القدير قبل أن أبدأ، ومن خلال إقدامي على عملي بكل إيمان وحيوية،ومن خلال أن هدفي النهائي هومجده وخدمة البشرية."

أكد الواعظ الشهير تشارلس فني CHARLES FINNEY، الذي يوصف "ببيلي جرهام القرن التاسع عشر"، وهو أيضاً قائد حملة ضد العبودية، أكد أن الساعات الطويلة التي كان يقضيها في صلاة شفاعية كانت ركيزة خدمته. كان " فيني" يقدر ما قاله ثيسليك عن مارتن لوثر. فقد كان الأخير يصلي أربع ساعات "لم يستهن بمشغولياته الكثيرة، بل من خلال الصلاة فقط استطاع أن يحقق مسئولياته العظيمة."

إذا كان المسيحيون العظماء عبر الأجيال يقدرون أهمية الصلاة هكذا، ألا نكون نحن جهالا إذا أهملناها؟

إذا صدقنا أن يسوع كان يعني ما يقول، فيجب أن يقوي هذا رغبتنا في أن نصلي أكثر. نقرأ في إنجيل مرقس ١١: ٢٣ ٢٤ هذه الكلمات العجيبة: "لأني الحق أقول لكم إن من قال لهذا الجبل انتقل وانطرح في البحر ولا يشك في قلبه بل يؤمن أن ما يقوله يكون فمهما قال يكون له. لذلك أقول لكم كل ما تطلبونه حينما تصلون فآمنوا أن تنالوه فيكون لكم.

كما أن إنجيل يوحنا يتضمن هذه الوعود الرائعة:" الحق الحق أقول لكم من يؤمن بي فالأعمال التي أنا أعملها يعملها هو أيضا ويعمل أعظم منها لأني ماض إلى أبي. ومهما سألتم باسمي فذلك أفعله ليتمجد الآب بالابن. إن سألتم شيئا باسمي فإني أفعله" (يوحنا ١٤: ١٢-١٤). " إن ثبتم في وثبت كلامي فيكم تطلبون ما تريدون فيكون لكم" (يوحنا ١٥: ٧).

هل نحتاج إلى حافز أقوى من هذا حتى نصلي باستمرار؟ لقد كان يسوع نفسه يخصص وقتا بعيدا عن خدمته حتى يتحدث مع أبيه السماوي. ثم أنه أعطانا وعودا عجيبة لاستجابة صلواتنا. فإذا كنا نعرف حقيقة من هو المسيح، ألا يدفعنا هذا لأن نجعل الصلاة شيئا أساسيا في حياتنا؟

الصلاة هامة جداً لأنه يوجد حرب شرسة بيننا وبين الشيطان. لذلك يحث الرسول بولس الأفسسيين ويقول: " مصلين بكل صلاة وطلبة كل وقت في الروح وساهرين لهذا بعينه بكل مواظبة وطلبة لأجل جميع القديسين " (أفسس ٦: ١٨) ترى لماذا؟ لأنه يعلم أننا في حرب روحية " فإن مصارعتنا ليست مع دم ولحم بل مع الرؤساء مع السلاطين مع ولاة العالم على ظلمة هذا الدهر مع أجناد الشر الروحية في السماويات. (عدد ١٢). من هم هؤلاء الرؤساء والسلاطين؟ عندما يستخدم الرسول بولس هذه الكلمات، فإنه يتكلم عن شيئين لهما صلة بعضهما ببعض. إنه يعني النظم الاجتماعية الشريرة والقيم والمبادىء المشوهة التي تفسد الناس. لكن بولس يعني أيضاً أن وراء هذه المنظمات البشرية المشوهة، تكمن قوات الشر الروحية التي تحارب ضد الله

وتبغي تدمير خليقته الجيدة. لذلك يعلم الرسول بولس أنه في كل مواجهة مع نظم وقيم المجتمع الملتوية، تكون في حرب مع أنصار الشيطان. والشيطان لا يمكن أن يهزم إلا بالصلاة.

إن الحرب الروحية هامة جدا اليوم ولكن هذا لا يعني أن نصرف الوقت في دراسة خرائط عن عالم الشيطان، ولا نتحقق من اسم كل ملاك ساقط. ولا نحتاج أن ننشغل بتفاصيل خارجة عن الكتاب المقدس حتى نربطهم باسم المسيح. وهذا لا يعني أيضا أن ننتهر روح المجاعة وروح العنصرية وروح الحرب في العالم دون أن نفعل أي شيء حتى نغير أنظمة المجتمع الظالمة التي لا تكترث بالفقر والعنف والشر. ما نحتاجه هو الاتزان الكتابي. وهذا يعني أن نصلي بحرارة لكي نربط قوات الشر وأيضا أن نعمل بجهد حتى نقلل من العنف والجنس في الإعلام ونغير الأسلوب الاقتصادي غير العادل.

قال ريتشارد لفيلاس "إن معظم الذين يصلون لا يصلون من أجل موضوعات تتعلق بالمجتمع، كما أن معظم الذين لهم نشاط في المجتمع لا يصلون كثيرا." إذا كان هذا صحيحا، يجب أن يتغير لأنه خطأ. لقد صلى "ولبرفورس" من أجل تحرير العبيد لكنه في نفس الوقت كان يشجع ويحث رئيس الوزراء حتى يساعد على تحريرهم. إذا فهمنا تعليم الرسول بولس عن الحرب الروحية، فإننا سنتصرف بالمثل.

إننا نغير التاريخ من خلال صلواتنا وأفعالنا. قال " أندرو موري " في كتابه القديم المعروف "مع المسيح في مدرسة الصلاة " إنه من خلال الصلاة يسمح لنا أن نمسك باليد التي تتحكم في هذا الكون. فالمسيحيون من خلال صلواتهم يقررون تاريخ هذه الأرض. الله يريد أن يخلص الأسرة كما إنه يريد أن يسمع كل إنسان بشارة الخلاص. الله يريد عدلا أكثر في المجتمع، والله يريد أن يحقق كل هذا من خلال صلواتنا.

ما أعجب هذا ! الصلاة لا تترتب فقط على التبشير أوصنع السلام، كما أن الصلاة لا تؤخذ على الهامش حتى من أجل حماية الفقراء والأطفال الذين لم يولدوا بعد، ومن أجل الحفاظ على البيئة. الصلاة هي الركيزة لكيفية عملنا كل هذا. ويعبر " أندرو موري " عن هذا بأسلوب بسيط ويقول: " إننا لن نعرف المعنى الحقيقي للصلاة طالما نعتبرها مجرد غاية للحياة المسيحية." ولكن عندما ننظر للصلاة على أنها الجزء الأهم من العمل الذي أوكلنا عليه، وعلى أنها أيضاً أساس وقوة كل عمل آخر، فإننا نعلم أنه لا يوجد شيء أهم من فن الصلاة الصحيحة، فيجب أن نتمرن عليها ونمارسها."

إذا كانت الصلاة هامة، كيف نجعلها مركزاً لحياتنا؟ يمكن أن نبدأ من حيث نحن ونطوّر حياتنا ونكوّن خطة واقعية. لا تحاول أن تزيد فترة صلاتك من عشر دقائق إلى ثلاث ساعات كل

يوم! افتح قلبك لله واسأله أن يساعدك في قرارك بالنسبة لزيادة فترة الصلاة فإذا كنت تُصلي معظم أيام الأسبوع ابدأ بعشرة إلى خمسة عشر دقيقة خمس مرات في الأسبوع على الأقل.

شارك خطتك مع صديقين واطلب منهما أن يسألانك بعد أسبوع عن إنجازك، وهذا سيشجعك. وبعد عدة أشهر فكر فى أن تزيد الفترة. إنى أحاول أن أقضى فترة طويلة فى خلوتى اليومية عدة أيام فى الأسبوع. عندها، حتى فى الأيام التى أكون فيها مشغولا جدا، لا أستطيع إلا أن آخذ خلوتى اليومية حتى وإن كان وقتها أقصر.

هناك سبب عظيم يحيى فينا الأمل، وهو إنه يوجد اليوم حركة صلاة قوية تكتسح الكنيسة فى جميع أقطار العالم. إذا اكتشف عدد كبير من المسيحيين قوة الصلاة وفتحوا أنفسهم بالكامل ليقبلوا عمل الروح القدس، فإن الله سيحول القرن القادم إلى قرن تبشيرى وإصلاح اجتماعى.

لكن هذا يبدأ من خلال الأفراد، من خلالك أنت ومن خلالى أنا. إنني أشجعك أن تصلى كل يوم دقيقة واحدة من أجل موضوع الصلاة فى حياتك. ربما تكون الخطوة التالية هي أن تصلى خمس دقائق أو عشر دقائق أخرى عدة مرات فى الأسبوع، أو أن تجتمع مع بعض الأصدقاء فى العمل لكى تصلوا ثلاثين دقيقة أسبوعيا.

إنني أحلم بنهضة جديدة، يعقد من خلالها المسيحيون اجتماعات صلاة طوال الليل. ولا يكون فيها موضوع صلاتهم التعبد والتبشير فقط، بل أيضا السياسة والبيئة والمجتمع. إننى أحلم بنهضة تفكر وهى تصلى، تخطط باهتمام بينما تسلم لعمل الروح القدس، تصلى من أجل عمل عجائب ومعجزات وأيضا من أجل تغيير فى المجتمع. وأيضا أن يكون معروفا بأن الله ليس لديه

خطط بديلة يستخدم فيها الملائكة بدل الأشخاص إذا فشلنا، وبأنه لن يحدث شئ من كل هذا إذا لم يعمل الروح القدس فى الوسط.

إذا دمجت الصلاة بالعمل بطريقة كتابية، فإن العالم سيتغير. نحن لا نقدر أن نفصل بين الصلاة والاتكال على الروح القدس. ولأننا ضعفاء ومعوزين، نضرع إلى الله أن يرسل الروح القدس ليعمل فى قلوبنا وعقولنا. قال ريتشارد فوستر: "إن السماء والأرض فى أيامنا هذه، ينتظران أناسا مملوئين من الروح القدس، مقادين بالروح، ويخدمون ويقودون بالروح ". لكن تحدث أشياء عجيبة عندما يعمل الروح. ترى لماذا؟ لأن المسيحيين يفشلون بدون الروح القدس.

لقد كان هذا حقيقة في حياة الدكتور Kriengsak Chareonwongsak فقد قابلته أول مرة في مؤتمر عالمي في جامعة أكسفورد، كان موضوع المؤتمر الإيمان المسيحي والاقتصاديات. كان الدكتور كرنجساك Kriengsak أستاذا في علم الاقتصاد. كما أنه قائد لكنيسة في تايلاند تنمو بسرعة مطردة.

هذا الرجل المميز ولد في عائلة تايلندية بوذية غنية. وبسبب تعاطفه مع الفقراء اعتنق الماركسية بينما كان يخطط لوظيفة سياسية، لكن كان عند الله خطة أخرى لحياته. فبينما كان يدرس في استراليا تجدد من خلال خدمة هيئة Inter Varsity وبعدها بفترة قصيرة في منتصف أحد الليالي اختبر الامتلاء بالروح القدس والتكلم بالألسنة. ورسخت في قلبه رؤيا تأسيس كنيسة في كل مقاطعة من الـ ٦٨٥ مقاطعة التايلندية. فأكمل دراسته في الاقتصاد حتى نال درجة الدكتوراه ثم تزوج من طالبة تايلندية تشاركه رؤيا التبشير، وعاد إلى بانكوك سنة ١٩٨١.

بعد أربعة أشهر، ابتدأ الزوجان كنيستهما الأولى، ودعياها "أمل بانكوك". في ذلك الأحد، وفي كل الآحاد التالية يتجدد على الأقل شخص من خلال خدمة العبادة. لقد نمت الكنيسة بسرعة. كان المرسلون قد خدموا في تايلند لمدة مئة وسبعين سنة، لكن في نهاية تلك الفترة لم يكن هناك إلا حوالي سبعين ألف مسيحي. خلال الخمس عشرة سنة الماضية، نمت كنيسة الدكتور كرينجساك في بانكوك وأصبح عدد المسيحيين فيها حوالي ثلاثة عشر ألفا، وقد تأسست أيضا ٢٨٥ كنيسة في مقاطعات مختلفة. والآن وصل عدد العابدين إلى أربعين ألفا في كنائس "الرجاء".

ما سّر هذا النجاح؟ قيادة غير عادية، إدارة ممتازة، وبرنامج مجموعات صغيرة يشترك فيه الجميع. لكن الدكتور كرينجساك يُرجع سبب النجاح الرئيسي إلى تأكيدهم على سلطة الكتاب المقدس وحضور الروح القدس بقوة.

كانت الصلاة، والصوم والعجائب لا تزال ركائز تبشيرهم وحياتهم الكنسية. والآن أصبح الدكتور كرينجساك رئيس مجلس الكاريزماتيك في آسيا. نعم، إن الدكتور كرينجساك والكنائس التي أقامها الله من خلال خدمته هي بالتأكيد مثل حيّ على ما يعنيه ريتشارد فوستا، بقوله: "أناس مقادون بالروح، ممتلئون بالروح، ويخدمون بالروح".

إن صديقي الدكتور كرينجساك هو جزء صغير من القصة الكاملة العظيمة للتجديد الذي حصل في القرن العشرين من خلال الخمسينيين والكاريزماتيك.

أهم شئ يمكن أن نقوله عن هذه الحركة هو رغبتها الكاملة في أن تكون منفتحة دون أى تحفظ لعمل الروح القدس. إننا نشكر الله على الذى يحدث، لكن هذا لا يعنى أن الخمسينين والكاريزماتيك هم وحدهم الذين يتمتعون بملء الروح القدس. فالروح القدس يسكن فى جميع المسيحيين المؤمنين. وخلال القرون الماضية كان هناك بعض المسيحيين من مختلف الخلفيات سلموا أنفسهم لعمل الروح القدس العجيب والقوى.

لقد حدث شئ غير عادى فى الاجتماعات الانتعاشية التى عقدت فى شارع أزيوزا بلوس أنجلوس سنة ١٩٠٦. كان هناك واعظ زنجى اسمه وليم ج. سيمور William J. Seymour، هذا قاد جماعة من جنسيات مختلفة فاختبروا عمل الروح القدس بصورة لم يتوقع حدوثها.

هذه الحركة التى نمت بسرعة شهدت أنواع المعجزات والعجائب التى نقرأ عنها فى سفر أعمال الرسل. وتبع هذه الحركة نهضة تبشيرية عظيمة. فى سنة ١٩٧٠ أصبحت هذه الحركة ٧٢ مليون شخص. وبعدها باثنين وعشرين سنة تزايد العدد خمسمائة بالمئة وأصبح ٤١٠ ملايين!!! ويتوقع دافيد بارت David Barret، وهو خبير إحصائيات كنسية، أنه سنة ٢٠٠٠ سيصبح عدد المسيحيين الكاريزماتيين ٥٦٠ مليوناً.

لننتبه أن عدد المسيحيين وصل إلى ٥٥٨ مليوناً عبر تسعة عشر قرناً. وخلال أقل من مئة عام سيصبح عدد المسيحيين الكاريزماتيين والخمسينيين ضعف هذا العدد !! إن قصة هذه المجموعة المسيحية توضح بالتأكيد أن الله يصنع العجائب عندما ينفتح شعبه لعمل الروح القدس بدون تحفظ.

وهنا أود أن أوضح نقطة معينة. فأنا لم يسبق لى أن تكلَّمْتُ بألسنة، كما أننى لم أشهد حدوث شفاء بصورة واضحة. لكن بما أن العديد من أصدقائى يتمتعون بهذه المواهب، فإننى منفتح ومتشوق وجاهز لأن أقبل أى موهبة يختار الروح القدس أن يرسلها لى.

إننى أتساءل ماذا كان سيحدث لو أن الكنيسة العصرية اهتمت بجدية بالروح القدس مثلما فعل يسوع والرسل. لقد كان يسوع نفسه يحتاج إلى الروح القدس حتى يتمم إرساليته (لوقا ٤: ١-١٨، متى ١٢: ٢٨)، وعندما اقترب الوقت لكى يترك تلاميذه وعدهم أن يرسل الروح القدس (يوحنا ١٤: ١٥-١٨) وأعطى مجموعته الصغيرة التعليمات لكى ينتظروا معمودية الروح القدس قبل أن يبدأوا المهمة فى نشر الإنجيل إلى أقصى الأرض (أعمال ١: ٤-٨). لقد وعد يسوع أن الروح القدس سيجلب القوة والإرشاد.

ويوضح لنا الرسول بولس خلال رسائله، أنه يستحيل علينا أن نحيا حياة ترضي الله بدون قوة الروح القدس. إننا نفشل بشدة في الجسد إذا اعتمدنا على قوتنا الشخصية. لكِنْ عندما نسلك بالروح نتقدم جداً فى تحقيق "متطلبات الناموس" (رومية ٨: ١-٤)، ويقول بولس للغلاطيين: "اسلكوا بالروح ولا تكملوا شهوة الجسد" (غلاطية ٥: ١٦). والروح هو الذى يغيّر شكلنا يوماً بعد يوم لنصير على شبه المسيح (كورنثوس ٣: ١٨).

إن ثمر ومواهب الروح القدس أساسيان للكنيسة. الرسول بولس يتوقع من المسيحيين أن يظهروا ثمر الروح: "محبة، فرح، سلام، طول أناة، لطف، صلاح، إيمان، وداعة، تعفف" (غلاطية ٥. ٢٢-٢٣). ولا أحتاج أن أقرأ كل أوصاف هذا الثمر لأعلم أننى لا أستطيع أن أعيش بهذه الطريقة بقوتى الشخصية.

لقد ذكر الرسول بولس عدة مرات مواهب الروح القدس التى تُمكّن جسد المسيح من الاستمرار فى خدمته "ولكنّه لكل واحد يُعطى إظهار الروح للمنفعة " (١كورنثوس ١٢: ٧). فإنه لواحد يعطى بالروح كلام حكمة، ولآخر كلام علم بحسب الروح الواحد، ولآخر إيمان بالروح الواحد، لآخر مواهب شفاء بالروح الواحد، ولآخر عمل قوات ولآخر نبوة ولآخر تمييز الأرواح ولآخر أنواع ألسنة ...". "هذه كلّها يعملها الروح الواحد بعَيْنِهِ قاسماً لكل واحد بمفرده كما يشاء" (عدد ١١). إن الكنيسة تحتاج لكل مواهب الروح حتى تعمل عمل الله فى هذا العالم.

واضح أن الله يريد من المسيحيين أن يكونوا أقوياء فى الروح، لكن الفهم الصحيح لهذه القوة هامٌ جداً. أحياناً يريد المسيحيون أن يمتلكوا هذه القوة الإلهية ويسيطروا عليها. وأحياناً نحاول أن نستخدمها لأغراضنا الأنانية. والقادة المسيحيون بنوعٍ خاص حساسون تجاه هذا

الاختيار. لقد اكتشفت هذا بنفسى عندما كان يعمل الروح من خلالى بقوة وأنا أعظ، كان الشيطان يتسلل ليهمس فى أذنى ببعض التفاهات، "لقد كنتَ رائعاً يا (رون) "، وما لم أنتهر الكذاب القديم فوراً، فإننى أقع بسهولة فى مصيدته وأسئ استخدام حضور الروح القوى. هناك أشياء معدودة أخرى تُشكل خطراً على القادة المسيحيين.

ما ورد فى (أفسس ٦: ١٩) يساعدنا فى فهم هذا. فبولس الذى هو أشهر الوعاظ المسيحيين على مدى القرون، يسأل المؤمنين أن يصلوا من أجله حتى يجد الكلام المناسب عندما يحاول أن يعظ: " مُصلين ... لأجلى لكى يُعطى لى كلام عند افتتاح فمى لأعلّمَ جهاراً بسرّ الإنجيل". لن يكون هذا الطلب غريباً لو أنه جاء من متخرج شاب يُلقى أولى عظاته. لكن بولس قدم آلاف العظات وكان بارعاً فيها !! لكن حتى هذا الواعظ البارع عَلِمَ أن التكلم بأمانة عن الله لم يكن

شيئاً يستطيع أن يتحكم فيه، إنه عطية يهبها الروح لحظة بلحظة.

هكذا يجب أن نصلي حتى نكون أقوياء في الرب. وهكذا يجب أن نفهم المواهب التي يهبها لنا الروح. إنها ليست لنا حتى نملكها ونستخدمها لأغراضنا الشخصية. فبينما يعطينا الروح هذه القوة لحظة بلحظة حتى نعيش الحياة المسيحية ونخدم في جسد المسيح، نحتاج أن نهاب قوة الله هذه وعلينا دائماً أن نذكّر أنفسنا والآخرين أيضاً أن المجد هو لله وليس لنا. كما يجب أن نذكّر أنفسنا أننا سنبقى أنقياء ما دمنا نعيش بإيمان وبطاعة وبتواضع. لو أن مسيحَيي اليوم يسعون بهذه الطريقة لقوة الروح في أعمالهم، لكنّا نرى نتائج مدهشة.

إن الروح لا يتوق فقط لأن يسيطر علينا بل لأن يقودنا أيضاً. هذه القيادة لها على الأقل جزئين. فالروح يشتاق أن يلفت انتباهنا إلى الكتاب المقدس حتى يكون تفكيرنا كتابياً. والروح يسعى لكي يقودنا يوماً بيوم في حياتنا الشخصية وفي عملنا وفي كنائسنا.

الروح لا يناقض كلمة الله أبداً. لقد وعد يسوع قائلاً: " وأما المعزى، الروح القدس الذى سيرسله الآب باسمي فهو يعلّمكم كل شئ ويذكركم بكل ما قلته لكم." (يوحنا ١٤: ٢٦)، إن الروح ينشّط عقولنا حتى نفهم بدقة تعاليم يسوع والكتاب المقدّس. بعض الناس لا يفهمون دور الروح، فيهملون سلطة كلمة الله ويركزون على الرؤى الخاصة. وفي أسوأ الحالات، يصبح التأكيد على رؤى الروح الشخصية لهم مجرّد صيغة كاريزماتيية موضوعية فردية، وهذا يؤدى إلى بلبلة وكارثة، لكن ما يتوق الروح أن يعمله، هو أن يساعدنا لكي يصبح تفكيرنا كتابياً أكثر وأكثر.

الروح أيضاً يريد أن يحرّضنا ويوجّهنا كل يوم بيومه. إن الله الذى يكلمنا عنه الكتاب المقدس ليس إلَهاً عقلياً. العقلانيون يرون الله على أنه صانع ساعات كوني، صمّم آلة معقدة رائعة

وهي الآن تعمل لوحدها، ويعتقدون أن الله لا يتدخل أبداً في عالمنا اليوم بطريقة معجزية، ويعتقدون أن الله لا يكون صانعاً ماهراً إذا ظلّ يتدخّل حتى يبقى ما صنعه في وضع صحيح.

إن رحلة بولس التبشيرية الأولى التى كتب عنها لوقا، زاخرة بتوجيه وقيادة الروح القدس. "وبينما هم يخدمون ويصومون قال الروح القدس أفرزوا لى برنابا وشاول للعمل الذى دعوتهما إليه. فصاموا حينئذٍ وصلّوا ووضعوا عليهما الأيادى ثم أطلقوهما هذان إذ أرسلا من الروح القدس انحدرا إلى سلوكية ومن هناك سافرا في البحر إلى قبرص" (أعمال ١٣: ٢-٤).

وبعدها أراد بولس أثناء رحلته التبشيرية الثانية، أن يذهب إلى بيثينية لكن "لم يدعهم الروح" وبدل من أن يذهبوا إلى بيثينية أرسلهم إلى أوروبا.

إننى أريد هذا النوع من التوجيه اليومى في حياتي وفي عملي. وأنا أؤمن أن الله يريد (الإرسالية التي أنا أرأسها) أن تكون بنفس درجة التشوق والحساسية لتوجيه الروح القدس كما كان لبولس عندما ابتدأ رحلاته التبشيرية. وأظن أن الروح يريد أن يوجه كل مسيحي، وكل جماعة وكل منظمة مسيحية، وهذا لن يحدث إلا إذا دعونا الروح القدس لكـي يعمل فينا واستمعنا له بصدق.

من جهة أخرى، هذا لا يعني أن نتوقف عن التخطيط والتفكير. كما أن هذا لا يعني أن نهمل التخطيط الطويل الأمد أو حتى الإعلام المؤثر. لقد منحنا الله عقولاً مفكرة ويريدنا أن نستخدمها. نلاحظ أن بولس الرسول يدمج استخدام العقل مع الاتكال على الروح، وذلك في الأصحاح المميز في كورنثوس الأولى الأصحاح الرابع عشر. إنه يحذر من التكلم بألسنة ما لم توجد ترجمة. ويقول في العددين ١٤ و١٥:" لأنه إن كنت أصلي بلسان فروحي تصلي وأما ذهني فهو بلا ثمر، فما هو إذاً. أصلي بالروح وأصلي بالذهن أيضاً. أرتل بالروح وأرتل بالذهن أيضاً". نعم إن تمتعنا بالامتلاء بالروح لا يعني نبذ العقل.

بالطبع يجب أن نخضع عقولنا دون أي تحفظ لله. لكن هذا لا يعني أن نتوقف عن التفكير. فالأشخاص الممتلئون بالروح القدس ويعلمون أن ملكوت المسيح الآتي هو بداية جديدة للخليقة، عليهم أن يخططوا ويفكروا بصورة وافية كما عليهم أيضاً وبنفس النشاط أن يصلوا بلا انقطاع طالبين قيادة الروح في كل لحظة.

في أحيان كثيرة يتدخل الروح بطريقة عجيبة لكي يقود ويوجه. وأحياناً لا يتدخل، لكن كل الأشياء تعمل معاً للخير من أجل الخالق القدوس. ونحن لا نحتاج أن نعلم ما هو معجزة وما هو نتيجة العناية الإلهية. فالعلاقة بين الشئ الطبيعى وبين الشئ المعجزى سيبقى دائماً غامضاً فى هذه الحياة.

الله لم يُرد أن يختار المسيحيون بين الصلاة والفكر، الاتكال الكلى على الروح القدس والتخطيط الدقيق، فهذه خدعة من خدع الشيطان. علينا أن ندمج تخطيطنا بالتشفع، ونُشرك الصلاة بالتحليل. لأن كلاً من الصلاة والفكر مصدرهما الخالق الذى هو أيضاً الروح.

إن تكنولوجيا التسويق وطرق جمع المال تميل لأن نصبح عقلانيين وننسى الروح. كم أن عدد الجماعات والمنظمات المسيحية التى نعرفها، تصلى وتصوم من أجل قيادة الروح لها كما كانت تفعل الكنيسة الأولى؟ ومن ثم وفى نفس الوقت تخطط بدقة متناهية، البعض يمارسون

الصلاة والبعض الآخر يمارسون التخطيط لكنْ قليلين هم الذين يمارسون الصلاة والتخطيط معاً. أتساءل كم سيتسع عمل الله إذا قبلنا أن نمارس الاثنين معاً. وربما تجيب قصة الدكتور كرينجساك على سؤالي هذا.

يجب أن أعترف بأن اجتماعات اللجان المسيحية التى أحضرها، والمنظمات المسيحية التى أعرفها، هى أفضل فى معرفتها اللاهوتية عن الروح من اختبارها الفعلى للروح. وإننى أتوق إلى الاتزان الذى تقدمه كلمة الله. إننى لا أستطيع ان أصبر حتى أرى ما سيفعله الله من خلال أناس مفكرين أذكياء منفتحين بدون أى تحفظ لعمل الروح فى حياتهم.

منذ عدة سنوات، وبينما كنت أسأل الله ان يرينى إذا كان يريدنى أن أكرس مزيداً من الوقت فى خدمة هيئة Evangelicals for Social Action، كتبت هذه الصلاة. وإني أشارك بها القارئ حتى أجدد تضرعى لكى أخضع حياتى كلّية لله وأعيش بقوة الروح التى يهبها لنا الروح ونحن نصلى. أدعوك أن تصليها معى.

"أبانا السماوى، أقدم لك ولمشيئتك كل كيانى بفرح وشكر فى صباح هذا اليوم الجديد، إننى أسلم كل جزء من حياتى، وكلَ طموح شخصي، أتوق إليك، إلى ملكوتك، أسألك أن تنقي قلبي، ليبغى شيئاً واحداً – إرادتك وتمجيد اسمك.

أيها الرب يسوع، فى هذا اليوم الجديد، أسألك أن تهبنى النعمة حتى تكون كل قراراتى وكل تصرفاتى تتناسب مع قيم ملكوتك ومع الحياة التى عشتها وعلّمتها.

أيها الروح القدس المبارك، فى صباح هذا اليوم الجديد أطلب منك أن تسكب عليّ ملئاً من ثمرك ومواهبك وقوتك. أرجو أن تتشفع لى بأنات يعجز البشر أن ينطقها، حتى أحيا هذا اليوم في خوفك ممجداً شخصك الذى أحبه وأعبده – الآب والابن والروح القدس. آمين.

الجزء الثانى

الكنيسة

صورة مصغرة عن السماء

الصفة الخامسة

المسيحى الحقيقى يسعى لكى يحول الكنيسة إلى صورة مصغرة عما ستكون عليه السماء

فى آخر سفر من الكتاب المقدس، يرسم الرسول يوحنا صورة مجيدة للسماء. حيث لا الدموع ولا الجوع ولا العنف ولا الظلم. وهناك حول العرش يقف ليسبح الله "من كل الأمم والقبائل والشعوب والألسنة " (رؤيا ٧: ٩) جمع غفير من كل جنس ولون ومن كل أمم الأرض مُتحدون بالمحبة ليعبدوا مخلصهم.

لكن لنعود إلى كوكب الأرض ونلقى نظرة سريعة. فالتحزب العنصرى والعداوة العرقية تنتشر فى كل مكان وهى فى انتظار أن تنفجر لتدمر تدميراً قاتلاً . وبينما تتطاحن الطبقات المختلفة، يعانى الفقراء من الجوع في حين يسعى الأغنياء لإشباع ذواتهم من خلال الوفرة المادية المتزايدة. والكراهية البشعة تمتد جذورها فى مساحات شاسعة من خلال العنصرية والغنى والتمييز الجنسي، وتمزق وتهدم الأسرة البشرية.

أمامنا صورتين : الأولى للبشرية المصالحة فى السماء، والثانية لحرب ضروس على الأرض. والآن فكر ملياً وتمعن فى الكنائس التى تعرفها. هل تشبه الصورة الأولى أم الثانية ؟

لا توجد إجابة سهلة على هذا السؤال. فنحن لدينا أمثلة تلفت الأنظار للنوعين،لكن عدد الكنائس الممزقة تبدو شائعة بشكل مريع. لقد قاتل البروتستانت والكاثوليك بعضهم البعض فى شمالى أيرلندا لعقود عديدة. كما أن الصرب الأرثوذكس والكروات الكاثوليك يغتصبون ويقتلون بعضهم البعض فى مجزرة لا معنى لها. وفى الولايات المتحدة الأمريكية، مازالت الساعة الحادية عشرة من صباح الأحد، أخطر ساعة فى الأسبوع بالنسبة للصراعات العرقية. كما أن معظم المجموعات تنقسم بحسب العرق والطبقة فى الكنيسة مثلما يحدث فى المجتمع.

هذا النوع من الكنائس ليس له مصداقية، وهذا النـوع مـن الكنـائس لا يفهم الإنجيـل. هـذا النوع من الكنائس ليست لديه القـوة لكـي يغير المجتمـع. لقد كان المبشـر الأمريكـي الأفريقـي الأصل كوم سكنر على صواب عندما قال : الله يريد الكنيسة أن تكون صورة مصغرة عمـا ستكون عليه السماء. لماذا ؟ لأن هدم أسوار الانقسام هو قلب الإنجيل، ولأن إيماننا بأن الرجال والنسـاء من كل قبيلة وشعب وطبقة هم جسد واحد في المسيح، ولأن الإنجيل ليس فقط الغفران لكنـه الأخبار السارة عن الملكوت الآتي . ولأن يسـوع صلـى من أجل الوحـدة بين تلاميـذه بالمحبـة التي يراها العالم ويقتنع من خلال تميزها بأن يسوع قد جاء من عند الآب.

كان أسوأ تعصب عرقي في العالم القديم بين اليهود والأمم، الذيـن كان يفصلهم سـور مـن الكراهية والعداء. لكن بولس تجرأ أن يعلن بأن الإنجيل قتل هذه العداوة (أفسس ٢ : ١٦).

إن قصد الله من الخـلاص يحتـوى علـى المصالحـة العرقيـة. فالمصالحـة مـع الله لا يمكـن أن تنفصل عن المصالحة مع المؤمنين من عرق آخر. كما أن جسد المسيح وهـو مجموعـة المؤمنين المصالحين من جميع الأجناس هم جزء مـن الإنجيـل. بعد أن قـدم بولس الرسـول فـي أفسـس أصحاح ٢ كلامه الرائع عن كيف يلاشي المسيح التفرقـة العنصريـة، يكمـل فـي الأصحـاح الثـالث ليتكلم عن سر الإنجيل الذي يبشر بـه (أفسس ٣ : ٣و٤و٧). مـا هـو هـذا السـر ؟ هـذا السـر هـو "أن الأمم شركاء في الميراث والجسد ونوال موعده في المسيح بالإنجيل"(عدد ٦).

نعم يوجد جزء هام في الأخبار السارة التي نبشر بها وهـي هـذه الحقيقـة العجيبـة، إنـه الآن، وبقوة الروح القدس يوجد جماعة مفدية اختفت منها العداوة والكراهية العرقية والعنصرية.

لذلك فإن أي تعصب عرقي في الكنيسة يعتبر إنكاراً للإنجيل. إنـه ضـلال وعصيـان لقصـد الله في المسيح، لهذا السـبب انتـهر بولـس الرسـول بطـرس لتحزّبـه العنصـرى، ودانـه لأنـه وقومـه "لا يسلكون باستقامة حسب حق الإنجيل "(غلاطية ٢ : ١٤). إن المصالحة العنصرية في الكنيسـة هـي برهان منظور لعمل الإنجيل.

هذا وإن قوة الإنجيل لا تتوقف فقط عند تحطيم جدران عـداوة العنصريـة، فبولـس الرسـول يفتخر مراراً وتكراراً أن المسيح قد رفع انقسامات وعداوات أخرى في العالم القديم. كان الأسـياد يضطهدون العبيد، والرجال يحتقرون النساء، واليونانيون المتعلمون أصحاب الحضـارة يستهزئون بالبرابرة. لكـن المسيح مـات مـن أجـل الجميـع النسـاء، العبيـد، البـرابرة، والأمم قـد حُـرروا مـن خلال عمل المسيح مثل اليهود تماماً. كتب بولس يقول: إنه حيث توجد معمودية واحدة وروح

واحد وجسد واحد "ليس يوناني ويهودي ختان وغرلة بربري سكيثي عبدٌ حرّ بل المسيح الكل وفي الكل"(كولوسي ٣ : ١١).

الرسول بولس لم يقلل أبداً من أهمية هذه الحقيقة اللاهوتية، وهو أن جميع المؤمنين هم جسد واحد في المسيح، ومثل أعضاء الجسد الواحد، كل المسيحيين لهم كرامة ويخدمون أعضاء هذا الجسد (غلاطية ٦ : ١-٢)، كان هذا يعني أيضاً المشاركة المادية. ففي أورشليم، كان المسيحيون يقدمون ما يمتلكونه بكل سخاء. "كما يكون لكل واحد احتياج" "لم يكن فيهم أحد محتاجاً" (أعمال ٢ : ٤٥ و٤ : ٣٤). كان بولس يعتبر هذه الشركة المادية هامة جداً حتى إنه أمضى سنوات عديدة ينظم التقدمات عبر القارات.

والمؤمنون الأوربيون الذين يتكلمون اليونانية كانوا يقدمون من أموالهم للذين يتكلمون الآرامية في آسيا. كان بولس يعتقد أن المشاركة المادية هي برهان منظور على الوحدة في المسيح بين أعضاء الجسد الواحد المتعدد الأجناس. من هذه الناحية، يعتبر العهد الجديد تكملة للموضوع الذي يمتد في العهد القديم، وهو أن ضمن خطة الله للخلاص يوجد شعب مفدي يختلف كلياً عن العالم. وأهم اختلاف يميزهم عن العالم هو مشاركتهم المادية المدهشة بعضهم لبعض.

هناك قصة عجيبة يعود تاريخها إلى القرن الرابع الميلادي، هذه القصة تبين قوة هذا النوع من المشاركة. فبعد خمسين عاماً من قضاء قسطنطين على اضطهاد الإمبراطورية الرومانية للمسيحيين، ملك إمبراطور وثني عدو اسمه يوليوس المرتد Julian The Apostate. حاول هذا الإمبراطور لبضعة سنوات أن يدوس على المسيحية، ويعيد عبادة الأوثان، لكنه فشل لأن أتباعه الوثنيين رفضوا أن يشاركوا الفقراء أموالهم كما كان يفعل المسيحيون. واضطر أخيراً أن يعترف لرفيقه الوثني ويقول: "أولئك الجليليون (المسيحيون) لا يطعمون فقط فقراءهم بل فقراءنا أيضاً .

إن تعليم يسوع الواضح يبين لنا لماذا يجب على الكنيسة أن تكون صورة مصغرة من السماء. كل شخص يعلن أنه مسيحي يجب أن يقبل ما يعنيه يسوع بكلمة إنجيل. ففي كل مرة استخدم فيها يسوع كلمة إنجيل كان يفسرها على أنها "أخبار الملكوت السارة" (مرقس ١ : ١٤-١٥ ولوقا ٤: ٣٤).

هل هذا هام ؟ نعم، لأن تفسير يسوع لكلمة إنجيل يحمينا من أن نحدد معناها ليصبح مجرد تذكرة إلى السماء. فلأن الإنجيل يحتوى على الغفران الأكيد، نستطيع أن نقف قدام الله بدون

خوف. ولأن العهد الجديد يعلم بوضوح أن الإنجيل يعني أكثر من هذا، فإننا نتوقع من المسيحيين أن يختلفوا في حياتهم عن العالم.

عندما أعلن يسوع إنجيل الملكوت، كان يعني أن المسيح وملكوته اللذان وعد بهما الأنبياء منذ القديم، قد أعلنا بأن المسيح سوف يجلب معه غفرانا كاملا ومجتمعا مفديا. وفي وقت المسيح سوف يكون هناك سلام، وعدل للفقراء واستقامة (إرميا ٣١ : ٣١-٣٤ وإشعياء ٩ : ١-٦ و١١: ١-٩).

كل هذا حدث فعلا عندما أتى المسيح. لقد أدهش الزناة والعشارين والضالين بغفرانه غير المشروط. وبعدها كان يقول لهم أن يذهبوا ولا يخطئوا أيضا. لقد تحدى عنف المجتمع، واحتقار الرجال للنساء، وإهمال الأغنياء للفقراء والمعوزين. وحرض أولئك الخطاة حتى يعيشوا كما يعيش هو، وقد قدم هذا المجتمع الجديد المعزى على أنه علامة منظورة لملكوت المسيح الآتي.

ورغم أن العالم لم يسمع له لكن الكنيسة الأولى تبعت خطواته. لهذا استطاع بولس الرسول أن يقول بأن الكنيسة المتعددة الأجناس أصبحت جزءا من الإنجيل الذي كان يبشر به.

يمكننا أن نعتبر صلاة المسيح الأخيرة إعلانا مدهشا عن مدى أهمية احتياجنا لأن نعكس محبة السماء. كان المسيح قد وعد أنه إذا أحب تلاميذه بعضهم بعضا كما أحبهم هو عندها "يعرف الجميع أنكم تلاميذي" (يوحنا ١٣ : ٣٤-٣٦). وبعدها، وكما دون يوحنا في الأصحاح السابع عشر، نقرأ أن يسوع صلى حتى تكون محبتنا ووحدتنا ظاهرة بوضوح حتى يقتنع العالم بأنه قد جاء حقيقة من عند الآب "ليكونوا هم أيضا واحدا فينا ليؤمن العالم أنك أرسلتني".(الأعداد ٢٠-٢٣).

يجب أن يبكي المسيح عندما يرى أن الجسد عاد إلى الكراهية العنصرية، والتحيز الوطني، والانقسام الطبقي، والتفريق الجنسي. إنه يرجونا أن نسمح للروح القدس أن يكتسح عداوتنا ويخلق جسدا واحدا جديدا ليس فيه أسود وأبيض، ذكر وأنثى، غني وفقير. إنه يتشوق أن يرانا صورة مصغرة من السماء.

وحتى نعبر عن هذا بصورة كتابية أدق نقول : الله يريد أن تكون الكنيسة صورة أولية للملكوت الذي سيجئ به المسيح. بالنسبة لي، الجملتان تحملان نفس المعنى. لكن الفلسفة اليونانية أثرت في بعض المسيحيين فأصبحوا يعتقدون أن السماء عالم غير مادي فيه أرواح غير منظورة لا تتعلق بعالمنا هذا. لكن هذا منظور غير كتابي. ففي رسالة رومية الأصحاح ٨ نقرأ أن

الله سيعتق الخليقة من العبودية والفساد يوم مجئ المسيح (أعداد ١٩ - ٢٢). الله يريد أن يطهر الخطية حتى "يجيئون بمجد الأمم وكرامتهم إليها" أى إلى أورشليم المجيدة (رؤيا ٢١ : ٢٦).

نعم بعدما تحدث القيامة الجسدية من الموت، سوف نغنى ونرقص إلى الأبد فى الخليقة التى جددت وحررت من الظلم والاضطهاد والموت. عندما يعود المسيح، أتوقع أن أتسلق جبال الهملايا وأبحر عبر البحر الأبيض المتوسط مع بولس وزمرة من الرجال والنساء من مختلف الأجناس ومن جميع الأمم والطبقات. إن الكنيسة تتجهز اليوم من أجل ذلك الاحتفال المجيد.

إذا قبلنا الرؤية الكتابية المجيدة وهو أن الكنيسة هى مجتمع مفدى متميز، فإن أشياء كثيرة ستتغير. سوف نرفض قبول أسوار العداوة التى تقسم وتدمر العالم الساقط. وبنعمة الله، سوف تصبح مجموعتك ومجموعتى صورة مصغرة من السماء.

إن التوضيحات محددة وصريحة. فالمسيح يدعونا لأن ننهى مهزلة العنصرية فى جسده. والمسيح يأمر أتباعه الأغنياء أن يشاركوا أخواتهم وإخوتهم الفقراء بنفس طريقة المسيحيين الأوائل. والمسيح يرجو الرجال المؤمنين أن يتعاملوا مع النساء باحترام وكرامة كما تعامل هو معهن. والمسيح يحرضنا أن نقدر انتمائنا للمسيحية أكثر بكثير من وطنيتنا.

أنا لا أتظاهر وأقول إن هذا سهل. لقد جاهدت لسنين عديدة مع صداقات غير عنصرية لكنها انتهت بعدم الثقة والانفصال. إن تاريخ الأوروبيين البيض كان مليئا بالاضطهاد والتدمير والتخريب. ولهذا من الصعب أن يختفى الخوف وعدم الثقة والكراهية من قلوب "غير البيض". الجراح عميقة وأيضا الشعور بالذنب. ذات مرة سمعت مبشرا من العالم الثالث، كان قد عمل مع مسيحيين من جنسيات مختلفة يقول إنه يوجد ثلاثة رجال بيض فقط فى العالم يمكنه أن يثق بهم.

هذا وإن النساء المسيحيات لم يحصلن حتى الآن على المساواة فى الاحترام وفي الفرص فى الكنيسة، عدم المساواة هذا منتشر فى الكثير من بيوت المسيحيين.

كما أن الهوة بين الأغنياء والفقراء مستمرة فى الاتساع. سنة ١٩٦٠، كان معدل دخل أغنياء العالم (ونسبتهم ٢٠٪) ثلاثين ضعفا عن نسبة ٢٠٪ من فقراء العالم. مع حلول سنة ١٩٩٠ زاد معدل دخل الأغنياء ليصبح ستين ضعفا !! وبما أن المسيحيين يمثلون ثلثى أغنياء العالم، فإن معظم أولئك العشرين بالمئة من الأغنياء كانوا "مسيحيين". وبينما يزيد غنانا نحن، يعيش حوالى مليار شخص فى فقر مدقع. هناك الملايين من الجوعى، وعشرات الملايين من هؤلاء هم إخوة وأخوات لنا فى المسيح. كيف نحتمل هذه الخطية البشعة ونحن جسد واحد فى المسيح !!

إن مهزلة القتل بين المسيحيين يجب أن تتوقف مهما كلف الأمر. فعندما يجعل المسيحيون الصرب والرواندِيـون والأمريكيـون والروسـيون اختلافـهم العرقـي، وانتمـاءهم الوطنـي فـوق وحدتهم فى المسيح، يكون هـذا ضلالاً ونكراناً للإنجيل. كيف يصبح المؤمنـون صـوراً حقيقية للسماء ؟

أولاً : يجب أن نصلي من أجل نهضة: والله وحده يستطيع أن يحقق هـذا. فبدون تحرك قوى لروح الله، يكون هذا مستحيلاً. وحركة الصلاة الجديدة فى الكنيسة اليوم هى مصدر قوى للرجاء. يجب أن نتضرع إلى الله حتى يجددنا ويغيرنا نحن وكنائسنا.

ثانياً : نحتاج إلى لاهوت كتابى أكثر فى الكنيسة: الكنائس الكتابية هى البرهان المنظور لملكوت المسيح الآتى، وليس النوادى المريحة التى تُجارى العالم. والكنيسة تحتاج أن تعود إلى الانفصال الكتابى عن العالم. هذا لا يعنى أن ننفصل عن غير المسيحيين لكن أن ننفصل عن الخطية. ".. أى نصيب للمؤمن مع غير المؤمن؟" "اخرجوا من وسطهم واعتزلوا يقول الرب" ".. لنطهر ذواتنا من كل دنس الجسد والروح مكملين القداسة فى خوف الله". (٢ كورنثوس ٦ : ١٥ و١٧ -٧ : ١).

غالبا ما لا يفهم الناس مثل يسوع عن الحنطة والزوان الذى يمثل بصورة واضحة الكنائس التى لا تجرؤ على مواجهة الخطية التى فى وسطها. يخبرنا يسوع فى القصة عن رجل زرع قمحا فى حقله، ثم اكتشف أن عدوه غرس له في السر زوانا وسط كل القمح. وعندما أراد البعض أن يقتلعوا الزوان على التو، قال لهم يسوع: "دعوهما ينميان معا حتى وقت الحصاد".

هل هذا يعنى أن هناك خطأ فى التعليم للكنيسة ؟ هل هذا يعنى أنه يجب علينا فى الكنيسة أن نترك الزوان والحنطة ينميان معا ؟ كلا على الإطلاق ! لقد فسر يسوع نفسه المثل وقال: "الحقل هو العالم ... والحصاد هو انقضاء العالم" (متى ١٣ : ٣٧ – ٣٩). هذا المثل يؤكد على الحرية الدينية فى المجتمع وليس على قبول الخطية فى الكنيسة.. والمثل لا يتضارب مع أمر يسوع الواضح فى (متى ١٨ : ١٥ – ١٩) أن تتدرب الكنيسة على الحياة المسيحية الصحيحة وينزع من الجسد كل من يمارس الخطية. والكنيسة لن تستعيد قوتها إلا إذا أعادت مفهوم العهد الجديد للكنيسة على أنها جسد واحد من المؤمنين الملتزمين يعيشون متمثلين بالمسيح وليس بالعالم.

ثالثا : نحن نحتاج إلى تنسيق وتنظيم جديد فى مجموعتنا المحلية وفى جسد المسيح ككل: أتمنى أن يكون كل مؤمن منضم لمجموعة صغيرة تلتقى أسبوعيا للعبادة،

والصلاة ولملاحظة الأفراد بعضهم لبعض. أنا مقتنع ان الضغوط في المجتمع قوية جدا، لذلك من المستحيل أن نتبع المسيح بدون شركة دائمة مع المسيحيين. ففي مجتمعنا المجنون هذا، من الصعب جدا أن نقاوم إغراء الإعلام وتفاهات هوليوود الجنسية . نحن نحتاج للصلاة اليومية والتشجيع المستمر والتحدى الصادق من إخوة وأخوات لنا في المسيح حتى نعيش متمثلين بيسوع.

لقد اكتشف"جون وسلي" قوة المجموعات الصغيرة في بداية سنوات "الميثوديستية". فكانوا يجتمعون كل أسبوع للصلاة والترنيم والاعتراف . كان القادة يطرحون أسئلة جريئة ! "هل تحب أن يقال لك عن كل أخطائك ؟ ما الخطية التى ارتكبتها خلال الأسبوع الماضى ؟ فملاحظة الإخوة بعضهم لبعض بمحبة، كانت أهم عبارة عند وسلي لتعبر عن المسؤولية المشتركة.

كان نظام المجموعة الصغيرة شئ أساسى للميثوديست لمئة سنة. خلال تلك السنين انتشرت الميثوديستية في العالم حتى أصبحت أكبر حركة (أو منظمة) في الولايات المتحدة.

أود أن أقدم قصة تافهة مربكة لكنها تدل على مدى تأثير المجموعات الصغيرة. فبينما كنت اكتب هذا الكتاب، أحسست بعدم راحة تجاه تصرف قد حدث منذ شهرين في مخزني المفضل لبيع السلع المخفضة. كنت قد وجدت هناك معطفا شتويا جميلا لصقت عليه ورقة بيضاء مكتوب عليها ٢٥دولارا. وكنت أظن أن كل الملابس التي لصق عليها أوراق ملونة قد خفض سعرها إلى النصف. وتوجهت بالمعطف إلى مكان الدفع وقدمت الورقة للموظف وسألته إذا كان هناك تخفيض ٥٠٪على هذا المعطف. فرد بالنفي، لكنه بدل أن يقرأ السعر ٢٥،٠٠ دولارا، قرأه ٢،٥٠٠ دولارا. فلم أقل شيئا ودفعت الدولارين والنصف وأخذت المعطف.

لكنني شعرت بعدم ارتياح وأنا أقود السيارة إلى المنزل ثم وأنا أري زوجتي المعطف. في الأسابيع التي تلت، كنت أتذكر تصرفي هذا خلال خلواتي الشخصية. وأخيرا قررت أن أشارك قصتي مع المجموعة الصغيرة التي كنت أصلي معها. وقد ضحكوا كثيرا ثم أصروا أن أعيد المعطف. فوافقت على ذلك وطلبت منهم أن يسألونني في لقائنا التالي إذا كنت قد أعدته. وهكذا أعدته قبل أن نجتمع ثانية. ترى هل كنت سأعيد المعطف لو لم أخبر الجميع ؟

الأشخاص الذين يتعلمون أن يحبوا ويثقوا بعضهم ببعض على مدى شهور وسنوات يساعدوننا في مواقف كثيرة. إنهم المجموعة المناسبة لنبحث معهم حالة الأسرة المالية، التقدمات الخيرية، أفراح وصراعات الزواج وتربية الأطفال، التجارب الجنسية والمالية الصعبة،

القرارات الكبيرة المتعلقة بالعمل. أنا أثق أن الله يغير الكنائس المحلية تغييرا جذريا عندما يكونون مجموعات صغيرة فيها قادة مسئولون، وأعضاؤها يجتمعون بانتظام لوقت محدد. نعم، إن المجموعات الصغيرة هي واحدة من أفضل الأنظمة للانتصار على الفردية، وتحدى المجتمع المحيط، وملاحظة بعضنا بعضا بمحبة.

نحن نحتاج أيضا لطرق جديدة حتى نظهر المحبة المسيحية لغير المسيحيين الذين هم خارج الجماعة. لقد زرت مؤخرا عددا من الجماعات المسيحية الكبيرة في فيلادلفيا وضواحيها. وقد تألمت جدا عندما رأيت أن جسد المسيح مازال يقسمه التمييز العنصري بصورة قوية. إذا كان جسد المسيح الذي يحتوي على مؤمنين من جميع الجنسيات هو جزء لا يتجزأ من الإنجيل، فيجب أن يوضع حد لهذه المهزلة. هذا لا يعني أن كل جماعة يجب أن تحوي عددا مساويا من الناس من جميع الأجناس والشعوب. لكنه يعني أنه يجب علينا أن نكتشف طرقا دائمة ومنظورة لنبرهن لأنفسنا وللعالم أن المؤمنين من جميع الأجناس هم بالحقيقة واحد.

هناك العديد من الطرق لنفعل هذا. فكل كنيسة تضم شريحة معينة من البشر، عليها أن تقيم مشاركة طويلة الأمد مع كنيسة أخرى مختلفة بشرط أن تكون المشاركة خالية من التسلط. وكل فترة، يستطيع كل المسيحيين في المحيط الواحد أن يؤجروا قاعة واسعة أو ملعبا رياضيا لعقد لقاء مسيحي متعدد الجنسيات والطبقات كل ثلاثة أشهر. مثل هذه الاحتفالات ستغيرنا على مر السنين.

نحن نحتاج أن نتجاوز العنصرية على المستوى المحلى والدولى. هناك أخبار رائعة من جنوب أفريقيا، فالإنجيليون السود الأقلية والإنجيليون البيض الأكثرية يخططون من أجل أن يصيرا واحدا. وفى الولايات المتحدة الأمريكية عقدت الجمعية المحلية الإنجيلية للسود ومثيلتها للبيض مؤتمرا للصلح فى عام ١٩٩٥، وقد ذكرت فكرة الوحدة فى ذلك المؤتمر.

كان أفضل جدا لو أن الإنجيليين السود والبيض فى جنوب أفريقيا كانوا قد تحركوا نحو الوحدة قبل سنين. ولكان أفضل جدا لو أن الإنجيليين كانوا قد تحركوا نحو الوحدة قبل ثلاثين عاما من قيام مارتن لوثر كنج ورفقائه السود بالصراع المكلف للمطالبة بحقوقهم المدنية، وليس بعد هذا بثلاثين عاما.

لكن حتى الآن، لو حدثت الوحدة باحترام مشترك ومشاركة حقيقية، فإن هذا سيساعد الكنيسة حتى تكون صورة مصغرة من السماء.

إنني أثق أن ما حدث فى Memphis Miracle، سنة ١٩٩٤ يعطينا الأمل بأن الله قد ابتدأ يعمل بطرق جديدة قوية. لقد كان ذلك المؤتمر تتويجا لمحادثات واعترافات دامت سنوات عديدة. فيه اجتمع القادة البارزون من كنائس الخمسينيين البيض والسود، وبدون أى تحفظ جثى هؤلاء القادة على ركبهم، وغسلوا أرجل بعضهم البعض علامة على توبتهم. ونتيجة لهذا المؤتمر، أعلن الاجتماع الخمسينى فى شمالى أمريكا، وفى اليوم التالى تكونت منظمة متعددة الجنسيات يرأسها أسقف أمريكي من أصل أفريقى كما اشتركت فى اللجنة التى ترأس المنظمة سيدة تدعى باربرا فلموس Barbara Flmos.

فى الوقت الذى يتحرك فيه المجتمع نحو التكتل، يحرك الله الكنيسة لتشكل وحدة فى المسيح. إنه الوقت لكى نحلم ونأمل ونترجى.

وأنا لدى حلم من أجل مدينتى فيلادلفيا. ففيلادلفيا هى نموذج لمدن الولايات المتحدة الأمريكية. هناك مقاطعات كبيرة فى قلب المدينة فقيرة جدا ومليئة بالسود. فمعظم البيض والسود من الطبقة المتوسطة قد توجهوا إلى الضواحى حيث الوظائف والمدارس الجيدة. فى هذه المدينة وضواحيها ينقسم المجتمع وأيضا الكنائس بحسب الطبقة والجنس. لكن توجد بعض المناطق المتوزعة هنا وهناك تندمج فيها الطبقات والجنسيات، وأنا وزوجتى نعيش فى إحدى هذه المناطق المجاورة لفيلادلفيا وتدعى جرمان تون German Town .

إننى أحلم أن يتذكر المسيحيون فى فيلادلفيا الكبرى أنهم واحد فى المسيح، وأن يقرروا أن يحيوا هذه الوحدة أمام العالم. إننى أحلم أن نعقد العزم على أنه من المؤذى أن يتحمل جسد المسيح وضعا كهذا وهو وجود مؤمنين فى قلب المدينة فقراء لا يحظون بتعليم جيد ولا أعمال مربحة ولا بيوت مريحة، بينما يتمتع المسيحيون الذين يقطنون الضواحى بالمدارس الجيدة وبالوظائف وبالمنازل.

أحلم، أن لا يلعن المسيحيون الظلمة، لكنهم يشعلون الشموع ويغيرون الأوضاع. والقسوس والقادة العلمانيون يجتمعون من كل الكنائس ليشيدوا المدارس، ويغيروا وضع التعليم العام حتى تتاح لكل طفل الفرصة فى أن يلتحق بالتعليم العالى. هؤلاء القسس والقادة العلمانيون، يقدمون من وقتهم ومن أموالهم حتى يساعدوا كل أسرة فى المدينة، لكي تشيد أو تجدد منزلا بها ويصبح ملكا لها. كما أن رجال الأعمال المسيحيين فى كل أنحاء العاصمة يقررون رواتب محترمة لكل إنسان يريد ويستطيع أن يعمل. ومن خلال تغييرات وتبديلات مختلفة يتعاون القطاعان العام والخاص من أجل تطوير وتغيير المدينة وضواحيها.

وما أحلم به، هو أن تعقد كل الكنائس في فيلادلفيا الكبرى لقاء يجمع كل الأطراف وذلك بصورة منتظمة. أراهم من مختلف الجنسيات والخلفيات يتعبدون بفرح ويحتفلون في اتحاد وشركة. ثم يتوبون عن العنصرية، ويتعهدون ألا يسمحوا للشيطان أن يقسمهم من خلال الطبقية أو العرقية أو العنصرية، ويتحدون في إتاحة الفرصة في كل المدينة لكل إنسان مسيحي أن يلقى تعليما جيدا، ويحصل على وظيفة لإعالة أسرته، ويمتلك منزلا في مكان آمن حتى يستمتع بعطية الحياة التي وهبها له الله. جميع هؤلاء المسيحيين، يعبدون الرب المقام بالتسبيح والاحتفال الجماعي. ويخبرون المدينة بأكملها أنهم بعملهم هذا يشكرون مخلصهم الذي مات لكي يصالحهم مع الله. وجميعهم يدعون كل من لم يتعرف على هذا المخلص حتى يقفوا معهم أمام صليبه.

أول هدف لنا سيكون الكنيسة من أجل الكنيسة وبالطبع سوف نقدم المساعدة لغير المسيحيين أيضا . وسوف نسعى لأن تعمل الحكومة بعدل. لكن هدفنا الأول هو أن نكون الكنيسة التي يصفها العهد الجديد. وهو أن نسمح لله بأن يكون من المجتمع المسيحي في فيلادلفيا الكبرى صورة مصغرة عن السماء.

هل هذا الحلم بعيد المنال ؟ ممكن.. لكن هل هو غير كتابي ؟ كلا. في الحقيقة لا أفهم كيف نستطيع أن نعلن بأننا نفهم ما يقوله العهد الجديد عن الكنيسة إذا كنا لا نفعل شيئا مثل هذا.

هل هذا الحلم غير معقول ؟ بالطبع لا. سيكون مكلفا، لكن هذا لا يعني أن يصبح المسيحي من الطبقة المتوسطة فقيرا حتى يدفع ثمن تحقيق هذا. فبالإضافة إلى ما نقدمه اليوم من تبرعات، يستطيع معظمنا أن يتبرع بعشرة في المئة من وقته وعشرة في المئة من دخله دون أن يصبح فقيرا. هذا سيكون كاف جدا حتى ولو تبرع ٢٠ فيالمئة فقط من الذين يدعون أنفسهم مسيحيين على مدى عشرين عاما.

هل يشك أحد في ما سيكون رد فعل الله والعالم الذي يلاحظنا ؟ إنهم سيندهشون، وسيشكون، لكن هذا سيتحول إلى تقدير مع مرور الوقت. البعض سوف يبحثون عن طرق لينتقدوننا أو يحطموننا، ولكن العديد منهم ينضمون إلينا ويقبلون إلهنا.

إن حلمي لا يتوقف عند فيلادلفيا. فإنني أحلم أن تنتشر هذه الرؤيا لتصل إلى كل أمة على وجه الأرض. فبمقدورنا أن نفعل نفس الشئ على المستوى العالمي. وبما أن المسيحيين يمتلكون الآن ثلثي ثروة العالم فلن تكون هناك مشكلة مادية. يبقى سؤال وحيد وهو: هل نحن

مستعدون لأن نودع العالم ونعيش مثل المسيح ؟. إذا كنا مستعدين، فالمسيح سيخلق عينة مدهشة من ملكوته الآتي عبر كوكبنا هذا. والعالم سيرى ويؤمن ومن ثم سيتغير.

الفصل السادس

محبة النفس والجسد

الصفة السادسة

المسيحي الحقيقي يحب الإنسان ككل كما فعل يسوع

كانت "كاساندرا" تعيش مع طفلها دون زوج في إحدى ضواحي شيكاغو الفقيرة. وكانت تعتمد على مساعدة الدولة حتى تعيش. عندما أخبرها طبيبها بأنها حامل للمرة الثانية، ابتدأت تفكر في الإجهاض. لكن لحسن الحظ كان طبيبها يعمل في عيادة مسيحية، فاقترح عليها أن تكلم أحد رعاة الكنيسة والمسئولين عن هذا المركز الصحي.

توقعت "كاساندرا" أن يكون القس شديدا، يوجه إليها التأنيب والوعظ. لكنها تعجبت عندما وجدته صديقا لطيفا. استمع إليها ثم دعاها لحضور اجتماعات الكنيسة، وأخبرها عن محبة يسوع لها. بعد بضعة أسابيع قبلت المسيح فامتلأت حياتها بسلام وفرح عميقين.

لكن صديقها "شوين" كان شكاكا، وقد أصيب بالغيرة بسبب كلام كاساندرا الدائم عن يسوع وعن القس "جرانت"، لكنه لم يستطع أن ينكر بأن شيئا جميلا ابتدأ يحدث لفتاته. وفي يوم من أيام الآحاد قرر أن يتحرى الأمور بنفسه. فذهب لحضور اجتماع الكنيسة وهناك وبعد أن أنهى القس "جرانت" عظته قبل "شوين" المسيح أيضا.

كان هذا الجزء هو السهل في الحياة الجديدة لكل من كاساندرا وشوين. فقد بقيا لأربع سنوات في صراع حتى تعلما المعنى الحقيقي لاتباع المسيح. ويقول شوين، "لقد قبلت المسيح في قلبي، لكنني لم أكن قد ملكته ربا على حياتي. وبكل محبة وصبر تابع القس جرانت وزوجته "دوروندا" كاساندرا وشوين، وصليا معهما كثيرا، وكانا ينميان ببطء، إلى أن أتى يوم، قررا فيه أن يتزوجا. كان زواجهما هذا هو أول زواج مسيحي يحدث ضمن أسرتيهما ! وقد طلبا من الله أن يكون زواجهما شهادة حية أمام أقربائهما، ويعرفون أن الزواج الذى مركزه المسيح هو الزواج الصحيح. وقد استجاب الله لصلاتهما، إذ أصبح عدد كبير من أقرباء شوين مسيحيين حقيقيين.

لم يعد شوين وكاساندرا يعتمدان على مساعدات الدولة حتى يعيشا. فكاساندرا تعمل اليوم في إرسالية لخدمة المدينة (CUM)Circle Urban Ministries، وهى إرسالية مسيحية تقدم العديد من الخدمات فى مجال التعليم والخدمات الصحية والتدريب على الوظائف، وإقامة مشروعات صغيرة. أما شوين فقد أصبح مديرا عاما لأنجح مشروع لهذه الإرسالية وهى المشروعات الصغيرة. ولقد طور التمرس فى العمل مواهب شوين الطبيعية. وفى سنة ١٩٩٣ وظفت الشركة التى يديرها ١٢ موظفا بصورة مستديمة وحققت أرباحا وصلت إلى خمسين ألف دولار.

لقد غير الله حياة شوين وكاسندرا بصورة معجزية. كيف؟ من خلال مؤمنين من هذه الكنيسة الرائعة شاركوهما الإنجيل كاملا ثم رافقوهما بينما كان الله يشكلهما ليصيرا إنسانين كاملين.

وإنى أتساءل ماذا كان سيحدث لو تواجد كل من كاساندرا وشوين في كنيسة تقليدية. العديد من الجماعات المتحررة دينيا كانت ستقدم لهما وبكل سرور سلال الطعام، والعناية الصحية والتدريب الوظيفي، دون أن يخبروهما عن المخلص الذي يشتاق أن يغير قلبيهما وحياتيهما.

من جهة أخرى، كانت العديد من الكنائس المحافظة، قد أخبرتهما عن المسيح لكن أهملت أن تمد لهما يد المساعدة بالنسبة للوظيفة والتطبيب، لأن هذا من اختصاص "الخدمة الاجتماعية".

لكن شوين وكاساندرا كانا يحتاجان إلى كل هذا حتى يختبرا الكمال الذى يريدهما الله أن يستمتعا به. لحسن الحظ قادهما الله لكنيسة روك Rock Church ولإرسالية خدمة المدينة حيث يهتم المسيحيون الأمناء بالجسد والنفس معا. إنهم مثل المسيح يهتمون بالإنسان بأكمله. وقد كانت النتيجة رائعة بالنسبة لشوين وكاساندرا كما إن تغييرهما لا يزال يؤثر فى أسرتيهما الكبيرتين . إن الاهتمام بالإنسان بأكمله، كما فعل يسوع، يصنع معجزات. لكن هذا لا يحدث في المسيحية التى تنحاز إلى جانب واحد.

هذه القصة تشير إلى أحد الأسباب الهامة التىتؤدى إلى ضعف الكنيسة المعاصرة. إن جذور المشكلة معقدة لكن فى بداية القرن العشرين، تنبهت إحدى المجموعات المسيحية، وهى مجموعة "الإنجيل الاجتماعي"، لأهمية التحرك الاجتماعي.

فى نفس الوقت شعرت مجموعة أخرى كبيرة، وهم الإنجيليون أنها مدعوة لتركز على التبشير. واستمرت هاتان المجموعتان تنتقدان بعضهما البعض لعقود عديدة.

أعلنت مجموعة "الإنجيل الاجتماعي" أن يسوع والكتاب المقدس يدعواننا لأن نهتم باحتياجات الناس الجسدية. وقد كانوا على حق.

وأصر الإنجيليون بأنه لا شئ أهم من العلاقة الحية مع الله في المسيح، وبنوا اعتقادهم هذا على ما قاله يسوع والكتاب المقدس. وقد كانوا على حق أيضاً. وبكل أسف، كل فريق استخدم بجهل إهمال الفريق الثاني لنصف الرسالة المسيحية ليهمل هو النصف الآخر. وكانت النتيجة، كنائس منحازة غير مؤثرة.

كيف يستطيع أناس يعترفون أن يسوع هو إله كامل وإنسان كامل، أن يهملوا التمثل بيسوع ؟ كيف يستطيع أناس يعبدون المسيح الكلمة الأزلي الأبدي الذي صار جسداً، أن يتجاهلوا الربط بين الكلام والعمل ؟

إن اهتمام يسوع الرقيق بالإنسان بأكمله- النفس والجسد- واضح فى الإنجيل كله. كان يسوع يعظ ويشفى، وكان يسدد احتياج القلوب المتعبة والأجساد المريضة. ويقول البشير متى بصريح العبارة "وكان يسوع يطوف المدن كلها والقرى، يعلم فى مجامعها، ويكرز ببشارة الملكوت، ويشفى كل مرض وكل ضعف فى الشعب".

تُرى لماذا ؟ لأنه يحب الإنسان- الإنسان ككل- ويرد فى الإنجيل فى أماكن عديدة أن يسوع كان يشفى الناس لأنه كان يعطف عليهم (متى ١٤ : ١٤ ١٥ : ٣٢- ٢٠ : ٣٤، مرقس ١ : ٤١). وأن اهتمامه الرقيق بالأرملة التى مات ابنها مازالت تهزّنا ونحن فى القرن العشرين. "فلما رآها الرب تحنن عليها وقال لها لا تبكِ" (لوقا ٧ : ١٣). وأقام يسوع الولد لأن قلبه تألم من أجل هذه الأرملة الوحيدة الباكية.

والأناجيل تبين لنا بوضوح أن يسوع أمضى الكثير من وقته يشفى الأمراض الجسدية. لم يكن سبب هذا اعتقاده أن الحياة على هذه الأرض هي أهم شئ. فيسوع علم بوضوح أنه حتى ولو ربح الإنسان كل هذا العالم لا ينتفع شيئاً إذا لم يختبر علاقته بإلهه (مرقس ٨ : ٣٤ – ٣٨). لقد خطط لنا الخالق أن نعيش معه إلى الأبد، لهذا فلا شئ فى هذا العالم كله يستحق أن نعرّض علاقتنا بالله للهلاك.

وبكل أسف، غالباً ما يحرّف المسيحيون التعليم الهام، فبعضهم فهم من مرقس ٨ : ٣٤ - ٣٨ أن التبشير هو الشئ الوحيد الهام. فخلاص النفوس هو هدفنا الرئيسى، أما شفاء الأجساد المريضة والمجتمعات المحطمة فغير هام.

لكن المسيح لم يقل هذا أبداً. وأعماله تبرهن العكس تماماً. كان بوسع يسوع أن يقضي كل وقته في الوعظ وحث الناس على التوبة. وهو في كل الأحوال، أكثر من يعلم أهمية الإيمان الشخصي بالله. من يلقي نظرة مدققة على الأناجيل، يرى أن يسوع كان يقضي وقتاً مماثلاً لتسديد احتياجات الناس الجسدية. إذاً كان المسيح هو الله في الجسد، إذاً يجب أن يكون مثالنا الأكمل. وبما أنه اهتم بالإنسان بأكمله، هكذا يجب أن نفعل نحن. وإذا رفضنا، فإننا نعصى الذي نعبده.

لقد اهتم يسوع بالإنسان كله لأنه هو الخالق. فقد عرف أننا لم نُخلق من أجساد فقط أو نفوس فقط. لكن الإنسان هو جسد ونفس في المجتمع.

إن أي فكر عن الإنسان أنه فقط جسد أو فقط نفس هو بكل بساطة فكر غير كتابي. بما أننا لسنا مجرد كائنات مادية، فلا شئ في العالم المادي يستطيع أن يشبعنا. فالغنى والجنس والنفوذ السياسي *كلها* في النهاية لا شئ. لقد صنعنا حتى تكون لنا علاقة مع الله، ونحن مدعوون لكي نعيش إلى الأبد في محضر الله. لذلك فإن أي حل للمشكلة البشرية يركز بصورة أساسية على التنمية الاقتصادية أو التغيير الاجتماعي مروراً بالسياسة متوقع فشله.

من جهة أخرى، فإن أجسادنا ليست وليدة الصدفة. فالخالق صنعنا وحدة متكاملة من النفس والجسد، حتى الرسول بولس عندما اشتاق أن يترك الجسد ويكون مع الرب، أصرَّ وقال: إن خطة الله الأخيرة هي إن يقيم أجسادنا – وأن كمال وحدة الجسد والنفس هي قصد الخالق (٢ كورنثوس ٥ : ١-٤ ، ١ كورنثوس ١٥ : ٣٥). إذا كان الجسد رائعاً لدرجة أن الخالق صار جسداً، وقام بالجسد، ووعد أن يحفظ كل النظام المخلوق ومن ضمنه أجسادنا . إذاً أي إهمال أو تجاهل للاحتياجات البشرية هو ضلالة.

المبشر و الاجتماعي الزنجي جون بيركنز John Perkins ، ينوه بأهمية هذا الموضوع. فبينما كان يعمل وسط عنصرية البيض، كان يسمع منهم هذه العبارة "يا جون، إني أحب نفسك". كانوا يودون أن يقودوه للمسيح دون أن يحدث صراع عرقي أو ضغط اقتصادي. أما إجابة بيركنز فكانت كتابية بحتة، "إن نفسي موجودة في جسد أسود إذا وددتم أن تصلوا إلى نفسي عليكم أولاً أن تتعاملوا مع هذا الجسد".

إن تعاليم يسوع والنموذج الذي قدمه وأيضاً نظرة الكتاب للأشخاص، سببان من الأسباب الكتابية الكثيرة لرفض المسيحيين الحقيقيين في قضاء كل أوقاتهم وبذل كل جهودهم في الكرازة فقط. وكما سنرى في الفصل التاسع، أن إله الكتاب المقدس يهتم بصورة خاصة بالفقراء

والضعفاء، وهو يأمر شعبه أن يشاركوه هذا الاهتمام. والأكثر من هذا، الرب يسوع المسيح، هو رب كل الحياة، وهذا يتضمن الاقتصاد والسياسة (انظر الفصل الثامن). في الفصل الخامس الذي يتكلم عن الكنيسة، رأينا كيف أن الوحدة في المسيح تعني أن نهتم كمؤمنين باحتياجات بعضنا البعض الروحية والجسدية. وعندما يعود المسيح، سيقوم المؤمنون جسدياً والخليقة التي تئن سوف تصبح كاملة، والأمم سوف تدخل أورشليم الجديدة. إذا كنا نُصَدق الكتاب المقدس، يجب أن نصدق بأن العمل الجسدي والحياة البشرية والتاريخ تهم الله جداً.

لقد خُلق البشر حتى يعيشوا على هذه الأرض ويستمتعوا بخيراتها. فعظمة إرسال صاروخ عبر الفضاء، وفرحة شاب وفتاة بالحب، ولوحات مايكل أنجلو، كل هذه عطايا رائعة من خالق مُحب غير محدود العطاء. إنها رنين صوت الله المحب وليست الله نفسه.

لكن نحن أيضاً مخلوقين حتى نعيش ونحكم إلى الأبد مع الرب المقام في العالم الآتي. عندها ستكون الحياة مختلفة عن التاريخ الذي نعيش فيه الآن. لذلك فلا شئ نستمتع فيه الآن في هذا العالم له قيمة بالمقارنة مع علاقة الخلاص التي لنا في المسيح الذي يهب الحياة الأبدية. فإذا أبقينا قلوبنا موجهة نحو حبيبنا القدوس، بينما نتمتع بعطاياه الرائعة، نستطيع عندها أن نحافظ على التوازن الكتابي بين التبشير والتغيير الاجتماعي.

كم هو مؤسف أن نجد اليوم بعض المسيحيين يرتبكون ويخجلون من أن يخبروا أصدقاءهم عن مخلصهم المدهش. وكم هو مؤسف أيضاً أن نجد بعض المسيحيين مشغولين جداً بقضية الظلم في المجتمع، وأيضاً الحفاظ على البيئة، ولا يجدون الوقت لكي يخبروا الأشخاص المائتين أن الله يدعوهم لفرح أبدي.

في يومنا هذا، لا يوجد شئ أهم من أن يخبر كل مسيحي الآخرين عن يسوع. المسيحيون الأمناء يُغَذون لهفتهم للتبشير من خلال صلواتهم وأفعالهم.

نحن نبشر بمحبة الله العجيبة "لأنه هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد، لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية" (يوحنا ٣ : ١٦). فإذا كانت هذه المحبة المغيرة قد أدركتنا وأحاطتنا، كيف نفشل في أن نقود الآخرين للإنجيل ونحن نفهم تفرّد المسيح؟ فالجليلي الذي كان بطلاً بالنسبة للنساء المحتقرات، والبرص والمتسولين هو الكلمة الأزلي الأبدي الذي سُرَّ الله أن يكون فيه كل الملء (كولوسي ١ : ١٩). إذا كنا نصدق الاعتراف الرئيسي في الكنيسة وهو أن خالق هذا الكون قد داس كوكبنا الصغير، كيف نفشل في أن نخبر الآخرين أنه منذ مئات السنين قد صار الله جسداً في أرض فلسطين؟

ونحن نخبر الآخرين عن المخلص لأن يسوع هو الطريق الوحيد للخلاص. ونعترف مع بطرس "ليس بأحد غيره الخلاص، لأن ليس اسم آخر تحت السماء قد أعطى بين الناس به ينبغي أن نخلص" (أعمال ٤ : ١٢). إذا كنا نعرف أنه الطريق الوحيد، كيف نهمل أن نخبر الذين لم يسمعوا ؟

ونحن نبشر بالإنجيل خضوعاً لوصيته الأخيرة. فنذهب إلى كل أمة على هذه الأرض، وبكل طاعة وسرور ندعو الجميع فى كل مكان أن يصبحوا تلاميذاً له ويقبلوا المعمودية ويطيعوا تعاليم المسيح (متى ٢٨ : ١٩-٢٠). إذا كنا نعلم من هو بالحق، هل نجرؤ، ونعصى وصيته الأخيرة ؟

ونحن ننشر الأخبار السارة لأن يسوع هو أفضل هدية يمكننا أن نقدمها. نحن نعلم أنه لا يوجد شئ أبداً ممكن أن نشاركه مع الآخرين، ويجلب لهم الفرح والبركة مثل معرفتهم الشخصية بربنا. فهل نقدر أن نحب جيراننا دون أن نشاركهم أفضل كنز عندنا ؟

ونحن نعلن أيضاً الإنجيل، لأننا نعلم أن البشر تائهون، الآن وفى الأبدية بدون يسوع المسيح. ولأننا نعلم أن "الكل أخطأوا وأعوزهم مجد الله (رومية ٣ : ٢٣). ولأننا نعلم أيضاً أن البعض سوف يسمعون يوماً ما كلمات يسوع المرعبة: "اذهبوا عني يا ملاعين إلى النار الأبدية"(متى ٢٥ : ٤١) . فإننا نبشر بحماس واهتمام إذا كنا نُصدّق تحذير يسوع هذا، كيف لا نصرخ بخوف ورعدة : أرجوك يا ابني، يا ابنتي، يا قريبي، تحوّل عن طريق الموت واتجه نحو المخلص المحب الذى يبحث عنك وهو فاتح ذراعيه !

نحن ندعو الآخرين ليتبعوا المسيح، لأنه من خلال حياة يسوع وموته وقيامته، مزّق الله الحجاب وأرانا لمحة من المستقبل. ونحن نعلم أن مسرّة الله هى أن تصبح كل ممالك هذا العالم ملكوتاً لربنا (رؤيا ١١ : ١٥). ونعلم أيضاً أنه حتى الخليقة التى تئن سوف تُشفى عندما يأتى المسيح ثانية. إذا كنا نفهم خطة الله العظيمة هذه، كيف لا ندعو الآخرين بشوق ليستمتعوا بكل هذا ؟

وأخيراً، نحن نُقدم الإنجيل حتى يمتلئ العالم بمجد الله. لقد تاق الرسول بولس إلى اليوم الذى يرى فيه كل لسان يعترف أن يسوع المسيح رب لمجد الله الآب (فيلبى ٢ : ١١) . والآن بعد أن ذقنا حلاوة وقدرة مجد الله، ألا نسعى بشوق حتى ننشرها فى الكون كله ؟

إن أكثر ما يحتاجه عالمنا المحطم هو الإنجيل. لكن يجب أن يكون الإنجيل الكتابى الصحيح وليس ترجمة ضعيفة لا تفى بالغرض. والمسيحيون الأُمناء يقبلون بسرور التبشير

والاهتمام بالمجتمع لأن الإيمان الكتابي يطلب هذا، فالمسيح هو نفسه الذي وضع هذه المفاهيم، وهي وحدها التي تسد الاحتياج.

لقد رأينا كيف أثرت محبة كنيسة رووك وجمعية خدمة المدينة بصورة إيجابية في شُوين وكاساندرا فرانكلين وغيّرت حياتيهما. وقصتهما ليست وليدة الصدفة كما أنها ليست حادثة متفردة. فقد آمن المئات والمئات بالمسيح من خلال هذه الكنيسة والجمعية عبر العشر سنوات الفائتة.

ونفس الشئ يحدث من خلال خدمات وجمعيات مسيحية أخرى عديدة. هنا أذكر على سبيل المثال صديقي لوني مدلي Lonnie Medley من فيلادلفيا، فكنيسة القس ميدلي Medley المعمدانية، بعد أن كان عدد أفرادها لا يزيد عن ثلاثة وستين أصبحت خلال الخمس سنوات الفائتة سبعمائة عضواً . كيف حدثت هذه المعجزة في قلب المدينة في شمالي فيلادلفيا ؟ إن القس ميدلي وكنيسته يهتمان بالإنسان ككل كما كان يفعل يسوع.

كان الوضع يبدو ميئوساً منه عندما ابتدأ عدد أفراد الكنيسة في هذه الكنيسة في شهر نوفمبر من سنة ١٩٩٠. كان عدد أفراد الكنيسة مائة. لكن - وكما قال لي لوني مؤخراً - إن عشرين منهم كانوا مهملين - وخمسة عشر، كان سنهم تحت الستين - كان هناك عشرة فقط من المسيحيين الحقيقيين الأمناء. كما كان مبنى الكنيسة يحتاج إلى إصلاحات عديدة. يوم الأحد كان عدد الحضور لا يتعدى الخمسة عشر، كما كان رئيس لجنة الشمامسة في التاسعة والتسعين من عمره

في أقل من خمس سنوات زاد عدد أعضاء الكنيسة المعمدانية ليصبح سبعمائة وذلك من خلال التبشير والخدمة الاجتماعية. في السنة الأولى كان القس ميدلي ومجموعة صغيرة يصلّون من أجل الحكمة في التبشير. ثم بعد أن تدرب بعض القادة المسئولين على التبشير، أقاموا احتفالاً تبشيرياً في الشارع. إن أربعين في المائة على الأقل من الأعضاء الجُدد الذين انضموا إلى الكنيسة هم ثمر البرنامج التبشيري في هذه الكنيسة، كما أنه يوجد برنامج تدريبي يعلم الأعضاء كيف يكونون مبشرين مؤثرين.

هذا وإن الخدمات الاجتماعية لها نفس الأهمية في هذه الكنيسة المعمدانية. كان القس ميدلي نفسه مدمن مخدرات قبل أن يتعرف بالمسيح، ولهذا كان مثقل بنوع خاص للخدمة وسط المدمنين. لذلك خصصت الكنيسة مقراً لهذه الخدمة وأعدت برنامج إعادة تأهيل لهؤلاء المدمنين. واليوم تخدم الجمعية المسيحية في الكنيسة المعمدانية في العديد من برامج

التدريب على الأعمال، إقامة مشروعات صغيرة، التدبير المنزلي، ومساعدة منخفضي الدخل في بناء منازل، التدريب والإرشاد وإعادة تأهيل المدمنين . ويرأس لوني هذه المؤسسة المنفصلة عن الكنيسة ويحرص دائماً أن تتعاون الكنيسة والمؤسسة في الخدمة.

عندما كنت في كنيسة لوني ومعي مجموعة قال لنا : تركز معظم الكنائس على الروحيات وتهمل سائر احتياجات الفرد . إنهم يقولون "اذهب إلى المنزل وصلِّ"، لكنهم لا يخدمون خدمة كاملة. بالنسبة للوني هذه خدمة غير مثمرة وتتصف بالجهل لأن "جوانب أخرى من حياة الإنسان تعاني وتتألم. ويؤكد ميدلي ويقول : "يسوع قام بالخدمتين معاً ، لذلك فإن هذه الكنيسة تعتمد على التبشير والخدمة الاجتماعية.

هذه الطريقة نجحت في كنيسته. ليس من السهل الانضمام إلى هذه الكنيسة. فالأشخاص الذين يودون أن يصبحوا أعضاء عليهم أن يمضوا ستة عشر أسبوعاً في صفوف التعليم ثم يقابلون الراعي ميدلي حتى يتأكد من رغبتهم بالانضمام إلى الكنيسة،والمئات ينضمون. وإني لست مندهشاً. إنهم يرون أمام عيونهم التغيير الذى يحدثه الإنجيل بالمدمنين، والأمل والعمل الذى يجلبه للأمهات العاطلات. هذه أخبار سارة. لكن الأخبار الأكثر سروراً هو أنه تنتشر الآن العديد من الخدمات الشاملة في سائر أنحاء العالم، مثل الكنيسة المعمدانية في فيلادلفيا وكنيسة روك وجمعية خدمة المدينة، فهناك برنامج فني وكولين صموئيل Vinay & Colleen Samuel المماثل في مناطق فقيرة جداً في الهند، هذا البرنامج يخدم خمسين ألف شخص، ويقود منهم العديد إلى المسيح بصورة مستمرة. وهناك أيضاً مجموعة إخوثيوس Ichthus التي تخدم بالكلام والعمل وسط فقراء لندن. هذه المجموعة كانت تتشكل من أربعة عشر فرداً منذ عشرين سنة وأصبح هذا العدد ألفين. إني أعرف الكثير من الخدمات المثمرة التي تخدم الإنسان بالكامل. وقد ذكرت بعض أفضل قصصهم في كتابي "كأس ماء و خبز الحياة". في الولايات المتحدة الأمريكية وحدها، منظمة تطوير المجتمع المسيحي (Christian Community Dovelopment Association) لديها المئات من الخدمات التي تسعى من خلالها لتطوير المجتمعات المتواجدة فيها، وذلك من خلال البرامج الكاملة التي نجحت في كنيسة روك وجمعية خدمة المدينة.

هناك سبب جيد يدعنا نصدق أن الانفصال المأساوي للكرازة عن التغير الاجتماعي سوف ينتهي. ففي المؤتمر العالمي للجنة لوزان من أجل تبشير العالم الذى عقد عام ١٩٨٩ بمانيلا، كان هناك تأكيد على هذا الموضوع: "الأخبار السارة والأعمال الخيّرة غير منفصلين". والإنجيليون الذين كانوا يعتمدون سابقاً على التبشير فقط، ابتدأوا يقومون الآن بالخدمة الاجتماعية. والمسيحيون الذين كانوا يترددون في أن يبشروا، أكدوا على التزامهم بنشر الكلمة.

فكر في ظاهرة نمو الخدمات التبشيرية والاجتماعية في العقود القريبة الماضية. فمنظمة الرؤيا العالمية World Vision التي انتشرت خدماتها في مائة دولة ابتدأت بخدمة بسيطة موجهة لأيتام كوريا. وقد وصلت ميزانيتها السنوية عام ١٩٩٤ إلى ٣٤٠ مليون دولار. والعديد من الهيئات الأخرى مثل Compassion وWorld Relief و World Concern يجمعون عشرات الملايين من الدولارات سنوياً لإطعام الجياع ومساندة الفقراء.

والتبشير لم يعد مقتصرا على المجموعة الإنجيلية التقليدية. فالإنجليكانيون قرروا أن يكون عقد التسعينات عقداً للتبشير. وقد دعى البابا جان بول الثاني سنوات ١٩٩٠ وحتى ٢٠٠٠ "بسنوات التبشير العالمي" وقد ناشد في رسالته الحديثة Missio Redemptoris من أجل الاتحاد لمشاركة الإنجيل مع الذين لا يعرفون المسيح. "إن الفقراء جائعون لله وليس فقط للخبز والحرية .

وبينما نقترب من العقدين القادمين، سوف نستمتع بزواج أفضل من خلال الكلام والعمل، وسيكون أفضل من أي زواج حصل في القرن الماضي. فهناك المئات من الخدمات الكاملة مثل كنيسة روك وجمعية خدمة المدينة والكنيسة المعمدانية، حيث تسير الكرازة في توازِ مع الخدمة الاجتماعية، لتغيير المحطمين واليائسين.واتزانهما الكتابي ونجاحهما الظاهر للعيان، يلهم الآلاف من الخدام الجدد أن يحذوا حذوهما كما تبعا هما المسيح. يجب أن نصلي ونتوقع من الرب أن يقيم عشرات الآلاف مثل هذه الخدمات في كل العالم، ألا يسر يسوع إذا وجد مليونا من هذه الخدمات ؟!

هذا ما أحلم به للقرن الحادي والعشرين. إنني آمل أن يأتي وقت تتابع أعداد كبيرة من الكنائس رؤية يسوع في محبة الإنسان كله. إني أرى الآلاف من الجامعات المسيحية وكليات اللاهوت في كل أنحاء العالم يتمثلون بالمسيح، ويرسلون كل سنة عشرات الآلاف من القادة المدربين والمتحمسين ليرعوا هذا التوازن في الكنائس بصورة كتابية متوازنة، أتخيل أعداداً من الكتب، ودروس مدارس الأحد، وحلقات تدريب العلمانيين حتى يدمجوا التبشير بالخدمة الاجتماعية.

إنني أحلم باليوم الذي فيه تصبح المجموعة التي تهمل التبشير هي الخارجة عن القاعدة. وأتوق للوقت الذي يكون فيه جميع المسيحيين ضمن مجموعات ينضم إليها كل شهر العديد من الأشخاص الذين يختبرون الخلاص. وأشتاق لليوم الذي يكون فيه المسيحيون ضمن مجموعات تساعد المحتاجين وترفض أي نوع من العداوة وتصل إلى المجتمع المفكك.

إننى أتوق إلى اليوم الذى فيه تطيع الكنيسة وصية يسوع الأخيرة بحق : كما أرسلنى الآب أرسلكم أنا (يوحنا ٢٠ : ٢١). لو أن مجموعة قليلة العدد من الكنيسة تتجرأ أن تطيع وصية يسوع هذه فإن أسوار إبليس سوف تهوى والملائكة ستهلل والعالم سيتجدد.

كما أن العديد من اليائسين سوف يجدون الأمل، مثل جوان دى جيسس Juan de Jsus وهو مدمن يملؤه الحقد والغضب كان يقترب من الموت بسبب إصابته بمرض الإيدز. فى الحقيقة عندما علم جوان أنه مصاب بالإيدز ، جن جنونه فلوّث حوالى ألفين حقنة بدمه قبل أن يبيعها للمدمنين. ونتيجة لذلك أصيب المئات بهذا المرض. كيف يعقل بعد هذا بخمس سنوات، وعند موت جوان أن يقول القس بأن جوان كان أفضل نموذج، قد رآه لقوة الله المغيرة ؟

لقد كانت الحياة فى مدينة نيويورك صعبة بالنسبة لهذا الشاب القادم من بورتوريكو. وقد عوده والده المدمن على المخدرات، وعلمه أيضاً كيف يتعاطى المخدرات ويعيش في حياة الدعارة، وعاش هكذا لسنين عديدة. فى ربيع سنة ١٩٩١ دخل المستشفى وكانت حالته المرضية متأخرة، كانت حالته تسوء كل يوم. وتوقع طبيبه ألا يعيش سنة أخرى من حياته وقد حاول جوان أن ينتحر لكن محاولته فشلت.

كان هناك شعاع واحد من الأمل فى حياة جوان بينما كان ينتظر الموت. فقد كان هناك زائر يداوم الحضور إلى المستشفى ليجلس قرب سريره بهدوء ويتحدث معه ويسأله كيف يمكن أن يساعده وأخيراً وبعد فترة قبل جوان أن يستمع لهذا الزائر وهو يكلمه عن محبة الله. ذات ليلة، صرخ جوان وقال: "يا يسوع، إذا كنت حقاً الله، دعنى أعرفك قبل أن أموت".

وابتدأ يتحسن ببطء. وقرر صديقه أن يجد له منزلاً بعد أن يخرج من المستشفى. لكن المستشفى أعادت لجوان ما كان بحوزته قبل ساعة من موعد خروجه. وترك جوان المستشفى دون صديقه، فصرف كل المال الذى يمتلكه على المخدرات. وعاد اليأس يغمر حياته.

وبينما كان ذات يوم جالساً في منتزه عام شرع فى الانتحار للمرة الثانية. فى تلك اللحظة رأى شاباً يتقدم منه. أول فكرة خطرت له هى أن يوجه إليه لكمة توقعه أرضاً حتى يسرقه، هذا ما اعتاد أن يفعله. لكن الشاب توجه إليه وقال له : "يسوع يحبك. لقد كان والدى مدمناً مثلك ويسوع ساعده حتى يتوقف".

بقى جوان متردداً. هل يضربه ؟ ولكنه، وبعد تلكؤ قبل أن يرافق هذا الشاب. ووجد جوان كنيسة مليئة بالمحبة والفرح والانتعاش. فآمن بالمسيح وقبل بفرح أن تجد له الكنيسة مكاناً فى برنامج مسيحى لإعادة تأهيل المدمنين.

المكان الوحيد الذى وجدوه كان مركزاً اسمه إسبرانز Esperanze فى شمالى فيلادلفيا، وقد أسسه صديق عزيز لى اسمه د. كارولين كالايس Dr. Carolyn Klaus. إن أطباء وممرضات هذا المركز المسيحى يقدمون عناية صحية ممتازة بالإضافة إلى محبة المسيح. إنهم يقدمون التمريض والبشارة.

وأصبح الدكتور ميك مور Mick Moore طبيب جوان عندما تقابل الدكتور مع جوان لأول مرة فى يناير ١٩٩٢، كان جوان مريضاً ويائساً. خلال ذلك اليوم، كان الدكتور Moore مشغولاً جداً فلم يستطع أن يعطى جوان من وقته إلا ما يكفي حتى يصرف له الدواء ويقدم بعض الكلمات المشجعة. وأعطاه أيضاً كتيباً يحتوى على الآيات الكتابية المختارة خصيصاً للمصابين بمرض الإيدز. وقد زار الطبيب جوان بعد أسبوع، تعجب الدكتور مور من التغيير الواضح الذى طرأ عليه. واكتشف أن الآية الواردة في (يوحنا ٣ : ١٦) قد أثرت بقوة فى قلب جوان.

وتابعه الدكتور مور عن قرب خلال الشهور التالية. قدم له العلاج بالدواء، والاستشارة والصلاة. كان الطبيب يصلي أن يفعل الله ما لا يمكنه هو أن يفعله. ثم توقف جوان عن الصلاة من أجل شفائه، وكان يسأل الله أن يحفظه صامداً.

ووهبه الله ثلاث سنوات أخرى من الحياة، وأمضى جوان هذه السنوات يشهد بقوة ومحبة الله لمرضى الإيدز الذين كانوا يقتربون من الموت.

وتعلم جوان القراءة حتى يستطيع أن يدرس الكتاب المقدس. ثم نزل إلى الشارع، لكنه كان إنساناً مختلفاً تماماً، فكان يخبر الآخرين فى المنتزهات وفى زوايا الشوارع كيف غيَّر يسوع حياته. وزار مرضى الإيدز وهم على فراش الموت فى المستشفى حتى يشجعهم ويقدم لهم المسيح. وكان الدكتور مور يسأله أحياناً أن يزور بعض مرضاه فى المستشفى، وحتى بعد أن دخل جوان المستشفى مرة أخرى، استمر يشجع المرضى الآخرين.

فى الشهور الأخيرة من سنة ١٩٩٤ تدهورت حالة جوان لكن حتى فى تلك الفترة من مكوثه في المستشفى، استمر إيمانه بالله وثقته فيه يزيدان. وعندما سأله الدكتور مور ما أهم شئ يود أن يتذكره به الآخرون، فأجاب : أن يتذكروا أن الله حقيقى، وهو يحيا فىَّ". ومات جوان بسبب الإيدز يوم ٤ فبراير ١٩٩٥. وكما قال الدكتور مور بكل قوة، إن الشافى الأعظم كانت له كلمته الأخيرة : "عندما أنهكت قوى جوان ولم يستطع الطب أن يقدم له المزيد، رأى الرب ألا يبقيه هنا، بل أن يأخذه إليه ويشفيه في محضره".

لو أن المسيحيين الذين يحبون الإنسان بأكمله قد وصلوا إلى جوان قبل ذلك بسنوات لكان هذا أفضل. عندها كان من الممكن له أن يتمتع بحياة طويلة تتسم بالفرح والمحبة. لكن حتى بعد أن ابتدأ مرض الإيدز يزحف في جسده، استمر الشافي القدير في عمله، أولاً لكي يبقى جوان ثلاث سنوات على قيد الحياة يخدم بلطف وبتأثير قوى، وبعدها لكي يشفيه كلياً في محضر الرب المقام حيث الفرح الذى لا ينطق به .

الفصل السابع

هل نطفئ شموع الآخرين؟

الصفة السابعة

المسيحيون الحقيقيون يتألمون من الانقسام في الكنيسة ويقبلون كل من يعترف أن يسوع هو الله والمخلص

في سنة ١٩٩٣ في صباح عيد الفصح، وبينما كنت أمام قبر يسوع الفارغ مع زوجتي رأيت مشهداً محزناً. كنا قد توجهنا إلى الكنيسة التي يوجد فيها الضريح المقدس في أورشليم، وكما يقال إن هذه الكنيسة شيدت في المكان الذي وضع فيه يسوع في القبر. وبما أننا كنا زائرين لا نعرف شيئاً عن المراسم الكهنوتية وصراعات الكنيسة القديمة، التحقنا بالجموع الغفيرة ووقفنا أمام الحجر التذكاري الذي وضع فوق القبر الأصلي، وشاهدنا الكاردينال الكاثوليكي وهو يقود خدمة عيد الفصح.

فجأة وخلال الاحتفال، ابتدأ البوليس الإسرائيلي يشق طريقاً بين الجموع. كان يمشي خلفهم مجموعة من المسيحيين الأرثوذكس وهم يهللون ويحتفلون بدخول يسوع الانتصاري إلى أورشليم.

كان الكاثوليك الذين يحتفلون بعيد الفصح قد أناروا عشرات الشموع الصغيرة حول القبر الفارغ. وفجأة هَرول كاهن أورثوذكسي نحو هذه الشموع وأطفأها كلها بغضب.

اندهشتُ لما يحدث، فتقدمت منه وسألته بتردد لماذا فعل هذا؟ فردَّ عليَّ: "لأن الشموع ممنوعة"وتساءلت: "من منعها؟" وأجابني :"أنا منعتها". وحاولت أن أشرح له بأني لا أنتقده، ولكني أريد أن أفهم ماذا يحدث؟، فأصريت على سؤالي وقلت: "هل يُمنع هنا إنارة الشموع على الدوام، أم في أوقات معينة فقط؟" فشرح لي قائلاً: "الشموع ممنوعة حتى يوم الأحد القادم. فهذا الأحد هو أحد الشعانين (السعف) عند الكنيسة الأرثوذكسية، ولا يمكن أن تشتعل الشموع قبل أحد الفصح، وإذا كان الكاثوليك يظنون أن هذا الأحد هو أحد القيامة، فهذا من حظهم السيئ، هم وتواريخهم وشموعهم. هذا ما فهمته.

إن الأراضي المقدسة مليئة بما يذكرنا بأن جسد المسيح منقسم. لقد ظلت أسرة مسلمة تحتفظ لعدة عقود بمفتاح كنيسة الضريح المقدس لأن المسيحيين لم يتفقوا فيما بينهم على من "يسيطر على" هذه الأرض المقدسة.

أنا لا أقصد أن ألقي اللوم على الكاثوليك والأرثوذكس فقط. فالإنجيليون البروتستانت بدورهم عندما يأتون إلى البلد الذى وُلد فيه المسيح، يهملون وجود كنيسة مسيحية كُلياً.

وانتابني شعور عميق بالحزن عندما وضحت لى هذه المأساة. سرت أنا وزوجتى بهدوء متوجهين إلى حجر المرمر حيث وضع جسد المسيح تجهيزاً لدفنه، وذلك حسبما تقول التقاليد. وجثوت هناك مع الجموع وابتدأت أبكى. كان الآخرون يبكون أيضاً حزناً على جسد يسوع الذى عذبه الرومانيون على الصليب، لكنى كنت أبكى على المأساة الفظيعة،على المسيحيين المعاصرين الذين يقسمون جسده اليوم بنزاعاتهم الحقيرة وتمسكهم الأعمى بالتقاليد.

فى ذلك الصباح شعرت بعار انقسامنا بطريقة مؤلمة وجديدة. لقد اختبرت أن انقسامنا هو عصيان فظيع وخطية مريعة يجب أن نتوب عنهما. وبينما أنا جاث فى ذلك الصباح أمام القبر الفارغ، أيقنت أن إلهى المقام يدعونى لكى أسعى إلى شفاء هذه الانقسامات فى جسده الواحد.

أنا لا أقصد أن نتغاضى عن الاختلافات اللاهوتية الرئيسية، إذ علينا أن نبقى أمناء للحقائق الكتابية، ولا نجرؤ أن نفعل ما حذر منه توزر A.V. Tozer: "لقد ذبحت الحقيقة حتى تقدم على مائدة احتفال زواج بين السماء والجحيم".

لكن المسيحيين مدعوون للوحدة وللمحبة وللدفاع عن الحق، ويشجعنا العهد الجديد بصورة مباشرة لكى نفعل كل ما بوسعنا حتى نتحاشى الانقسام. لماذا؟ لأنه يوجد جسد واحد للمسيح فقط، ويوجد إنجيل واحد (غلاطية ١: ٦-٩)، وخلاص واحد (أعمال ٤: ١٢)، ورؤيا واحدة (١ كورنثوس٢: ٦-١٠)، وعشاء الرب الواحد (١كورنثوس ١٠: ١٧)، ورب واحد. "مجتهدين أن تحفظوا وحدانية الروح برباط السلام. جسد واحد وروح واحد كما دعيتم أيضا فى رجاء دعوتكم الواحد. رب واحد إيمان واحد معمودية واحدة إله وآب واحد للكل وبالكل وفى كلكم" (أفسس ٤: ٣-٦).

هناك مواهب عديدة فى الجسد الواحد، لكن هدفهم المشترك هو أن يبنوا هذا الجسد الواحد "إلى أن ننتهى جميعنا إلى وحدانية الإيمان" (عدد ١٣).

لقد أسس يسوع كنيسة واحدة، وليس مخزنا تجارياً يحتوى على طوائف متعددة. والعهد الجديد يستخدم الكلمة المفردة "كنيسة" ليشير بها إلى جميع الذين يؤمنون بيسوع المسيح (غلاطية ١: ١٣- ١ كورنثوس ١٠: ٣٢). في بعض الأحيان كانت تظهر في الكنيسة الأولى مواقف وتصرفات كالتي أدت إلى الطائفية في عصرنا. لكن العهد الجديد كان يوبخ عليها بشدة. فالانشقاق والتفرقة (١ كورنثوس ١: ١٠ - ١٧) ورغبة التسلط (فيلبى ٢: ١-١١) ورفض السعى للمصالحة (متى ١٨: ١٥ - ٢٠)، كل هذا خطية. وعندما علم بولس بالانشقاقات فى كورنثوس، طلب من المسيحيين هناك: "أن تقولوا قولاً واحداً ولا يكون بينكم انشقاقا بل كونوا كاملين فى فكر واحد ورأى واحد" (١ كورنثوس ١: ١٠). ويسألهم بولس :"هل انقسم المسيح؟". إن وجود الطائفية هى علامة على سقوطنا وخطيتنا.

إن أقوى ما قيل في الدعوة للمحبة والوحدة في جسد المسيح كان في صلاة يسوع الأخيرة من أجل الكنيسة. فالمسيح صلى بالتحديد من أجل المسيحيين على مر العصور، طالبا من الله أن يعطيهم وحدة كاملة حتى يؤمن العالم.

"ولست أسأل من أجل هؤلاء فقط، بل أيضا من أجل الذين يؤمنون بى بكلامهم. ليكون الجميع واحدا كما أنك أنت أيها الآب في وأنا فيك ليكونوا هم أيضا واحدا فينا ليؤمن العالم أنك أرسلتنى. وأنا قد أعطيتهم المجد الذى أعطيتنى ليكونوا واحدا كما أننا نحن واحد. أنا فيهم وأنت في ليكونوا مكملين إلى واحد وليعلم العالم أنك أرسلتنى وأحببتهم كما أحببتنى". (يوحنا ١٧: ٢٠ - ٢٣).

كيف لا نبكى عندما نسمع صلاة ربنا هذه؟ لقد مزق جسد المسيح لآلاف القطع. لقد انقسمنا بسبب أمور تافهة جدا مثل طريقة اللبس وطريقة العزف. كما أن التفرقات العنصرية والاقتصادية التى قال بولس بأن الإنجيل قد انتصر عليها هى التى تقسمنا. (أفسس ٢: ٣، ١ كورنثوس ١١: ١٧-٣٣). إذا كنا نقدر صلاة سيدنا الختامية، علينا أن نعود ونعمل من أجل الوحدة المسيحية.

هذا وإن صلاة يسوع تمنعنا من أن نتجه إلى حل سهل بسيط. فمن السهل أن نقول بأن كل المسيحيين الحقيقيين يتمتعون بوحدة روحية غير مرئية. وهذا صحيح إلى حد ما، لكن كلمات يسوع تمنعنا من أن نكتفى بهذه الوحدة غير المرئية !! لأنه لن يستطيع العالم أن يرى ويؤمن إلا عندما نبرهن بوضوح وبصورة علنية أن كل المسيحيين هم واحد.

بالنسبة للمسيحيين الأمناء هناك طريق واحد، فإذا كنا نريد أن نحقق صلاة يسوع من أجلنا علينا أن نؤمن بأن قضية الوحدة المسيحية هامة جدا.

علينا أن نبدأ بالتوبة فتصرخ جميع أشلاء جسد المسيح المتفرقة: "إن انقسامنا مهزلة ورجاسة وخطية ملعونة تجاهك أيها الرب. نرجو أن ترحمنا".

إنها خطية أن نرفض الاشتراك في المجمع المسكوني المسيحي وفي الشركة مع سائر المسيحيين الذين يعترفون أن يسوع المسيح هو الله وهو المخلص بحسب الكتب. وإنها خطية أن نبعث مرسلين إلى بلاد مختلفة دون أن نتشاور أولاً مع المسيحيين الموجودين هناك. وأنها خطية ألا نعمل بجهد ونصلي بحرارة حتى نتخطى التفرقات الطائفية والاختلافات اللاهوتية والمشاجرات المتعلقة بالسلوك الأخلاقي التي تقسم المسيحيين.

وبعد أن نتوب عن خطيتنا ونقرر أن نسعى للوحدة، ربما يكون أفضل شئ نفعله هو أن نتوقف طويلا ونبحث عن الأشياء العامة التي تشترك فيها كل فروع المسيحية. إن المسيحيين البروتستانت والأرثوذكس والكاثوليك الرومان يختلفون في نقاط هامة. لكن هؤلاء المسيحيين يلتقون ويتفقون في النقاط الرئيسية والأحداث التاريخية والاعترافات. فكلنا نعترف أنه يوجد إله واحد – الآب والابن والروح القدس. وكلنا نؤمن أن يسوع المسيح هو إله كامل وإنسان كامل. كلنا نعلم أن الخطية تفصلنا عن الله، وأن يسوع المسيح هو الطريق الوحيد للخلاص لكل الناس وفي كل مكان. وكلنا نعترف أن الكتاب المقدس هو موحى به من الله وليس مجرد كتاب بشري. وكلنا نتطلع إلى ذلك اليوم الذي ينتصر فيه المسيح انتصارا كاملا على الخطية والموت، وكل ممالك هذا العالم تصبح ملكوتا لربنا.

بالإضافة إلى هذه المبادئ أو العقائد الرئيسية، فإننا نشترك بنظرة كتابية للعالم. بعض الديانات الشرقية غير المسيحية تعتقد أن العالم هو خدعة، علينا أن نهرب منها. والعالم المعاصر يرى أن العالم هو نتيجة لمصادفة كونية، لكن المسيحيين يقرون أن الخليقة هي عطية بديعة من خالق محب. الملحدون المعاصرون يرون أن البشر لا تزيد أهميتهم عن القرود. أما المسيحيون فيؤمنون أن البشر وحدهم يحملون الصورة الإلهية. لذلك فإن كل إنسان له أهمية غير محدودة. العلمانيون المعاصرون يعتقدون أن الحياة ما هي إلا ومضة عابرة من الوعي، تنتهي إلى لا شئ. أما المسيحيون فيؤمنون أن الحياة مهما كانت رائعة ما هي إلا بداية لحياة أبدية في محضر الإله الحيّ. ومهما كان هناك من تفاصيل لازلنا نتحاور فيها، فهناك مبادئ كتابية أساسية حول البشر والمجتمع يشترك فيها جميع المسيحيين من كاثوليك وأرثوذكس وبروتستانت بالنسبة مثلاً للعشاء الرباني، معمودية الأطفال، دور العذراء مريم والقديسين، أهمية التقاليد الكنسية، وسلطة بابا روما. أليس هاماً أن نضع في أذهاننا حتى في مناقشاتنا أننا نشترك كلنا في إيماننا بالثالوث، وألوهية يسوع المسيح والخلاص من خلال المسيح فقط؟.

لكن ماذا عن الذين يعلنون أنهم مسيحيون، ويهملون المبدأ المسيحى الأول وهو الاعتراف أن يسوع هو إله كامل وإنسان كامل أيضاً؟ ماذا عن المسيحيين الاسميين الذى يبدو إيمانهم وكأنه سلوك أخلاقى أو تصرف حضارى أكثر منه إيمان حقيقى؟ كل هذه الأسئلة مع أخرى كثيرة تحتاج إلى إجابات.

إن طلبى من أجل الوحدة المسيحية مؤسس على الاعتراف الرئيسى بأن يسوع النجار هو بالحقيقة الله. إن يوحنا يرفض فى إنجيله الانقسامات الكنسية (١ يوحنا ٢: ١٨-١٩)، لكنه يرفض أيضا أضداد المسيح، وينبذ الشركة مع أى مسيحى ينكر أن يسوع المسيح قد جاء بالجسد (٤: ١٣). إن الاعتراف بألوهية المسيح الكاملة وناسوته الكامل هو الأساس لوحدة المسيحيين.

بالإضافة إلى هذا، علينا أن ندعو المسيحيين الفاترين والاسميين، مهما كانت تقاليد كنائسهم، لكى يختبروا فرح العلاقة الشخصية مع المسيح. لكن لنعلم أن المسيحيين الاسميين والفاترين ليسوا موجودين فقط فى المحيط الأرثوذكسي والكاثوليكى. إنهم ضمن المعمدانيين والمنونيين Mennonites والمشيخيين والأنجليكانيين والميثوديست.. أيضا، لا يجب علينا أن نحث الناس حتى ينضموا إلى مجموعتنا أو طائفتنا بسبب مساعدتنا لهم حتى يعيشوا حياة الإيمان الحى. فمن الممكن أن يختارهم الله لكى يخدموا وسط مجموعتهم من أجل النهضة.

ماذا علينا أن نفعل بعد أن نتوب وبعد أن نذكر أنفسنا بأننا نتفق على المبادئ المسيحية الرئيسية؟ يوجد خطوة هامة، وهى أن نميز بين الاختلافات التى نعتقد أنها هامة والأخرى التى يمكن أن نتغاضى عنها.

فالكثير من الاختلافات غير هامة نسبيا. ففى مسيرى مع المسيح لا يمثل لى إشعال الشموع فى مكان مثل القبر الفارغ وسيلة عبادة أو نمو روحى.

لكننى أصلى أن يهبنى الله أن أستمع للمجموعات الأخرى وأحبهم باهتمام وصبر، قبل أن أطفئ شموعهم. نحن نستطيع أن نكون واحدا فى المسيح، وفى نفس الوقت نؤكد على حق سائر المسيحيين حتى يمارسوا طقوسهم ويستخدموا موسيقاهم وفنونهم التى تختلف عنا.

فى أحيان كثيرة، ومن أجل الوحدة المسيحية، يجب علينا أن نغير ما نمارسه حتى ولو كان ليس فيه خطأ. إنها لمأساة أن نرى المسيحيين يحاربون بعضهم البعض حول العالم من أجل تحديد اليوم الذى يعتقدون أنه اليوم الصحيح للاحتفال بعيد القيامة. إننى على استعداد أن أحتفل بالفصح بحسب التاريخ الأرثوذكسى للشرقيين لفترة مائة عام لو أن جميع المسيحيين حول العالم يتحدون.

ماذا عن الخلافات الهامة؟ لا نتجرأ ونتظاهر أنها غير موجودة. في الحقيقة إنني أوافق غالباً على عظات البابا يوحنا بولس الثاني الرسمية. لكنني لا أستطيع أن أقبل العصمة البابوية، ورغم المجهودات التي بذلها اللاهوتيون، لا زلنا نختلف على دور العذراء مريم، وعلى تحول الخبز والخمر إلي جسد المسيح ودمه، وعلى المطهر. ماذا نفعل؟ إن هذه الخلافات كبيرة ولا نستطيع أن نتجاهلها. إنها كبيرة لدرجة يستحيل معها أن يكون هناك منظمة مسيحية متحدة.

عند هذه النقطة، علينا بكل أسف أن نقبل مؤقتاً التعدد الطائفي حتى ونحن نعترف أن الطائفية ليست إرادة الله. كلنا محدودون وخطاة لذلك، فنحن نفهم الحقائق في الكتاب المقدس بصورة محدودة. حتى عندما أنظر إلى تاريخ الكنيسة، أرى أفضل اللاهوتيين المسيحيين مثل أغسطينوس ولوثر قد ارتكبوا أخطاء لاهوتية. لذلك فمن المؤكد أننا نحن المعاصرين نفشل في أحيان كثيرة في الخضوع لكلمة الله. هذه الحقيقة يجب أن تجعلنا منكسرين. وهذه الحقيقة تجعلني أقل تعلقاً وتمسكاً بتفسيري اللاهوتي الحالي. لكنني لا أستطيع أن أتخلى عن الإيمان بكل تعليم كتابي واضح لمجرد أن مسيحيين آخرين لا يوافقون عليه.

في كل الأحوال، يجب علينا أن نصغي طويلاً إلى جميع المسيحيين – الذين من القرون الماضية والمعاصرين في كل مكان. وبينما أفعل هذا، أكتشف أن المبادئ الرئيسية في تاريخ المسيحية وعلى مر العصور تتفق وتتدفق من إعلان الله. أما المرجع الوحيد فهو الكتاب المقدس الذي أصلي أن يفسر بإرشاد الروح القدس من قبل جميع المسيحيين.

المأساة هي أننا لا زلنا خطاة وقساة جداً على أن نقبل اللاهوت الواحد الذي يبغيه إله الكتاب المقدس. لذلك علينا أن نعيش مؤقتاً ضمن الطائفية. من جراء هذا يجب أن نشعر دائماً بعدم الاكتفاء، لكن حتى نصل إلى الاتفاق الجماعي علينا أن نعترف بتواجد الطائفية ونقبلها مؤقتاً.

لكن هذا لا يعني أن مجموعة كالفن Calvin الذين يؤمنون بأن مفهوم الوسليين عن حرية الإرادة هو خطأ ومجموعة المنونيت الذين يؤمنون أن المسيحيين الذين يسمون أنفسهم Just War Christians لم يفهمون رسالة المسيح، لا يجب أن يكونوا على علاقة مع بعضهم. إذا فكرنا هكذا ننسى أننا جميعنا نؤمن بالثالوث الإلهي، وجميعنا نعترف بألوهية المسيح وناسوته، وجميعنا نؤمن بالخلاص من خلال المسيح فقط.

إذا تجاوزنا هذه الوحدة أو قللنا من أهميتها نكسر قلب الله. إن مسيحيي اليوم يكونون في عصيان وتمرد على الله الذي يعبدونه إذا كانوا غير مستعدين أن يعيشوا بصورة مرئية وأمام العالم وحدتهم مع كل المسيحيين الذين يعترفون بالحقائق الأساسية للمسيحية.

ما هو الحد الأدنى من الاعتراف الذي يجب أن نشترك فيه؟ نستطيع أن نستخدم شهادة الإيمان الرسولية للكنيسة الأولى. أو نستطيع أن نتخذ اعتراف مجلس الكنائس العالمي الرسمي: "إن مجمع العالم الكنسي هو شركة الكنائس التي تعترف أن الرب يسوع المسيح هو الله والمخلص حسب الكتب، ولهذا فهي تسعى مع بعضها لتتمم دعوتها لمجد الله الواحد، الآب، الابن والروح القدس".

أليس هذا كافيا؟ كيف يقبل أحد صلاة يسوع الواردة في يوحنا ١٧ : ٢٣، ويرفض أن يشترك مع أولئك الذين يعترفون بأن الرب يسوع المسيح هو الله والمخلص بحسب الكتب؟ إنني لا أوافق على كثير مما يفعله مجمع العالم الكنسي. كما أنني أريد أن أواجه أشياء عديدة يفعلها ويقولها الكاثوليك والأرثوذكس والخمسينيون والبروتستانت والإنجيليون . لكنهم إذا اعترفوا حقيقة أن ربي يسوع المسيح هوالله والمخلص حسب الكتب، فهم إخوتي وأخواتي الأحباء في المسيح.

هذا يعني أنني مدعو للاشتراك معهم في تحقيق صلاة يسوع الواردة في يوحنا ١٧. إنني مدعو لأمارس المحبة الموحدة معهم حتى يقتنع المجتمع المحيط بنا أن يسوع أتى من عند الآب. ويسوع أمر كل مسيحي وكل مجموعة وكل طائفة أن تتخذ خطوات ثابتة لتعيش الحقيقة الكتابية أن جسد المسيح هو واحد وذلك أمام العالم الملحد الذي لم تقل صعوبة إقناعه في هذا العصر.

هناك خمس مستويات مختلفة نستطيع من خلالها أن نعبر بطريقة جديدة عن الوحدة المسيحية.

١ صداقات شخصية مع مسيحيين آخرين:

نحن نقابل مسيحيين من معتقدات مختلفة وبصورة متكررة في المدرسة والعمل وحول منازلنا وخلال ممارساتنا للرياضات المختلفة "هنا أخت أو أخ يؤمن بنفس الإله، ويعبد الرب يسوع نفسه، ويؤمن بنفس الفادي للخلاص. هذا الرباط المشترك أهم من أي اختلاف يمكن أن يفرقنا. كيف أظهر وحدتنا أمام العالم حتى يلتفت غير المؤمنين إلى الإله الذي نعبده نحن؟" إذا تصرفنا هكذا، فمن المحتمل أن نتكلم بصراحة أكثر عن إيماننا مع جيراننا وزملائنا

المسيحيين. ومن المحتمل أن نتشارك أكثر في الأفراح والأحزان. أيضاً من المحتمل أن نساعد بعضنا وقت المشاكل ونزور منازل وكنائس بعضنا البعض أكثر، عندها سيلاحظ جيراننا غير المؤمنين هذا ويعجبون بالذي يحدث.

٢- اتحاد تعاوني مع مسيحيين لتشكيل الحياة العامة :

نحن في حاجة شديدة إلى هذا التعاون المسيحي. في الولايات المتحدة، ٨٦ في المائة من الشعب البالغين يدّعون المسيحية لكنك لن تصدق صحة هذا الإدعاء إذا نظرت إلى ما آلت إليه السياسة والفن والإعلام والقانون خلال الثلاثين سنة الماضية. وجزء من المشكلة هو أن المسيحيين أنفسهم يختلفون فيما بينهم حول العديد من الموضوعات المتعلقة بالحياة العامة وعدم تأثيرنا يعود سببه إلى أن المجموعات المسيحية المتعددة لم تتعلم حتى الآن كيف تتحد في العمل عندما تتفق آراؤها حول الاتجاه العام للسياسة الاجتماعية.

خلال السنوات القريبة الماضية، حدثت بعض الإنجازات. فقد اتحد الإنجيليون البروتستانت والروم الكاثوليك وعملوا معاً لمواجهة الإجهاض. ومنذ فترة قريبة تعاون البروتستانت الإنجيليون مع الكاثوليك في خدمة البيئة من خلال منظمة National Religious Partnership On Environment.

وفي سنة ١٩٩٤ أسس عدد من القادة الإنجيليين والكاثوليك دعوة مشتركة اسمها "الإنجيليون والكاثوليك معاً" فيها يحثون الطائفتين لكي تعملا معاً في تشكيل السياسة العامة. هؤلاء القادة هم ريتشارد تيهوس، جيمس أ. باكر، الكردينال ديكونا، بيل برايت، تشارلس كولسون، رالف مارتن نيوهاوس.

إن الإيمان المشترك بين البروتستانت والكاثوليك والأرثوذكس يخبرنا أن مجتمعنا سوف يصبح أفضل إذا جددنا زواجنا وحياتنا الأسرية، وإذا ترفقنا بالفقراء، واحترمنا قدسية الحياة الأسرية، واعتنينا بالخليقة، وواجهنا الشذوذ الجنسي، وعملنا من أجل حلولٍ سلمية بدل العنف، وأقللنا من الجنس والعنف في الإعلام. نعم سينتفع أولادنا كما أن إلهنا سيُكَرم إذا وجدت المجموعات المسيحية المختلفة طرقاً أفضل للتعاون حتى تصبح الحياة العامة أكمل وأرقى وأكثر عدلاً.

٣- نشاطات تعاونية غير رسمية للمساعي المسيحية:

إن بيللي جراهام Billy Graham هو رائد التعاون المسيحي في مجال التبشير. فمنذ عشرات السنين، وهو يدعو الكاثوليك والأرثوذكس المؤمنين ومجموعة متنوعة من البروتستانت إلى

حملته التبشيرية الواسعة. والدكتور جراهام لا يساوم أبدا فى رسالته. لكنه يرحب بالمسيحيين من مختلف الفئات حتى ينضموا ويتحدوا من خلال حملاته الإصلاحية. لقد أثرت حملات بيللى جراهام بطريق مباشر فى بناء الثقة والتفاهم المتبادل بين المسيحيين.

إن خدمة جراهام فى مؤسسة رسمية. تدعى هيئة بيللى جراهام Billy Graham's Association فهى ليست طائفة أو جماعة محلية. لذلك يستطيع الأفراد المسيحيون من مختلف الفئات أن ينضموا إلى هذه الهيئة حتى يبشروا بالمسيح في مدينتهم.

ألا نستطيع أن ننشر ما بدأه بيللى جراهام؟ ومهما كان هدفنا، إن مدارس مسيحية أو إعلام مسيحى أو تطوير مسيحى أو تبشير علينا دائما أن نطرح هذا السؤال : هل ستكون شهادتنا أمام غير المسيحيين أقوى إذا أصبح هناك تعاون مع مسيحيين من فئات مختلفة؟

هل تستحق النتائج الصراعات التى ستحدث؟ هل المشاركة على مستوى أوسع ستوضح شهادتنا أكثر وتزيد من تأثيرها؟ أم أنها ستغرق رسالتنا وتقلل النتائج الإيجابية؟ هذه الأسئلة إجاباتها ليست سهلة. لكن فى كل الأحوال علينا أن تبقى فى أذهاننا صلاة يسوع من أجل الوحدة بينما نجاهد لنجد الإجابات.

٤- مجالس طوائف وجماعات رسمية:

إن التعاون غير الرسمى هام، لكنه ليس بديلا للتعاملات الرسمية فى الجماعات والتحالفات ومجالس الكنائس.

لقد كان الإنجيليون البروتستانت أول قادة تعاونوا في المجمع المسكوني الرابطة الإنجيلية فى انجلترا التى تكونت سنة ١٨٤٦، جمعت المسيحيين الإنجيليين من مختلف الفئات البروتستانتية. وفى هذا القرن تكونت العشرات من هذه الروابط فى بلدان عديدة مثل الجمعية الدولية الإنجيلية فى الولايات المتحدة الأمريكية والأعضاء الإنجيليون فى كندا. واليوم يوجد مئة وعشرة جمعية واتحادات دولية ومحلية فى مائة وخمس دولة تابعة للجمعية الإنجيلية العالمية والأفراد، والجماعات والطوائف التى تشارك هذه الجمعية فى التبشير والفكر اللاهوتى، تعمل مع بعضها حتى يزداد الفهم والشهادة وحتى تكثر الخدمة فى العالم.

وهناك أيضا مجلس الكنائس العالمى، وهو مختلف نوعا ما. إنه يتألف من طوائف أعضاء المجامع الكنسية تسعى من أجل الوحدة المسيحية وتعمل بالتعاون مع بعضها.

والإنجيليون البروتستانت، ومن ضمنهم أنا، كثيرا ما انتقدوا برامج وقوانين مجلس الكنائس العالمي. فكثيرا ما كان التبشير يهمل وأيضا التأسيس اللاهوتي الصحيح. ونتيجة لذلك، رفضت طوائف إنجيلية عديدة الانضمام إلى مجلس الكنائس العالمي

هل يجب أن يبقى المسيحيون الإنجيليون على موقفهم؟ لا أرى كيف نستطيع أن نذعن لتعاليم العهد الجديد عن وحدة جسد المسيح ونحن لا نزال في نفس الوضع كيف نفشل في شركة المسيحيين الآخرين الذين يعترفون أن يسوع هو الله وهو المخلص بحسب الكتب؟ هناك بالطبع اختلافات هامة، ومن الممكن أن يكون هناك مشتركون في مجلس الكنائس العالمي لا يؤمنون بقوانينه. لكن تخيل كم كانت ستختلف برامج وقوانين المجمع المسكوني العالمي لو أن الإنجيليين في كل أنحاء العالم كانوا قد اشتركوا فيه منذ عدة عقود.

وربما تكون أفضل خطوة الآن هي أن يبدأ البروتستانت والأرثوذكس والكاثوليك في تشكيل مجالس مجمعية جديدة ومختلفة في كل دولة في العالم. هذا يبدو مستحيلا، لكن إذا كنا نعبد إلها واحدا ولنا مخلص واحد، كيف نتجرأ ونرفض أن نشكل مجالس من أجل محادثات صريحة حول اختلافاتنا، ساعين لوحدة أكبر متعاونين حيث أمكن في ما دعانا الله أن نفعله؟ إذا رفضنا أن نتجاوب مع صلاة يسوع، نكون مخطئين وعصاة.

٥- اتحاد المنظمات :

هذه هي أصعب مهمة، فليست كل الطوائف على حق، واللاهوت الكتابي يجب أن يكون الأساس، كما أن النتيجة يجب أن تكون خدمة وتبشير أكبر لذلك يجب أن تتم المهمة بكل حذر وانفتاح، حتى لا تسبب أي مجموعة انقساما آخر.

لكن هل يوجد بالحقيقة مبرر حتى يبقى المعمدانيون والمشيخيون والمنونيت الذين لهم نفس المعتقدات منفصلين عوض عن أن يتحدوا؟ يستنكر جون فرام John Frame وضع كنيستين مشيخيتين لازالتا منفصلتين رغم أنهما تتفقا تقريبا في كل شئ، وذلك لأن واحدة منهما تستخدم المزامير فقط في العبادة.

إلى متى نتجزأ ونسمح للتاريخ المختلف، وطريقة الحياة الاجتماعية، والمخاوف الخاطئة، والمراكز القيادية أن تمنعنا من الوحدة؟ في هذه الحالات تقع المسئولية على أولئك الذين يريدون أن يبقوا منفصلين.

إننى أعتبر بكل أسى أنه إذا لم يكن هناك تدخل إلهى واضح، فإنى لا أتوقع تغييرا كبيرا فى المستقبل القريب فحتى عندما التقى "الإنجيليون والكاثوليك معا" كان هناك تشهير واتهام نعم، لن تكون عملية الوحدة سهلة لنا نحن البشر

لكن التلاميذ الأمناء يسعون لأن يطيعوا يسوع، مهما كلف الأمر إن الذي يدعونا للوحدة هو الله الذى ظهر فى الجسد، والذى يصلي حتى نتخلى عن انقساماتنا الخاطئة هو مخلصنا. وربنا المقام، هو الذى يعد المسيحيين أنه بقدرته وبقوته يمكنهم أن يظهروا الوحدة والمحبة حتى يؤمن العالم.

أيها الرب ساعد المسيحيين حتى يعقدوا العزم من جديد لكى ينفتحوا حتى يكونوا جزءا من استجابة صلاتك الأخيرة من أجل الكنيسة.

الجزء الثالث

العـــالــــم

الفصل الثامن

غرفة النوم، حجرة الاجتماع وصندوق الاقتراع

الصفة الثامنة

المسيحي يعترف أن يسوع هو رب السياسة والاقتصاد

هل يسوع رب لحجرة الاجتماعات، كما هو رب في غرفة النوم؟ هل هو رب للكونجرس كما هو للكنيسة؟ هل يهتم يسوع بكيفية انتخابك كما بصلاتك؟ وهل يهتم كيف تعمل كما كيف تعبد؟ هل يهتم بالحياة العامة كما بالحياة الخاصة؟

لقد كان وليم ولبرفورس يصدق هذا. عاش وليم في القرن الثامن عشر في انجلترا، كما كان عضواً برلمانياً، وكانت حياته دنيوية جداً. وخلال اجتماع انتعاشي لأتباع وسلي تجدد فتغيَّرت حياته وكرَّس كل مواهبه ومركزه السياسي لقصد الله. لم يفكر أنه بصيرورته مسيحياً مكرساً عليه أن يتخلى عن وظيفته السياسية لأنه كان مقتنعاً أن من واجبه أن يتمم عمله من أجل الله ومن أجل نفسه والآخرين. ولأكثر من أربعين سنة كان يقود حملة ضد العبودية في مجلس الشعب البريطاني.

لم تكن السياسة حب "ولبرفورس" الوحيد، فقد كان يخدم ويبشر أيضاً. وإحدى أهم كتبه الهامة هو طلب للطبقة البريطانية الراقية حتى يصبحوا مسيحيين ملتزمين، وكان هو وأصدقاؤه يشجعون العمل المرسلي حول العالم.

لكن دعوة "ولبرفورس" الأولى كانت في مجال السياسة. فقد كان يؤمن أن الله أوجده في هذا المركز السياسي القوي حتى ينهي شر العبودية المخيف وتجارة العبيد. فلسنوات عديدة كان ملايين من الأمم الأفارقة يموتون بسبب الاغتصاب والجوع والحيتان بينما هم في طريقهم إلى عالم المسيحيين الجديد. والمحظوظون منهم (من خمسة إلى عشرة ملايين) الذين صمدوا أثناء الرحلة كان عليهم أن يحتملوا الجلد والترويض مثل الحيوانات.

عندما ابتدأ "ولبرفورس" حملته سنة ١٧٨٧، كانت سفن تجارة العبيد تحمل من أوروبا المسيحية مائة ألف سجين إفريقي إلى أمريكا كل سنة. في الحقيقة كانت إنجلترا الرائدة في

هذا المجال الوحشي، إذ أن سفنها كانت تحمل نصف عدد هذا البشر سنوياً. وقد شكلت هذه التجارة جزءاً هاماً من أرباح الاقتصاد البريطاني.

لكن "ولبرفورس" كان يعلم أن العبودية خطية فظيعة ضد الله وضد القريب – مع أن معظم الأشخاص المحترمين في عصره كانوا يقبلون نظرة المجتمع إلى العبيد، وهو أنهم مجرد ممتلكات تشترى وتباع مثل الفحم والماشية.

كان "ولبرفورس" يصلي وفي نفس الوقت يناقش أعضاء البرلمان. في الواقع، كان هو ومجموعة صغيرة من أصدقائه يصلون يومياً لمدة ثلاث ساعات رغم مسئولياتهم الكثيرة، وحملتهم ضد العبودية وتجارة العبيد.

كان "ولبرفورس" منظماً سياسياً بارعاً. كان يجب أن يكون هكذا، لأن معارضيه أصروا على أن إنهاء تجارة العبيد سوف يدمر اقتصاد بريطانيا. كان "ولبرفورس" يرد عليهم بالقول إن البشر والسلوك الأخلاقي أهم بكثير من المال والمكسب. وبعد صراع دام اثنين وعشرين سنة، ألغى البرلمان البريطاني تجارة العبيد، حدث هذا سنة ١٨٠٧. بعد هذا بستة وعشرين سنة، وفي نفس السنة التي توفي فيها "ولبرفورس" ألغى البرلمان البريطاني قانون العبودية نفسه. وخلال القرن التالي، وببطء حدث هذا أيضاً في كل أنحاء العالم.

لقد كان "ولبرفورس" اللاعب الرئيسي في هذا التغيير في تاريخ العالم. وقد فعل هذا بسبب المسيح – لأنه علم أن يسوع هو رب السياسة والاقتصاد. الكثير من المعاصرين لا يفهمون هذا، فكثيرون يعتقدون أن يسوع لا يتدخل في أعمالهم أو انتخاباتهم. لقد كوّنوا مفهوماً دينياً خاصاً بهم. فالإيمان بالنسبة لهم له علاقة بالحياة الخاصة وبالأسرة وبالكنيسة يوم الأحد فقط. الكنيسة وربما أيضاً الممارسات الجنسية لها صلة بالروحيات، أما السياسة والاقتصاد فمتعلقان بالعالم.

كيف حدث كل هذا لمسيحيين يدعون أن يسوع هو رب للكل؟ لقد حدث بصورة بطيئة في المجتمع الغربي. ففي العصور الوسطى، كان الكل يفهم أن اللاهوت هو ملك العالم وأن كل مجال في الحياة يجب أن يخضع للمسيح. ورغم أنهم لم يعيشوا دائماً ما كانوا يعظون به، لكن الإيمان المسيحي كان يؤثر في كل جزء في المجتمع ولوكان هذا التأثير نظرياً.

وابتدأ كل شئ يتغير ببطء مع النجاح المذهل في مجال العلم الحديث. فالعلماء تقدموا بصورة مذهلة باكتشافهم نظام الطبيعة. فقد اكتشف العلماء الإيضاحات الطبيعية للعديد من الأشياء التي كان يؤمن عالم العصور الوسطى أنها عجائب. مثلاً اكتشف العلماء أن الأوبئة وأيضاً سقوط المذنبات لم يكن سببها غضب الله كما كان يظن العالم في العصور الوسطى. فهذه

الأحداث الطبيعية لها أسباب طبيعية، بعدها وفي القرن الثامن عشر توصل المفكرون إلى أن معظم الأشياء لها تفسير علمي، في الواقع كانوا يجادلون ويقولون إن أى شئ ليس حقيقياً إلا إذا وصف بطريقة علمية. لكننا لا نستطيع أن نقيس الله فى مختبر أو فى مركبة فضائية. لذلك فإن هذه النظرية العالمية أهملت الله والمعجزات ووضعت البشرية والاكتشافات العلمية الجديدة والتكنولوجيا مركزاً للعالم.

في بادئ الأمر رفض المسيحيون هذا. لكنهم فشلوا فى أن يروا مدى تأثير العلم والتكنولوجيا على تحجيم المسيحية وإعلان أن المسيح هو رب الكل، وبكل هدوء أصبح الإيمان المسيحي مجرد عالم صغير يخص الإيمان الشخصى. لقد غفلوا على أن يروا الطريقة الخبيثة التى يتسلل بها الفكر العالمى إلى القلوب المقدسة والعقول المستقيمة.

ووضح أن للعلم والتكنولوجيا قوة كبيرة. لقد استبدلت عضلات الأحصنة والبشر بقوة الماء أولاً ثم بالبترول وأخيراً بالذرة. وكانت النتيجة انفجار فى الإنتاج. فقد انتشرت من المزارع والمصانع سلع بأسعار منخفضة ولا تحتاج إلى يد عاملة كثيرة، وحدثت ثورة إعلامية كبيرة من خلال التلغراف والراديو والتليفزيون والبريد السريع .E - Mail وقد أدى الكمبيوتر إلى ثورة فى كل شئ. وسبب كل هذا انتصار العلم والتكنولوجيا.

إن الله يظهر وكأنه لا حاجة له فى المختبرات والمصانع التى يُشغلها الكمبيوتر والإنسان الآلى وفى أفلام الإعلانات. لقد أصبحت الاقتصاديات علم يشرح كيف يعمل الاقتصاد. هذا الاقتصاد يعمل فعلاً فى أسواق الغرب الحرة. فخلال أربعين سنة فقط، ابتداء من سنة ١٩٥٠ وحتى ١٩٩٠ أنتج العالم سلعاً أكثر مما أنتج العالم بأكمله على مر التاريخ، فإن كل ما تحتاجه هو التفكير العلمى لكى تشغل الاقتصاد والحكومة والثورة العلمية المستمرة.

الإيمان والدين لا بأس بهما طالما يتعلقان بأمورك الخاصة فقط – مرَّة أو مرتين فى الكنيسة أسبوعياً وفى منزلك. لكن لا مكان لهما فى السياسة والاقتصاديات والمسائل العامة التى تعتمد على التفكير العلمى المتزن وليس الإيمان الشخصى.

ومن الغرابة أن العديد من المسيحيين يقبلون، ويؤمنون بهذه الخصخصة الغريبة للمسيحية. مسيحيون كثيرون يستمتعون بالغنى الجديد الذى يأتى نتيجة الدمج الخلاق بين رأس المال والتكنولوجيا، وفى الواقع هناك منافع عديدة رائعة، من بينها التطور فى التعليم، التطبيب، وفرة الغذاء واللباس والسكن للجميع. العديد من المسيحيين يقبلون بسهولة الوضع الحالى دون أن

يسألوا إذا كان الجميع يستفيد من هذه الوفرة بالطريقة التى تسُر الله الذى يهتم بصورة خاصة بالفقراء.

في الحقيقة، لقد كوّن المسيحيون معتقدات لاهوتية لكي تتوافق هذه الخصخصة مع الإيمان والدين. ومن الغريب أن المسيحيين الإنجيليين بصورة خاصة يؤيدون هذه الخصخصة للإيمان والتي سببها التمدن. فبالنسبة للعديد من الإنجيليين يتدخل الإيمان بالأمور الروحية مثل التبشير والخلوة الشخصية والعبادة والأسرة. إنهم يؤمنون أن الطريقة الوحيدة لتغيير العالم هو من خلال التجديد الفردي. والعديد من الإنجيليين يجادلون ويقولون إن المسيحيين الليبراليين العالميين هم فقط الذين يتدخلون بالسياسة ويقلقون على النظام الاقتصادي الذى من الممكن ألا يسر الله.

المسيحيون الدنيويون هم فقط الذين يحاولون أن يحسّنوا العالم من خلال تغييرهم لأسس المجتمع.

لكن الكتاب المقدس ينظر إلى هذا الموضوع بطريقة مختلفة تماماً. لقد كان المسيحيون الأولون حفنة صغيرة من المؤمنين فى إمبراطورية أممية. لكنهم تجرأوا، وأعلنوا للعالم كله بأن النجار الذى صلب وقام والذى يتبعونه ويعبدونه هو الآن "رئيس ملوك الأرض" (رؤيا ١: ٥). وعندما تعارضت مطاليب يسوع مع مطاليب قيصر، تبعوا يسوع لأنهم علموا أنه "فوق كل رئاسة وسلطان وقوة وسيادة" (أفسس ١ :٢١). لم يستطيعوا أن ينسوا بأن يسوع ذكر بيلاطس بأن قوته هي من الله" (يوحنا ١٩: ١١) . وقد آمنوا بقول يسوع الأخير "دفع إليّ كل سلطان فى السماء وعلى الأرض" (متى ٢٨: ١٨). وبما أنهم علموا كل هذا، سعوا لكى يكون مثالهم فى كل مجال من مجالات حياتهم هو ملكوت يسوع الآتى.

ما آمنوا به ظهر جلياً فى حياتهم العملية من خلال كيفية تعاملهم مع المال. كان يسوع قد حذرهم بأنهم لا يستطيعون أن يعبدوا الله والمال (متى ٦: ٢٤). وأكد بولس الرسول أن الطمع هو في الحقيقة عبادة وثن. تخيل كم ستتغير حياة مسيحيى اليوم لو أننا آمنا فعلاً بتحذير بولس، وهو أن الطمع الاقتصادي مماثل للخطية الجنسية. "وأما الزنا والنجاسة وكل طمع فلا يُسَمَّ بينكم كما يليق بقديسين.. كل زانٍ أو نجس أو طماع الذى هو عابد للأوثان ليس له ميراث فى ملكوت المسيح والله". (أفسس٥ :٣-٥).

لقد عاش المسيحيون الأولون هكذا "ولم يكن أحد يقول إن شيئاً من أمواله بل كان عندهم كل شئ مشتركاً" (أعمال ٤:٣٢). هذا لا يعنى أنهم تخلصوا أو ألغوا الممتلكات الخاصة.

لكنه يعنى أنهم فهموا معنى اعترافهم هذا. وهو أن المسيح هو رب، وهذا يتضمن المال والاقتصاديات.

ولم يكن جديداً معرفة أن كل الفلك وكل الملك هو لله. ففي كل صفحة من صفحات العهد القديم يقابلنا الاعتراف الصريح بأنه يوجد إله واحد يحكم الأمم وكل مجالات الحياة. وحتى القواد والمحاربون والجنود الذين لا يعلمون هذه الحقيقة يسيرون بموجب أمر الله (إشعياء ٤٤: ٢٨)، فالاقتصاديات مثل السياسة تخضع لأمر يهوه. فالله له حيوان الوعر والبهائم على الجبال الألوف (مزمور ٥٠: ١٠). والله يستطيع أن يقسم الأرض بعدل لبيوت إسرائيل وبعدها يأمرهم بأن يعيدوها إلى مُلاكها الأصليين كل خمسين سنة "لي الأرض وأنتم غرباء ونزلاء عندي" (لاويين ٢٥: ٢٣). إن تعليم الكتاب المقدس واضح جداً. فالله هو رب الكل، وهذا يتضمن الاقتصاد والسياسة.

إن المسيحيين يهملون التعليم الكتابي عن الخطية ولهذا فبدل الإيمان الحقيقي تبنوا البديل الأسهل. بعض المسيحيين المعاصرين ينظرون إلى الخطية بطريقة شخصية وهذا عكس نظرة الكتاب المقدس. بالنسبة لهم الخطية تعنى الكذب والسرقة والسكر والزنا. هذه بالفعل خطايا فظيعة لكن هناك أيضاً العنصرية والاضطهاد الاقتصادي.

إن مفهوم الكتاب المقدس بالنسبة للخطية يؤكد أن الخطية تتعلق بالأمور الشخصية والأمور الاجتماعية أيضاً. لقد أعلن عاموس غضب الله على أولئك الذين يدوسون الفقراء، والذين يرتكبون الزنا (عاموس ٢: ٦-٧)، وأعلن إشعياء دينونة الله على أولئك الذين يحرمون الفقير أرضه، ومنزله، والذين يسكرون (إشعياء ٥: ٨-١١، ٢٢-٢٣). في عاموس الأصحاح الخامس، يدين الله بصورة واضحة أولئك الذين يشتركون في السياسة غير العادلة. "إنهم في الباب يبغضون المنذر، ويكرهون المتكلم بالصدق، بنيتم من حجارة منحوتة ولا تسكنون فيها، وغرستم كروماً شهية ولا تشربون خمرها. لأني علمت أن ذنوبكم كثيرة وخطاياكم وافرة أيها المضايقون البار، الآخذون الرشوة، الصادون البائسين في الباب" (١٠ - ١٢).

إن القوانين نفسها بحسب الكتاب المقدس تكون أحياناً غير عادلة لأن القادة الظالمين يسنونها ويشوهونها من أجل مصالحهم الشخصية. ولقد شهّر صاحب المزامير بأولئك الذين يحالفون القادة الظالمين الذين يشرّعون الأذى بالقانون (مزمور ٩٤ :٢٠). والله يتكلم بصراحة على هذه النظم الظالمة ويقول: وَيل للذين يقضون أقضية البطل وللكتبة الذين يسجلون جوراً.

ليصدوا الضعفاء عن الحكم ويسلبوا حق بائسي شعبي لتكون الأرامل غنيمتهم وينهبوا الأيتام"(إشعياء ١٠ :١و٢)

في الواقع، إن الله غاضب جداً على الناس الذين يستفيدون من النظم غير العادلة حتى إنه يهلكهم أحياناً. قال عاموس: "إن نساء عصره الثريات سوف يجرون خارج المدينة بخزائم في أنوفهن. لماذا؟ اسمعي هذا القول يا بقرات باشان ... الظالمة المساكين الساحقة البائسين القائلة لسادتها هاتِ لنشرب."(عاموس ٤: ١-٢).

بحسب الكتاب المقدس، الاشتراك بالنظم الظالمة القانونية وبالأسس الاقتصادية غير العادلة هو خطأ لا يسر الله. فعدم دفع أجور عادلة لموظفيك هو سرقة مثل سرقة أي بنك.

أخبرني ذات مرة أسقف هندي قصة توضح أهمية فهم الخطية الاجتماعية. قال لي إنه كان يوجد في الهند، مصحة عقلية لديها طريقة عجيبة في تقرير ما إذا كان نزلاؤها قد أصبحوا جاهزين للعودة إلى بيوتهم. كانوا يأخذون المريض إلى صنبور ماء ويضعون تحته دلواً كبيراً ويملأونه بالماء. وكانوا يتركون حنفية الصنبور مفتوحاً ثم يعطون المريض ملعقة ويقولون له: نرجو أن تفرغ لنا الدلو. إذا ابتدأ المريض يفرغ الدلو بالملعقة دون أن يقفل الصنبور يعلمون أنه لا يزال مجنوناً !!

غالباً ما يتعامل المسيحيون مع مشكلات المجتمع دون أن يقفلوا حنفية الماء. غالباً ما نفشل في أن نسأل كيف نقفل الحنفية من خلال تغيير النظم القانونية والسياسات الاقتصادية التي تؤذي الناس. علينا بالطبع أن نقود الأفراد للمسيح، لكن عندما نفهم الخطية الاجتماعية نرى بوضوح أكثر كيف نقدر أن نشكل من جديد النظم والأسس غير العادلة في المجتمع مثل العبودية. هذا يساعدنا حتى نفهم أكثر سيادة المسيح على السياسة والاقتصاد.

"المسيح هو رب، هو اعتراف مسيحي أساسي. إذا أراد مسيحيو اليوم أن يكونوا كتابيين، يجب علينا أن نعود لنكتشف ماذا تعني هذه العبارة بالنسبة للسياسة والاقتصاد، لكن كيف نفعل هذا؟

بدون شك، أول وأهم شئ نفعله هو أن نسلم تفكيرنا كلياً وبدون أي شرط للحق الكتابي. يجب أن نلقي بأفكارنا السياسية الموروثة والمواربة الموروثة عند أقدام الصليب. فآخر شئ يحتاجه العالم هو مسيحيين سياسيين يدعون أنهم يتبعون المسيح لكنهم في الحقيقية يميلون إلى أيديولوجيا اليسار أواليمين.

أليس غريباً أن يكون المسيحيون المتسامحون الذين يستنكرون موت الأطفال من الجوع هم أنفسهم الذين يدافعون عن إجهاض الملايين من الأطفال غير المولودين سنوياً؟ فماذا عن القادة المشهورين الذين ينادون بالحياة، والذين في نفس الوقت يروجون تجارة التبغ الذى يؤدى إلى موت الملايين مثل الإجهاض تماماً؟ هل هذه سياسة العالم؟

إذا أردنا أن يكون يسوع سيداً على سياستنا، فعليه هو أن يكتب المنهج السياسي. هذا يعني شيئين.

أولاً: هذا يعني أن نتبنى الاتزان الكتابى وليس انتقاء جبهة واحدة وموضوع واحد. فالله الذى يكشفه لنا الكتاب المقدس يهتم بالفقراء وبالأسرة، بالحرية وبالعدل، وأى إنسان يدَّعى المسيحية فى السياسة عليه أن يهتم بكل الأشياء كما الله.

ثانياً: المسيحيون الملتزمون عليهم أن يسعوا ليجدوا الحل الكتابى لكل موضوع. هذا يسهل قوله لكن تطبيقه صعب. فالله يريد أن يعضد الفقراء، لكن هل هذا يطبق أفضل من خلال الشيوعية أو السوق الحرة؟ أنا أؤمن أن الاقتصاد الحر يتجاوب أكثر مع مبادئ الكتاب. لكن لا يجب علينا أن نأخذ القرار دون أن نفحص ما يقوله الكتاب المقدس بدقة.

إننى أعمل منذ أكثر من عشر سنوات مع شبكة عالمية من القادة المبشرين. لقد عدنا إلى كلمة الله حتى نجد مبادئ الكتاب المناسبة للحياة الاقتصادية. ولن أنسى رحلة بالطائرة فوق المحيط الأطلنطى الشمالى العاصف، وأنا فى طريقى إلى إحدى المؤتمرات العامة. فلقد جلست هناك أضم أشخاصاً لمجموعات صغيرة، لكن الأفكار المتضاربة كادت أن تصيبنى باليأس، ولم يكن عندى أمل فى أن نتوصل إلى اتفاق. لكننا صلّينا وكنا نصغى. لقد كنّا نريد أن نخضع قلوبنا وعقولنا للمسيح وللكتاب المقدس، ونتيجة لذلك، كوّنا نصاً بيانياً عن الإيمان المسيحى والاقتصاد وقد كان كتابياً.

يحتاج المسيحيون أن يفعلوا نفس الشئ بالنسبة لكل موضوع فى الحياة العامة. فإذا أردنا أن نقدم سياسة مسيحية حقيقية تتعلق بالأسرة أو بالبيئة أو أى موضوع آخر، علينا أن نبحث عما يقوله الكتاب المقدس فى هذا الموضوع. بعد هذا، نحتاج أن نلخص كل ما دوّن فى كلمة الله على شكل لائحة أو قائمة من المبادئ المختصة بذلك الموضوع.

ترى هل هذا كل ما نحتاجه حتى ندع المسيح يشكل السياسة؟ بكل أسف، كلا. فأنا لم أكتشف ولا كلمة واحدة فى الكتاب المقدس تتحدث عن التفاعلات النووية، وطبقة الأوزون،

والبنك العالمي. لكن علينا أن نعرف عن هذه الحقائق العصرية المعقدة حتى نستطيع أن نهتم بالمجتمع وبالفقراء بطرق حكيمة وكتابية.

فبالإضافة إلى دراسة الكتاب المقدس، علينا أن ندرس العالم المعاصر. علينا أن نختبر التاريخ والاقتصاد وعلم الاجتماع والسياسة حتى نستطيع أن نطبق المبادئ الكتابية على مجتمعنا المعاصر المعقد. فإذا أردنا أن نطبق المبادئ الكتابية في مجتمعنا اليوم، لا بديل من التحليل الدقيق لعلم الاجتماع والاقتصاد. غالباً ما يبدأ المسيحيون بالعمل في السياسة دون أن يدرسوا الموضوع جيداً. والنتيجة؟ نبدو أغبياء، والأسوأ من هذا نفشل. إذاً التحليل الاجتماعي أساسي وضروري.

هذا لا يعني أننا لا يجب أن نتجرأ وننتخب قبل أن نتخصص لمدة خمس سنين في الاقتصاد والسياسة! بل يعني أننا نحتاج لمساعدة مسيحيين آخرين يفكرون بمسئولية تجاه الموضوعات السياسية، نحتاج إلى مساعدة المنظمات مثل منظمة Evangelicals For Social Actions، والتي تقوم بدراسة دقيقة لمشاكل سياسية محددة حتى تساعد المسيحيين في نشر المبادئ الكتابية.

لقد تحدثت حتى الآن عن شيئين هامين جداً يجب أن يتضمنا كل حكم سياسي: المبادئ الأخلاقية والتحليل الاجتماعي. فكمسيحي أريد أن أتبنى مبادئ أخلاقية من كلمة الله. أما بالنسبة للتحليل الاجتماعي، فإنني أتعلم من أي شخص يفكر بطريقة صحيحة ويأتي بحقائق ثابتة.

لكن هل كل ما نحتاجه هو المبادئ الكتابية والتحليل الصحيح؟ ليس تماماً. فالفلسفة السياسية هامة أيضاً. لقد حذرت قبل هذا من الدخول في السياسة دون امتحان المعتقدات لكن هذا لا يعني أننا لا نحتاج إلى الفلسفة السياسية (المعتقد أو المذهب السياسي) لماذا؟ لأنه بكل بساطة يستحيل أنه في كل مرة نقترع فيها، أو نقيم حديثاً سياسياً أو نؤيد مرشحاً نعود لنطبق المبادئ الكتابية والتحليل الاجتماعي. إذا فعلنا هذا، سنحتاج إلى عشرات السنين حتى نجهز لعملية انتخاب واحدة !!

نحن نحتاج إلى ملخص، إلى إطار أساسي من المبادئ والأحكام التي تساعد في حكم سياسي سريع ومحدد. هذا الإطار هو ما أسميه، بالفلسفة السياسية أو الأيديولوجية (المذهب أو المعتقد). إذا قبلنا ببساطة الفلسفة السياسية التي يتبعها آباؤنا أو أصدقاؤنا، نتبنى بطريقة لا شعورية التفكير اليساري أو التفكير اليميني أو أفكار العصر الجديد التي تعارض الإيمان الكتابي

لذلك فإن الفلسفة السياسية غير المختبرة خطيرة جداً. من جهة أخرى، فإن اختبار الفلسفة السياسية أمرٌ ضروري جداً.

كيف يكون لدينا سياسة فلسفية صحيحة؟ السياسة الفلسفية المختبرة والصحيحة تتكون عندما ندمج المبادئ الكتابية بالتحليل الدقيق للتاريخ والاقتصاد والسياسة.

دعوني أقدم مثلاً من خلال عرض فلسفتي السياسية. ولستَ مضطراً أن توافقني على فلسفتي. في الواقع أشجعك أن تكون منتقداً. فلا يوجد شخص فلسفته السياسية صحيحة مائة بالمائة ولا يوجد فيها أخطاء. لقد حاولت جاهداً أن أكوّن فلسفتي هذه من خلال دراستي لكلمة الله وملاحظتي الدقيقة للعالم.

لذلك إذا لم تتفق معي، أرجوك ألا تنعتني بصفات وأسماء. بل أظهر لي بكل محبة ودقة أين أخطأت في فهم الكتاب المقدس.

سبعة مبادئ قصيرة من أجل فلسفة سياسية :

١ - *يجب أن يكون للجميع قوة، وليس للبعض فقط:*

إن مبدئي الأول هو عدم تركيز القوة لأشخاص معينين. هناك وجه إيجابي، وآخر سلبي في جعل القوة ديموقراطية. فالقوة التي تقتصر على أشخاص معينين خطيرة جداً، لكن الخطاة سوف يستخدمون هذه القوة من أجل مصلحتهم وليس من أجل مصلحة الآخرين. في هذا العالم الساقط "القوة تفسد الأخلاق، والقوة المطلقة تفسد الأخلاق بصورة مطلقة". هذا ما قاله لورد أكتون Lord Acton : "إن القوة المجمعة في مركز واحد خطأ لأن الخالق يدعو كل إنسان أن يكون عاملاً مع الله القدير كوكيل على الخليقة وكمشكّل للتاريخ. وإذا قام حفنة من الناس الأقوياء بأخذ كل القرارات، فمعظم الناس لن تستطيع أن تعيش كما يريدها الله أن تعيش".

وبينما أتفحص التاريخ، وخصوصاً القرن العشرين، ألاحظ أن المجتمعات الشمولية، لها قوة مُركّزة، وأن الأمم الديموقراطية قد وزعت هذه القوة. إن حقيقة المجتمع الماركسي المؤلمة هي أنهم وضعوا كل القوة السياسية والاقتصادية في يد المجموعة الاشتراكية التي كانت تسيطر على الحكومة.

إن الملكية الخاصة والمؤسسات الديموقراطية هي نظم جيدة من أجل توزيع القوة. فكلما تشارك عدد أكبر من الناس في امتلاك الموارد الاقتصادية كلما توزعت القوة الاقتصادية. يقول صديق لي إن الملكية الخاصة رائعة جداً حتى إن الله يريد أن يكون لكل إنسان ملكيته الخاصة.

فعندما يكون للجميع الحق فى الانتخابات فى بلد ديموقراطى حر، لا يوجد مجال للاستبداد والطغيان. إن توازن القوة بين الاتحاد الائتلافي (الفيدرالى) الحكومى وبين القوة المحلية، الاتزان التشريعى والقضائى والقوة الإدارية، والتوازن بين قوة الحكومة مع المؤسسات الخاصة العديدة، كل هذه توزع القوة.

إن المبادئ الكتابية وخبرات العالم الجديد كليهما يدعوان لتوزيع القوة وللديموقراطية. تنفيذ هذا يقودنا إلى حكومة ديموقراطية وسوق اقتصادية.

هذا لا يعنى أن ديموقراطية اليوم والسوق الاقتصادي كاملان. فهناك ظلم مأساوى حتى فى أفضلهم. يوجد اليوم تركيز للقوة فى العديد من الحكومات البيروقراطية والتعاونيات الضخمة المتعددة الدول. إن أخطر تركيز للقوة فى أيامنا هذه توجد ضمن التعاونيات المتعددة الدول، والتى دخلها السنوى أكبر من بلدان عديدة، والدول المنفردة لا تستطيع أن توقفهم. ولا يوجد أى رادع لقوتهم ما عدا مصلحتهم الشخصية. إن أهم علامة لاتباع الكتاب المقدس فى يومنا هذا هو أن نتجرأ ونوزع القوة أينما كانت مركزة بطريقة خطرة، إن كانت فى الحكومات الموحدة أوفى التعاونيات المتعددة الدول.

٢- *يستحق الفقراء الاهتمام الخاص :*

إن مبدئى الثانى يدعو لاهتمام خاص من أجل الفقراء. هناك مئات الآيات فى الكتاب المقدس التى تذكرنا بأن الله يهتم بطريقة خاصة بالفقراء. الله يهتم بالجميع بطريقة مساوية. لكن تقريباً، كل الأغنياء على مر العصور والأجيال قد اهتموا بأنفسهم أكثر من اهتمامهم بالفقراء. وبخلاف محاباتنا، الله الذى ليس عنده أى محاباة يظهر بالنسبة لنا وكأنه يحابى. لكن لأن الله يهتم بالجميع دون أى تفرقة، فإنه يعمل على مر التاريخ حتى يرفع المرفوضين والمهملين.

المسيحيون الذين يعملون فى السياسة سوف يتصرفون بالمثل إذا كانت المبادئ الكتابية هى التى تقود قلوبهم وليس المبادئ العالمية. كم قضى يسوع أو الأنبياء من الوقت فى الدفاع عن أنفسهم أوعن الأغنياء والأقوياء؟ لاحظ المسيحيين بدقة هل هم قبل كل شئ صوت من أجل الفقراء أم من أجل الأغنياء؟ هل يبحثون عن مصلحتهم الشخصية أم عن مصلحة الضعفاء؟ هل هم معروفون بأنهم أصوات للضمير، يذكرون الجميع بأن الله يحاكم المجتمع بحسب ما يفعله بالفقراء والمعوزين؟.

٣- كل شخص يجب أن يكون عنده رأس مال لكي يعمل ويعيش حياة كريمة.

إن مبدئي الثالث ينبثق من محاولتي لتكوين مفهوم كتابي عن العدل والمساواة. إن العدل لا يعني أن كل شخص يجب أن يكون عنده نفس الدخل والغنى. لكنه يعني أن كل شخص يجب أن يكون عنده ما يكفي لمتطلبات الحياة حتي يكون عضواً مكرماً وفعالاً في المجتمع. فإن هذا يعني لمعظم الناس أن يكون دخلهم كافياً ومعقولاً. وبالنسبة للأقلية المريضة أو ذات الإعاقة، هذا يعني لمعظم الناس أن يسدد المجتمع والأصدقاء والأسرة احتياجاتهم.

إن تعليم العهد القديم حول استخدام الأرض، يساعدنا في تفهم هذا المبدأ الثالث. ففي المجتمع الزراعي، الأرض هي رأس المال الأساسي ومصدر الغنى الأول. لذلك فإن الله قسم الأرض بطريقة عادلة بين العشائر والأسباط (يشوع ١٨: ١-٧ - عدد ٢٦: ٥٢-٥٦)، ثم أمر الله بأن تكون هناك سنة اليوبيل كل خمسين سنة، خلالها تُعاد الأرض إلى مالكها الأصلي مهما كانت أسباب فقده لها (لاويين ٢٥: ١-٢٩). لقد أراد الله أن يكون لكل أسرة رأس مالها الأساسي حتى يعيشوا بكرامة ويكونوا مسئولين عن معيشتهم.

كان هذا يعني في وقت ما، أن يمتلك كل مزارع أربعين فداناً وبغلاً واحداً. وفي مجتمع آخر فإن مبدأ العدل يعني أن يكون لكل إنسان فرصة عمل حقيقية تؤمّن له دخلاً محترماً، أو رأس مال يستطيع أن يبدأ به مشروعاً صغيراً. وفي مجتمعنا نحن، فإن مبدأ المساواة يعني أن تتاح لكل إنسان فرصة التعليم والثقافة لأن المعرفة هي أساس رأس المال اليوم.

كيف نميز السياسيين الذين يعملون بموجب مبادئ الكتاب المقدس؟ إنهم السياسيون الذين يطلبون من الأغنياء والأقوياء أن يصرفوا ما يلزم حتى يقدموا للمواطنين الفقراء فرصاً مساوية، حتى يكون لهم رأس المال المناسب لكي يعملوا ويعتمدوا على أنفسهم ويصبحوا أعضاء مكرمين ومساهمين في المجتمع.

٤- التوصل إلى التوازن بين الحرية والعدالة.

إن مبدئي الرابع يرفض أن تُساوم الحرية على حساب العدالة الاقتصادية. فالاثنان هامان. ولا يمكن أن يعوض الواحد عن الآخر. كان الماركسيون يدعوننا لنضحي بحريتنا في سبيل

العدالة. وبعض المؤيدين للرأسمالية غير المقيدة يودون أن يستبدلوا الحرية بالعدالة الاقتصادية. الأشخاص الكتابيون لا يفعلون هذا ولا ذاك. فالحرية والعدالة أساسيان.

٥- فكر دائماً بطريقة شاملة.

المبدأ الخامس يأمر المسيحيين أن تكون لهم نظرية كونية شاملة وليس وطنية ضيقة. إن النعرة القومية لمعظم المواطنين المعاصرين هى بكل بساطة خطية. والمسيحيون يجب أن يكونوا مواطنين ينتمون إلى العالم كله قبل أن يكونوا مواطنين لبلد معين، لأن كل إنسان فى هذا العالم هو أخونا وأختنا على أساس الخليقة، ولأن كل فرد غالٍ جداً حتى أن المخلّص مستعد أن يموت من أجله. هذا لا يعنى أن كل انتماء وطنى تاريخياً وجغرافياً خطأ، أيضاً هذا لا يعنى أن النظرة الكونية الشاملة معناها أن يكون هناك حكومة عالمية واحدة، لكن هذا يتطلب من المسيحيين أن يقاوموا السياسات العامة الإقليمية التي تفيد بلدهم على حساب بلاد أخرى.

٦- انفصال الكنيسة عن الحكومة.

مبدئى السادس يؤكد على أهمية انفصال الكنيسة عن الحكومة. هذا لا يعنى أنه يجب علينا أن نفصل القيم الدينية والمبادئ الأخلاقية عن العملية السياسية، وهذا لا يعنى أيضاً أن رجال الدين عليهم أن يبتعدوا عن السياسة. لكن هذا يعنى أن الحكومة يجب ألا تتدخل فى حرية واستقلال المؤسسات الدينية. من جانب آخر لا يجب على الكنيسة أن تتجه إلى الحكومة من أجل تأييد لاهوت مسيحى أوكتابة توصيات للمدارس.

٧- فهم حدود السياسة.

إن مبدئى الأخير يؤكد على محدودية السياسة والاقتصاد. فالتغيير السياسى والاقتصادي ليس السبيل الوحيد لتغيير العالم. إنه أيضاً ليس الأكثر أهمية ! والأشخاص الكتابيون لن يغرقوا فى وهم السياسة المعاصرة ويظنوا أننا نستطيع أن نخلق عالماً جديداً من مجرد إعادة بناء المجتمع.

إن التجديد الشخصى يغير القلوب والأخلاق بطريقة أعمق بكثير من السياسة. والقيم الحضارية التى يشكلها الدين والأدب والفن والتعليم أكثر أثراً بكثير من الانتصارات الاستبدادية المؤقتة التى تمحو أثرها الانتخابات اللاحقة.

والأولياء الأمناء، الصحفيون الشرفاء، والمدرسون المكرسون، يشكلون المجتمع مثل السياسيين. نعم إن تغيير النظام ما هو إلا إحدى طرق تغيير العالم

الأشخاص الكتابيون لا يسمحون للسياسة أن تأخذ مكان التبشير. من جهة أخرى، هم لا ينسون أن الإله الذي يعبدونه هو أيضاً سيد السياسة. إنهم سوف يتذكرون أن الله استخدم سياسيين مسيحيين مكرسين مثل "ولبرفورس" حتى يغير تاريخ العالم.

كان "شارلز فيني" قائد الحملة التبشيرية في أمريكا في منتصف القرن التاسع عشر وقد أتى الآلاف إلى المسيح بسبب اجتماعاته الانتعاشية كما كان فيني قائداً يدعو لإبطال الرق، وكان دائماً خلال اجتماعاته الانتعاشية يعظ ضد خطية العبودية في المجتمع. لقد اكتشف المؤرخون المعاصرون أنه في العديد من الولايات كان مركز الحركة ضد الرق مصدره مجموعات من الذين تجددوا في اجتماعات فيني الانتعاشية.

كان فيني يمضي ستة أشهر كل سنة يدرّس اللاهوت في الكلية التي كانت قد أسست حديثاً واسمها كلية "أوبرلين Oberlin"، لكنه اشترط أن تقبل الكلية تلاميذ أفريقيين أمريكيين. ووافقت كلية أوبرلين وهكذا أصبحت الكلية الأولى في الولايات المتحدة التي تستقبل تلاميذ أمريكيين من أصل أفريقي.

وعادت كلية "أوبرلين" واكتشفت تعليم الكتاب المقدس الذي يكرّم المرأة، وأصبحت أول كلية في الولايات المتحدة تقدم شهادات جامعية للسيدات. في الواقع، كان المتخرجون المسيحيون من كلية أوبرلين هم القادة المسئولون في وقت حركة تحرير المرأة. لقد لعب المبشرون من كلية أوبرلين دوراً رئيسياً في إلغاء الرق في أمريكا وحق المرأة في الاقتراع سنة ١٩٢٠.

لم يكن فيني، يستطيع أن يحقق كل هذا بدون الدعم المادي من الأخوين..وكان الأخوان أغنى رجلي أعمال في نيويورك. لقد أسس أرثر تاباس Arthr Tappas جريدة تجارية سنة ١٨٢٧، كما أسس أخوه لويس Lewis Tappas العمل المشهور Dun & Bradstreet المختص بفائدة الائتمان المالي. وعاش آرثر حياة متواضعة وكان يهب جزءاً كبيراً من دخله لدعم كلية أوبرلين.

وقد لعب الأخوان آرثر ولويس دوراً أساسياً في تمويل وتنظيم حركة إبطال الرق وكانا مكروهان من قبل الجنوبيين. أحد المسئولين الجنوبيين قدم مكافأة قدرها مائة ألف دولار لأي شخص يحضر آرثر والمحرر الذي يدعمه من .New Orleans عندما هددت مشروعات Tappas

بمقاطعة الجنوبيين ونشر كل أعمالها في الشركات الشمالية، دب الرعب في جمعية المشروعات في نيويورك. وطلبوا من الأخوين أن يتخليا عن حملتهما ضد العبودية، لكن آرثر أجابهم بجرأة "سوف أشنق أولاً".

كان فيني والأخوان، يعلمان أن السياسة ليست بديلاً للتبشير. وكانوا أيضاً يعلمون أن المسيحيين الحقيقيين يخضعون سياستهم واقتصادياتهم للإله الحيّ.

إن عالمنا بحاجة شديدة إلى حركة جديدة يقودها مسيحيون حتى يدخلوا بنظرة الكتاب المقدس التي لا تساوم إلى الحياة السياسية والاقتصادية. إن السخرية الحالية بالحكومة عميق جداً حتى أن الديموقراطية نفسها في خطر. والانقسام بين الأغنياء والفقراء يهدد بتمزيق عالمنا. إن السياسيين الكتابيين هم الذين يستطيعون تغيير هذا.

يجب على السياسيين المسيحيين الحقيقيين أن يقفوا وقفة حاسمة لأنهم يختلفون عن الآخرين. يجب أن يكونوا صوتاً للذين ليس لهم صوت. يجب أن يفهموا إمكانيات، وحدود السياسة. يجب أن يضيفوا التواضع والتحضر للمناقشات السياسية لأنهم يعلمون أن الكل يخطئ أحياناً. يجب ألا يسحبوا النقود من المعارضين يجب ألا يقبلوا نصف الحقائق التي تضيّع بدل أن توضّح القوانين. يجب أن يسعوا لحوارات شريفة بدل الانتصارات الخبيثة. يجب أن يسعوا وراء الحقيقة والعدالة للجميع بدل القوة والامتياز للبعض.

إن القادة المسيحيين أصحاب الأعمال يجب أن يكونوا عبيداً خلاقين وليس أسياداً مسيطرين. يجب أن يستخدموا المواهب الفريدة والغنى الوافر حتى يوفروا وظائف محترمة، وإنتاج له أهميته بالنسبة للآخرين .. يجب أن يستفيدوا مادياً دون أن يعبدوا المال. يجب أن يقدروا الموظفين والخليقة أكثر من تحقيق الغنى. يجب أن يخاطروا ويوظفوا الفقراء والمعوزين.

هل هذا حلم أن نأمل في وجود جيل جديد من السياسيين المسيحيين ورجال الأعمال مثل ولبرفورس، وفيني، والأخوين؟ لا أظن ذلك. إنني أؤمن أنه يوجد أشخاص يجهزهم الله لمراكز قوة، ليكونوا قادرين أن ينظروا وجه المسيح ويقولوا: "بنعمتك، سوف أفعل كل ما تريدني أن أفعله".

إن بضعة مئات من الأشخاص مثل ولبرفورس ولويس آرثر ، سوف يعملون تغييراً جذرياً في العالم. لن يخلقوا عالماً جديداً، لكنهم سوف يجلبون إصلاحاً عظيماً. فالفقراء الذين لا كرامة لهم ولا مال سوف يجدون الأمل والكرامة. والحكومة سوف تخدم الجميع وليس فقط الأقوياء. وسوف يصبح عالمنا أقل انقساماً، أقل عنفاً، أقل ظلماً، وسوف يفرح إله الفقراء.

يريد العالم أن يرى ماذا سيفعله الله إذا وجد بضعة آلاف من المسيحيين يتعهدون أمام الله ويقولون: "نحن نتعهد أن نخضع كل تصرف سياسي وكل قرار اقتصادي لمشيئتك وسيادتك".

الفصل التاسع

النزول من الكرسي إلى الأرض

السمة التاسعة

المسيحي الحقيقي يشارك الله اهتمامه الخاص بالفقراء.

إن "كولين، وفني صموئيل" يعرفان معنى النزول من الكرسي إلى الأرض. فكلاهما نشأ في المنازل الهندية الأثرية. وكلاهما نعم بتعليم ممتاز. بعد أن نال فني درجة الدكتوراه في كامبريدج وعاد إلى الهند، ابتدأ يرعى أغنى كنيسة في أكبر مدينة هندية وهي "بنغالور Bangalore".

لكن الخدمة الناجحة بين هذه الجماعة الغنية ذات النفوذ،لم تصمت تجاه وضع الفقراء. سنة ١٩٧٥ بدأت كولين تخدم يومياً في حيّ شعبي في ضواحي "بنغالور"، حيث يسود الفقر على سبعين في المائة من السكان. ابتدأت كولين وفني أولاً في إنشاء مدرسة للأطفال الفقراء الذين ليس بمقدورهم الالتحاق بالمدارس، بعدها أنشأت برامج للتدريب المهني، ثم ملجأ للأيتام، ثم عيادة، ومشروع للقروض الصغيرة، ثم كنيسة.

سنة ١٩٨٣ فاجأ فني وكولين مجموعتهم الغنية، وأيضاً سكان الحي الشعبي. فقد انتقلت أسرتهم كلها لتعيش في هذا الحي الشعبي. كان حوالي ٤٠ ألفاً من جيرانهم يعيشون في أكواخ صغيرة جداً تتألف من غرفة واحدة مصنوعة من الطين وأوراق الأشجار. كانت أبواب تلك الأكواخ صغيرة جداً حتى أنك يمكن أن تزحف حتى تدخل إلى الداخل، والقليل من هذه الأكواخ بها كراسي. لذلك عندما كان فني وكولين يقومان بزياراتهما، كانا يجلسان على الأرض مثل جيرانهما الفقراء.

وكانت النتائج مذهلة. فمركزهما المتعدد الخدمات يخدم اليوم خمسين ألفاً من الناس المحتاجة. ولأن الصلاة والعبادة والتبشير هم أساس خدمتهما، فقد قادا المئات إلى المسيح وأسسا كنائس جديدة عديدة.

لم تكن تحدث هذه الخدمة الرائعة لو لم يفهم فنى وكولين اهتمام الله الخاص بالفقراء والمهملين. لأنهما فهما وأطاعا، فقد استخدمهما الله ليكونا سبب بركة لخمسين ألف نفس يائسة. إن نفس هذا الفقر المدقع الذى يصيب مجتمع فنى وكولين، موجود الآن فى العالم. فهناك شخص واحد فقير من كل خمسة أشخاص يعيشون اليوم. هذا يعد أكثر من مليار ! هؤلاء ليس لهم طعام، والتعليم والتطبيب معدوم تقريباً بالنسبة لهم. وأدمغة أطفالهم غالباً ما يصيبها عطب جذرى بسبب نقص البروتين. وفى كل يوم يموت حوالى خمسين ألفاً منهم بسبب الجوع وسوء التغذية. فى نفس الوقت، يوجد شخص من كل أربعة أشخاص فى عالمنا يحيا ويموت دون أن يسمع ولو لمرة واحدة عن يسوع. كل يوم يموت حوالى خمسين ألف إنسان، ويذهبون إلى الأبدية دون أن يخبرهم أحد عن محبة الله فى المسيح. هؤلاء الذين يموتون دون أن يعرفوا عن المسيح هم تقريباً نفس الأشخاص الذين يموتون بسبب الجوع وسوء التغذية.

هل يهتم المسيحيون بأن خُمس البشرية هم فقراء وفى نفس الوقت لا يعلمون شيئاً عن إلهنا؟ هل طريقة تصرفنا بأموالنا تجيب لنا هذا السؤال؟ يشكل المسيحيون ٣٣٪ من عدد سكان العالم، لكننا نحصل على ثلثى أى ٦٦٪ من الدخل ونتبرع بـ٢,٥ ٪ منه فقط. ومعظم هذا التبرع يبقى مع المسيحيين الأغنياء الذين يديرون برامج خدمات لمصلحة مجموعاتهم وبلادهم.

إن الفجوة بين الأغنياء والفقراء كبيرة جداً وهى تتسع. فسنة ١٩٦٠ كان أغنياء العالم الذين يشكلون ٢٠٪ من عدد السكان يأخذون ثلاثين ضعفاً أكثر من العشرين في المائة الفقراء سنة ١٩٩٠، هل يهتم الله بأننا رغم زيادة غنانا نعطى أقل من ٣٪ لعمل الخير ونصرف القدر الأكبر على أنفسنا؟

الكتاب المقدس يمدنا بإجابات صريحة جداً على هذا السؤال، فمثل يسوع عن الخراف والجداء يقودنى للتأمل فى كل مرة أقرأ هذا النص، فهو يتفوه بهذا الحكم الفظيع إلى كل من لم يطعم الجائعين ويكسى العرايا: "اذهبوا عنى يا ملاعين إلى النار الأبدية المعدة للشيطان وملائكته" (متى ٢٥: ٤١).

الرسول يوحنا يتكلم عن نفس الموضوع ويحذر ويقول: "وأما من كان له معيشة العالم ونظر أخاه محتاجاً وأغلق أحشاءه عنه فكيف تثبت محبة الله فيه"(١ يوحنا ٣: ١٧)

إن الكتاب المقدس ملئ بالمقاطع التى تتحدث عن اهتمام الله بالفقراء بنوع خاص. وهناك المئات من النصوص الأدبية أيضاً. لقد جمعت كل هذه ذات مرة فى كتاب دعوته

"صرخة العدالة".والمقاطع الكتابية وحدها والتى تتحدث عن أمانة الله ومحبته للفقراء ملأت تقريباً مائتي صفحة فى الكتاب.

هناك أربع حقائق كتابية أساسية مختصة بالفقراء، يجب على الكنائس أن تعيها إذا أرادت أن تكون أمينة :

١- الكتاب المقدس يكرر دائماً أن سيّد التاريخ يعمل لكى يرفع الفقراء والمظلومين.

هذا التعليم واضح بصورة خاصة فى الأحداث الرئيسية على مر التاريخ. لنأخذ مثلاً سفر الخروج. فمن جهة نعلم أن الله أراد أن يخرج شعب إسرائيل من أرض مصر لكى يحقق وعده لإبراهيم. لكن من جهة أخرى، النصوص تقول بأن الله تدخَّل لأنه يكره الظلم الذى كان يلاقيه الإسرائيليون الفقراء (خروج ٣: ٧-٨، ٦: ٥-٧). وشعب إسرائيل أصبح يردد سنوياً فى عيد الحصاد هذا الاعتراف: "فأساء إلينا المصريون وثقلوا علينا وجعلوا علينا عبودية قاسية. فلما صرخنا إلى الرب إله آبائنا، سمع الرب صوتنا ورأى مشقتنا وتعبنا وضيقنا. فأخرجنا الرب من مصر بيد شديدة وذراع رفيعة ومخاوف عظيمة وآيات وعجائب."(تثنية ٢٦: ٦-٨). إن الله يعمل على مر التاريخ حتى يرفع الفقراء والمظلومين.

٢- الكتاب المقدس يعلمنا حقيقة ثانية أكثر إزعاجاً.

أحياناً، يمزق سيد التاريخ الأغنياء والأقوياء،وترنيمة العذراء مريم غريبة، إذ تقول :"تعظم نفسى الرب. أشبع الجياع خيرات وصرف الأغنياء جائعين" (لوقا ١: ٤٦، ٥٣). كما أن قول الرسول يعقوب أكثر غرابة: "هلم أيها الأغنياء ابكوا مولولين على شقاوتكم القادمة" (يعقوب ٥: ١)

ما الذى يحدث؟ هل الغنى سيئ؟ كلا. فالكتاب المقدس واضح من هذه الجهة بأن الله قد خلق عالماً رائعاً ووضع فيه البشر حتى يستمتعوا بخيراته ويثمروا بكثرة. إذاً، هل الله يحابى؟؟ بالطبع لا، فالكتاب المقدس يعلن بصراحة أن الله ليس عنده محاباة تجاه الغنى أو الفقير (تثنية ١٠: ١٧-١٨).

إذاً ما هى المشكلة؟ ولماذا تحذر كلمة الله مراراً وتكراراً بأن الله يصرف الأغنياء؟ يوجد إجابة كتابية بسيطة. السبب هو أن الأغنياء يصبحون أحياناً أغنياء من خلال ظلمهم للفقراء. أو بسبب أن لديهم الكثير، ويهملون المحتاجين. فى كلتا الحالتين يغضب الله.

لقد حذر يعقوب الأغنياء بشدة لأنهم كانوا يجمعون الأموال ويرفضون أن يدفعوا أجور عمالهم (٥ :٢-٦). وقد قال أنبياء العهد القديم نفس الشئ (مزمور ١٠-إرميا ٢٢: ١٣-١٩، إشعياء١٤:٣-٢٥)، "لأنه وجد في شعبي أشرار يرصدون كمنحن من القانصين ينصبون أشراكا يمسكون الناس. مثل قفص ملآن طيورا هكذا بيوتهم ملآنة مكرا. من أجل ذلك عظموا واستغنوا. سمنوا لمعوا. أيضا تجاوزوا في أمور الشر. لم يقضوا في الدعوى دعوى اليتيم. وقد نجحوا. وبحق المساكين لم يقضوا" (إرميا ٥: ٢٦-٢٩).

ولقد كرر الأنبياء وحذروا أن الله غاضب جداً حتى إنه سوف يدمر شعب إسرائيل ويهوذا، وذلك لأنهم " يتهممون تراب الأرض على رؤوس المساكين ويصدون سبيل البائسين". (عاموس ٢: ٧، ٥: ١١، ٦: ٤، ٧: ١١و١٧). وهكذا قال أيضاً إشعياء وميخا (إشعياء ١٠: ١-٣ ، ميخا ٢:٢-٣: ١٢) وحدث كما سبق وتكلما. إذاً بحسب العهدين الجديد والقديم، فالله يدمر شعوب ومجتمعات اغتنت بسبب الظلم.

لكن ماذا إذا عملنا بجهد وأصبحنا أغنياء بطرق مشروعة؟ هذا جيد والله سيسر، طالما لا ننسى أن نشارك الآخرين غنانا. فمهما كان غنانا سببه طرق مشروعة، يأمرنا الله أن نكون كرماء مع البائسين الفقراء. وإذا لم نطع فالكتاب المقدس يقول بأن الله يعاملنا مثلما يعامل أولئك الذين يضطهدون الفقراء. في قصة يسوع عن الرجل الغني ولعازر، لم يذكر أن الغني اضطهد لعازر لكي يصبح غنياً. لكنه رفض أن يشاركه ولهذا نال عقاب الله (لوقا ١٦ :١٩-٣١).

يحتوي سفر حزقيال على تفسير فريد لدمار سدوم: "هذا كان إثم أختك سدوم الكبرياء والشبع من الخبز وسلام الاطمئنان كان لها ولبناتها ولم تشدد يد الفقير والمسكين. وتكبرن وعملن الرجس أمامي فنزعتهن كما رأيت"(حزقيال ١٦ :٤٩و٥٠).

هنا أيضا، النص لا يتهم سدوم بأنها اغتنت نتيجة ظلمها. لكن لأنها رفضت أن تشارك غناها فإن الله دمر هذه المدينة.

إن الكتاب المقدس واضح. إذا أصبحنا أغنياء نتيجة ظلمنا، أو إذا كنا أغنياء ولم نكرم الفقراء، فإن الله سيدمرنا كما فعل عبر العصور. إن الله يحكم على المجتمعات بحسب تصرفهم مع الطبقة السفلى. هذا هو مقدار اهتمام الله بالفقراء والبائسين.

٣- حقيقة كتابية أخرى عن الفقراء

الكتاب المقدس يقول بأن الله يتعاطف مع الفقراء لدرجة أنه إذا اعتنينا بهم نكون وكأننا نساعد الله "من يرحم الفقير يقرض الرب" (أمثال ١٧ :١٩). نعم إن فنى وكولين يقرضون خالق هذا الكون. من جهة أخرى "ظالم الفقير يعير خالقه" (أمثال ١٤ :٣٢).

إن مثل يسوع عن الخراف والجداء هو أوضح تعليق على هاتين الآيتين. فيسوع يفاجئ الجالسين عن يمينه بإصراره أنهم أطعموه وكسوه عندما كان عريانا وجوعانا. وعندما اعترضوا ولم يستطيعوا أن يذكروا بأنهم فعلوا هذا، أجاب يسوع: "بما أنكم فعلتموه.." (متى ٢٥ :٤٠). إذا صدقنا كلماته، تصبح لنا نظرة مختلفة للفقراء والمتروكين.

٤- أخيرا، تعلم كلمة الله بأن شعب الله الأمناء يشاركون الله اهتمامه بالفقراء

لقد أمر الرب شعبه إسرائيل ألا يعامل الأرامل واليتامى والغرباء كما عاملهم المصريون (خروج ٢٢ :٢١-٢٤). لكن يجب أن يحبوا الفقراء، والمساكين كما يحبه الله (خروج ٢١: ٢٢-٤٤ وتثنية ١٥ :١٣-١٥). فعندما يقيم تلاميذ يسوع عشاء احتفال، عليهم بصورة خاصة أن يدعوا المساكين والمعوقين (لوقا ١٤: ١٢- ١٤، عبرانيين ١٣ :١-٣). وقد ذكر بولس للكورنثيين أن يسوع افتقر وهو غني حتى يريهم كم عليهم أن يكونوا كرماء مع فقراء أورشليم (٢كورنثوس ٩:٨).

لكن الكتاب المقدس يزيد في تأكيده على هذا الموضوع بطريقة مدهشة. فالله يصر ويقول بأننا إذا لم نتمثل به من جهة الاهتمام بالفقراء لا نكون شعبه بالحقيقة مهما كثرت عباداتنا ومهما سلكنا باستقامة. فلأن الإسرائيليين فشلوا في أن يرجعوا عن ظلمهم وفي أن يحاموا عن الأرامل، أصر إشعياء في قوله إن إسرائيل هو شعب عمورة الأممي (إشعياء ١ :١٠ - ١٧). لقد كره الرب صيامهم لأنهم حاولوا أن يعبدوا الله وفي نفس الوقت كانوا يظلمون عمالهم (إشعياء ٥٨ :٣-٧). ومن خلال عاموس فقد صرخ الرب بغضب وقال إن احتفالاتهم الدينية أغضبته. ترى لماذا؟ لأن الأغنياء كانوا يدمجون العبادة مع ظلمهم للمساكين(٥ :٢١-٢٤). وقد كان يسوع أشد قساوة بالنسبة لهذا الموضوع، ففي المحاكمة النهائية، فإن بعض ممن يتوقعون أن يدخلوا السماء سوف يعلمون أن فشلهم في أن يطعموا الجوعى قد قادهم للجحيم (متى ٢٥). إذا كنا لا نهتم باخوتنا وأخواتنا المحتاجين فإننا بكل بساطة لا نعرف الله (١ يوحنا ٣ :١٧).

إن النص الوارد في (إرميا ٢٢ :١٣-١٩) مدهش للغاية. كان للملك الصالح يوشيا ابن شرير اسمه يهوياقيم. عندما أصبح يهوياقيم ملكاً، بنى قصراً عظيماً من خلال ظلمه لعماله. فأرسل له الله النبي إرميا حتى يعلن عن عقوبة فظيعة.

إن المقطع الملفت للانتباه هو الذي يمدح والد هذا الملك الشرير. فيقول في العدد ١٦ "قضى قضاء الفقير والمسكين، حينئذ كان خير. أليس ذلك معرفتي يقول الرب". إن معرفتنا لله لا تنفصل عن الاهتمام بالفقراء. لكن بالطبع، لا نجرؤ ونحجِّم معرفتنا لله بمجرد الاهتمام بالفقراء. كما يفعل بعض اللاهوتيين. فنحن نقابل الله من خلال الصلاة ودراسة الكتاب المقدس والعبادة وطرق عديدة أخرى. لكن إذا لم نشارك الله رغبته في مناصرة المساكين فإننا نكون لا نعرف الله بصورة كتابية.

وإنني أخشى أن مسيحيين كثيرين اليوم يظنون أنفسهم مستقيمين، لكنهم هراطقة بالنسبة لهذا الموضوع. فإذا كان ما ورد في (إرميا ١٦ :٢٢ وفي ١يوحنا ٣ :١٧) يمثل مقياساً كتابياً لمعرفة الله بالحق، فماذا يظن الله في المسيحيين الأغنياء الذين هم أغنى بستين مرة من خمس عدد السكان في العالم، ورغم ذلك فإنهم يشاركون بثلاثة بالمئة فقط من دخلهم هذا؟ أليست هذه هرطقة بالنسبة لتعاليم الكتاب الواضحة؟ لننظر حولنا نحن المسيحيين ونلاحظ بيوتنا وسياراتنا وأملاكنا وأموالنا، هل نقدر أن نقول إن حياتنا تشابه المسيح وليس العالم؟

أرجو ألا يسئ القارئ فهمي. إنني لا أنادي بالفقر أو بالماركسية. فإنني أظن أن الغنى الذي يأتي بطرق عادلة حسن جدا، وهام جدا أيضا. فالعاطلون عن العمل يحتاجون إلى وظائف. والخالق يريدنا أن نتمتع بالأرض التي وهبها لنا لكي نصونها ونطورها.

إن تعليم الكتاب المقدس المختص بالفقر وبالممتلكات يحتوي على توازن ومرونة رائعين. فهناك مادة وروح . وبحسب كلمة الله العالم المادي ليس وهماً لنهمله أو شرا لنتحاشاه. العالم المادي حسن لدرجة أن الخالق أصبح جسدا، وحسن لدرجة أننا ننتظر خلاص أجسادنا، وحسن لدرجة أن كل الخليقة التي تئن تقف منتظرة خلاصها.

لقد وضع الخالق الرجال والنساء في هذا العالم الرائع لكي يكونوا وكلاء، وشكلهم بصورة مميزة على صورته حتى يهتموا ويعتنوا بحديقة الله الحسنة. لذلك فإن اقتفاءنا لخطوات الله في العلوم والتكنولوجيا والمنتجات المفيدة حسن جدا. والمسيحيون يجب أن يفرحوا بالعالم الحاضر الذي ينتج وفرة حتى إننا إذا اهتمينا يستطيع كل إنسان أن يمنح فرصة التعليم الرفيع والعلاج الجيد بالإضافة إلى وفرة الطعام واللباس والسكن.

لكن عند هذه النقطة يوجه إلينا الكتاب المقدس تحذيرا. فالوفرة المادية التى تأتى بعدل هى عطية حسنة. لكنها أيضا خطيرة. فسهل جدا أن نثق بغنانا بدل أن نثق بالله (١ تيموثاوس ٦: ٩-١٠)، وسهل جدا أن نقدر الأشياء المادية أكثر من الأشخاص والله. لا نقدر أن نخدم الله والمال (متى ٦ :٢٤). والغريب أن الغنى المتزايد يقسى قلوبنا تجاه الفقراء بدلا من أن يزيد من كرمنا.

هناك دراسة حديثة تشرح هذه المشكلة. فسنة ١٩٦٨ كان معدل الدخل السنوى للفرد ٩٨٣١ دولارا، وكان أعضاء الكنائس يقدمون ٣,١٤ بالمائة من دخلهم. مع حلول سنة ١٩٩٢ أصبح معدل الدخل السنوى للفرد ١٤٥١٥ دولارا، لكننا أصبحنا نعطى ٢,٥٢٪ من دخولنا فقط. (فى هذه الإحصائية حسبت قيمة الدولار كما فى سنة ١٩٨٧). نعم من السهل جدا أن نقلد الغنى الغبى الذى كان مشغولا ببناء مخازن أكبر لنفسه(لوقا ١٢ :١٦ - ٢١) عوض عن أن نشبه المرأة الحكيمة فى الأمثال التى تفتح ذراعيها للمسكين (٣١ :٢٠).

إن عالمنا فى حاجة شديدة لأن يفهم كتابيا التوازن فى الغنى. وأيضا فى الفقر ! فبعض الناس يلومون الآخرين على فقرهم. ألا يسبب الفقراء التعاسة لأنفسهم بسبب كسلهم واختياراتهم الخاطئة للجنس والكحول؟ والبعض الآخر يلوم المجتمع ونظمه على تعاستهم.

نعم بعض الناس هم فقراء بسبب اختياراتهم الخاطئة. آخرون هم فقراء لأنهم يظنون أن نظرة المجتمع للدين هى أنه ينكر عليهم الحياة الكريمة ولا يشجع على تغيير الأوضاع. (مثلا، النظام الهندوسى يدعى أنه على الأغنياء والفقراء أن يقبلوا قدرهم حتى تكون حياتهم أفضل عندما يأتون إلى الحياة ثانية). فى كلتا الحالتين، يحتاج الناس لأن يسمعوا الإنجيل، ويقبلوا نظرة الكتاب للعالم والمتعلقة بالحياة الكريمة للجميع، ويختبروا قوة فداء المسيح.

بعض الناس فقراء بسبب كوارث طبيعية أو بسبب عدم تسلحهم بالعلم والمعرفة. إنهم فى حاجة لمسيحيين يقدمون لهم الطعام وأيضا التعليم التكنولوجى حتى يستطيعوا أن يعملوا ويعولوا أسرهم.

لكن البعض فقراء بسبب عدم العدالة فى المحاكم وفى القوانين أو بسبب تقسيم الأراضى أو بسبب عدم تواجد فرص التعليم والعمل. لقد رأينا سابقا من خلال تعليم الكتاب المقدس الواضح أن البعض يصبحون أغنياء نتيجة لظلمهم للفقراء.

والمسيحيون يجب أن يتكاتفوا مع كل من يريد الخير للمجتمع، حتى يكون هناك حرية وعدل اجتماعيين. الله يريد أن يكون هناك فرصا للجميع لكى يمتلكوا ويكسبوا حتى يكونوا أفرادا أحرارا يعيشون حياة كريمة فى مجتمعهم.

الأشخاص الكتابيون يعلمون أن العدالة والخبز للجميع هامان جدا. لكنهم يعلمون أيضا أن هذا لا يكفى. فقراء العالم يحتاجون إلى يسوع. إنهم فى حاجة لأن يعلموا بأنهم مهما كانوا محتقرين ومداسين وجائعين، فإن خالق هذا العالم يحبهم جدا لدرجة أن يسوع كان مستعدا لأن يموت من أجلهم فقط. إنهم فى حاجة لأن يعلموا هذه الحقيقة الآن فالرب المقام يتوق لأن يغفر خطاياهم ويغير حياتهم المتهدمة، ويرحب بهم فى الحياة الأبدية. إنهم فى حاجة لأن يعرفوا أيضا أن نفس هذا الإله يهتم بصورة خاصة بالفقراء، وأنه يكره الظلم، ويدعوهم الآن لكى يصبحوا عاملين معه من أجل تغيير المجتمع.

فكر ماذا سيحدث إذا شاركنا هذه الرسالة الكتابية الكاملة المليار إنسان الذين لا يعرفون العدالة ولا يسوع. إنهم لن يصدقوننا بالطبع إلا إذا بشرناهم بنفس الطريقة التى كان يبشر بها يسوع. فقد عاش ما كان يعظ به. كان يرافق الفقراء ويسدد احتياجاتهم، فى الوقت نفسه كان يعلمهم ويعظهم. فكر فى القوة التى ستنبثق من كنيسة تحيا اليوم كما عاش يسوع. فالفقراء أيام يسوع لم يشكوا أبدا أن الأخبار السارة كانت أساس إرساليته (لوقا ٤ :١٨). فكل ما كانوا فى حاجة لأن يفعلوه هو أن ينظروا إلى ما كان يقوله ويعمله. لكن عندما ينظر فقراء اليوم إلى الكنيسة، تكون لهم أسباب وجيهة فى الشك بأننا نعنى ما نقوله عن يسوع. إن تأثير تبشيرنا سيكون ضعيفا وإيماننا سيكون هرطقة إذا لم نهتم بالفقراء كما الله.

ماذا يجب أن يفعل المسيحيون اليوم حتى يقنعوا الفقراء بأنهم تلاميذ يسوع بالحق؟

يجب على الكثيرين أن يتصرفوا مثل فنى وكولين وينتقلوا ليعيشوا فى الضواحى الفقيرة وينزلوا من الكرسى إلى الأرض. ويجب على كثيرين أن يعضدوا أولئك الذين ينتقلون إلى الضواحى الفقيرة بالصلاة والمال. هذه تلمذة مكلفة، لكن النتائج ستكون مذهلة.

إن قصة دافيد بيساو David Bussau تشير إلى ما يمكن أن يحدث.. فقد كان "دافيد" يتيما، وهو لا يعرف شيئا عن أبويه. لكنه تعلم عن الله فى الملجأ الذى بقى فيه حتى سن السابعة عشرة. وعندما ترك الملجأ، اكتشف أن الله قد وهبه مهارات عمل غير عادية. فكل عمل قام به كان ينجح. وجمع دافيد أول مليون عندما أصبح فى الخامسة والثلاثين.

بعدها، ابتدأ الله يوجه مشاعره تجاه احتياجات الفقراء. وابتدأ يشعر هو وزوجته كارول بأن الروح القدس يدعوهما لأن يستخدما مهاراتهما وما يملكانه" من أجل الملكوت وليس فقط من أجل أن يربحا ويدخرا". سنة ١٩٧٦، انتقلت كل الأسرة لكي تعيش في قرية مسيحية فقيرة تدعى بالي في أندونيسيا. وخلال السنوات التالية اكتشف دافيد كيف تغير القروض الصغيرة حياة الفقراء المعدمين. لم تكن البنوك ترضى بأن تعطي قروضا بمبالغ نقدية صغيرة ٢٥أو٥٠ أو٢٠٠ دولار، لأناس ليس عندهم خبرة. لكن دافيد اكتشف أن القروض الصغيرة مع التوجيهات الفنية تفعل عجائب. فمن خلالها يستطيع شخص فقير أن يشتري أداة بسيطة أو مواد كافية لكي تزيد من دخل أسرته. وكانوا يردون القروض بكل سرور بالإضافة إلى فوائدها.

ابتدأت هذه القروض تؤثر في حياة البؤساء مثل راسا Riasa التي كانت تعيش في أندونيسيا، وهي أرملة معاقة تعيش في مجتمع لا يوجد فيه مركز للمعاقين ولا علاج ولا وظائف. لم يكن في منزلها المسقوف بالقش كهرباء، ولا ماء ولا دورة مياه. كان عبارة عن أرض من الطين. وكان عليها أن تهتم بابنتها ذات السبع سنوات وحماتها العجوزة. كان المرض قد أعاق ذراعها وساقها اليمنى. لكن كان لراسا أمل بسبب قروض إحدى شركات دافيد. فعندما اقترضت أولا ٢٥ دولارا، ابتاعت ذرة وعملت خبزا وباعت في السوق. ومن خلال أرباحها أعادت القرض ووسعت عملها بقرض آخر قدره خمسين دولارا. والآن وبعد أن تعيد القرض الثالث تخطط في أن تفتح دكانا صغيرا أمام منزلها.

في أوائل الثمانينات، طلبت الكنيسة البروتستانتية في "بالي" من دافيد أن يكون برنامجا كبيرا للقروض الصغيرة. إنهم يعطون القروض للهندوس والمسيحيين. في الواقع أكثر من ٨٥٪ من القروض وجهت إلى الهندوس، لكن البرنامج له أهداف إنجيلية محضة. فأول خطوة هي أن يقابل كل من يريد أن يقترض، القس المسيحي المحلي. وهذا البرنامج في بالي أعطى حوالي ٩ آلاف قرض، وفتح أكثر من ٢٢ ألف فرصة عمل وذلك من سنة ١٩٨٣ وحتى سنة ١٩٩١.

وكانت نتيجة هذا بركة كبيرة معضدة بصورة كبيرة. فسنة ١٩٧٥ كانت جميع كنائس بالي البروتستانتية تحوي تسعة قسوس، وكان تسعون في المائة من التعضيد يأتي من الغرب.

مع سنة ١٩٩١ أصبح عدد القسوس ٤٥قسيسا، ٨٥٪ من تعضيدهم أصبح من المجموعة المحلية. كما أن عدد المسيحيين الباليين زاد بنسبة ٣٠٠ إلى ٤٠٠ بالمائة خلال الثلاثين سنة السابقة. لقد أثرت القروض الصغيرة بطريقة كبيرة.

لقد انتشر برنامج القروض الصغيرة باسم يسوع بصورة سريعة، فاليوم يقوم دافيد بسيو وشركاؤه من خلال منظمة (Opportunity Network) بإنشاء عشرات من هذه البرامج في بلاد دول آسيا، وأفريقيا، وأمريكا اللاتينية. كما أن هذا البرنامج ابتدأ ينتشر في البلدان الصناعية. فمنذ سنة ١٩٨١ وحتى سنة ١٩٩٣ أعطت (Opportunity Network) ٤٦ ألف قرض، وخلقت ٧٨ ألف فرصة عمل بين الفقراء. عادة، كل قرض يساعد أسرة تتكون من خمسة أفراد. وخلال سنة يعيدون القرض ويتمتعون بزيادة دخل تصل إلى ٥٠ بالمائة. لقد غير دافيد وشركاؤه حياة مئات الألوف من البشر.

فكر في ماذا سيحدث لو أن أعدادا كبيرة من المسيحيين تبنت هذه الرؤية. إن الدخل السنوى للمسيحيين اليوم هو تقريبا ١٠ تريليون دولار. بالطبع لن يكون أحدنا فقيرا لو أننا قررنا أن نعطى ١٠ في المائة من هذا الدخل بدل من ٢,٥ بالمائة. لنفترض أن عشرة في المائة من المسيحيين (ودخلهم واحد تريليون) قرروا أن يتبرعوا بالعشرة بالمائة. إن العشرة بالمائة من التريليون الواحد يساوى مائة مليار (بليون) دولار. لنفترض أننا نعطى النصف الآخر لفترة وجيزة للقروض الصغيرة من أجل الفقراء الذين يساعدهم دافيد بساو ماذا سيحدث عندئذ؟

يخبرني دافيد أن خمسمائة دولار كافية لأن تغطى جميع تكاليف القرض الذى سيؤدى إلى زيادة دخل الأسرة الفقيرة ذات الخمسة أفراد خلال سنة واحدة. إلى كم قرض تقسم الخمسين بليون دولار؟ إلى مائة مليون قرض !! وكل قرض يؤثر على أسرة مكونة من خمسة أفراد. إذاً فالخمسين بليونا المقسمة إلى مائة مليون قرض ستحسن حياة خمسمائة مليون إنسان فقير !! خلال سنتين فقط نستطيع أن نؤمن مئتي مليون قرض لكي نساعد مليارا واحدا (بليون) من البشر. هذا هو تقريبا عدد الفقراء المقدر في العالم اليوم. نعم، إن عشرة في المائة فقط من مسيحيي هذا العصر بإمكانهم أن يحسنوا من وضع أفقر بليون إنسان خلال سنتين – هذا إذا رضينا أن نشارك بخمسة بالمائة فقط (وهو نصف عشورنا) من دخولنا.

لا أنكر أنه ستظهر مشاكل غير متوقعة عندما نبدأ في تنفيذ هذا، فنسبة المهارة ستكون أقل. وأنا لا أقول أن المثل الذى ذكرته هو مخطط عمل دقيق. لكن مهما احتاجت الحسابات إلى تدقيق، هناك شئ واحد رائع وواضح. فلدينا المال لكي ننتج تغييرا مذهلا ! وبدون أن نصبح فقراء. يستطيع المسيحيون اليوم أن يغيروا حياة خمس عدد سكان العالم الأكثر فقرا وبطريقة مذهلة.

لقد جاء الوقت الآن لكى يزداد عدد المسيحيين الذين يعملون فى القروض الصغيرة للفقراء ألف ضعف. ويجب أن نعطى القروض بكل سرور لكل الأديان. لكن دائماً باسم يسوع وبالصلاة وبالبحث عن الفرص حتى نشارك الإنجيل بطريقة حساسة وغير مغرضة. البشر يحتاجون إلى الوظائف وإلى المسيح. ومن الممكن أن تصبح برامج القروض الصغيرة هى إرساليات القرن الحادى والعشرين كما كان التعليم والعلاج خلال القرنين الماضيين.

هذه الفكرة تتطور. ففى مؤتمر مسيحى عالمى حول الإيمان والاقتصاد، وقع عدد كبير من المسيحيين العهد بأن يلتزموا ويعطوا واحدا بالمائة من دخلهم السنوى كقروض صغيرة للفقراء !

لكن من الواضح أن القروض الصغيرة لوحدها لا يمكن أن تحل المشكلات. فالناس يحتاجون إلى مدارس جيدة ورعاية طبية وأشياء أخرى كثيرة إلى جانب القروض. لهذا السبب يشغل فنى وكولين وصموئيل برنامج متعدد الأغراض الذى يهتم بالإنسان كله. لكن تعاونهم مع دافيد بوساو من أجل قروض صغيرة للفقراء هو من أفضل خدماتهم لأنه يساند الفقراء حتى يساعدوا أنفسهم.

فكر، كم سيتغير العالم من خلال مائة مليون قرض، باسم المسيح. نحن لدينا المال ونعرف ما المفيد. لكن هل عندنا الإيمان والطاعة؟ هل يوجد عدد كاف من الناس يقبلون أن ينزلوا من على الكرسى إلى الأرض. هل يوجد عدد كاف من الناس مستعدين لتعضيد الذين يخدمون بمالهم وصلواتهم. إذا فعلنا هذا باسم يسوع، ستكون النتائج مذهلة. المتشككون سوف يعيدون النظر فى المسيحية، والانتعاش سوف ينتشر. أعداد كبيرة سوف تتبع المسيح. وإنشاء الكنائس سوف يكثر. والمشاكل العالمية سوف تقل. والفادى الذى هو نفسه الخالق سوف يفرح.

إذا كان مسيحيو اليوم، ولو جزء منهم، يهتمون بالفقراء مثل الله، فإن عالمنا سوف يتغير.

الفصل العاشر

اهتم بالحديقة دون عبادتها

الصفة العاشرة

المسيحي الحقيقي يقدّر خليقة الله ويعبد الخالق

بعض المسيحيين يقولون إن الذين ينادون بالحفاظ على البيئة هم وثنيون يعبدون الأشجار ولا يقدّرون البشر. وبعض محبي البيئة يقولون إن المسيحيين لا يهتمون بالبيئة بل يودون أن يستغلوا استخدامها لأنهم يظنون بأن الله سوف يحولها إلى ذرات عند مجيئه الثاني. والفريقان لم يسبق لهما أن قابلا لاري سكويجر .Larry Schweiger

"لاري " هو مسيحي حقيقي محب للبيئة، وكان نائب رئيس لهيئة National Wildlife Federation، وهي هيئة علمانية تهتم بالبيئة وتتكون من خمسة ملايين عضو.

وقد أخبرني لاري مؤخراً عن الاشتياق الروحي الذي وجده بين محبي البيئة، الذين يشعرون بالحاجة العميقة إلى أساس روحي لاهتمامهم بالأرض. ولكن للأسف، العديد منهم يظنون أن المسيحية ليست الإجابة على هذا. لكن هناك كثيرين منفتحين ويقبلون مشاركة لاري لنظرة الكتاب المقدس بالنسبة لهذا الموضوع.

في الواقع، قاد لاري خلال السنوات القريبة الماضية اجتماعين كل أسبوع، من أجل دراسة الكتاب المقدس، وكان يحضرها أربعون عضواً من هذه المنظمة، كما أن لاري قاد عدة أفراد منهم للإيمان الحقيقي بالمسيح.

ولاري يؤمن أن الإيمان المسيحي يزودنا بأفضل الأسس من أجل الاهتمام بخليقة الله التي أوكلها لنا الخالق، وهو يتألم عندما يرى بعض المسيحيين لا يكترثون بخليقة الله ويعتبرون محبي البيئة من أتباع العصر الجديد .New Age ولاري يقدر جداً جداول المياه والأزهار، والعصافير، والطيور، والأشجار، لأنه يحب ويعبد الذي صنعها كلها.

في السنوات الأخيرة، شعر لاري أن الله يدعوه لكي يركز اهتمامه في مجالين. أن يرى محبو البيئة الدنيويين الأساس الروحي الصحيح الذي يتوقون إليه. وأن يكون هناك فرص حتى

يساعد المسيحيين الحقيقيين لكي يفهموا أن الكتاب المقدس يأمرهم أن يحبوا ويهتموا بحديقة الله البديعة التي وضعها بين أيديهم.

وعدد المسيحيين الحقيقيين الذين ينادون بالاهتمام بخليقة الله يتزايد باستمرار. كما أن العديد من القادة المبشرين أيدوا مؤخراً " الإعلان الإنجيلي من أجل الحفاظ على الخليقة".

لقد اعترف بيللي جراهام قائلاً : " إنني أجد نفسي مناصراً لعلماء البيئة الحقيقيين أكثر وأكثر فالعديد من هؤلاء قدموا لنا خدمة أساسية في مساعدتنا للحفاظ ولحماية المساحات الخضراء والمدن والمياه والهواء ".

ويخبر جراهام قصة (جدول السكر Sugar Creek) الذي يحبه، والذي يمر وسط مزرعة والده. فذات يوم وجد بقرة ميتة على ضفة هذا الجدول. فقد كانت تضخ سُماً في المياه. ويقول جراهام " لم يكن باستطاعتنا أن نفعل شيئاً، فلم يكن هناك قانون يستطيع أن يلجأ إليه والدي من أجل الحفاظ على الجدول وما استطاع أن يفعله والد جراهام هو أن يبني سوراً حتى لا يأتي القطيع ويشرب من الماء المسمم.

المسيحيون الذين يفكرون بصورة جدية يكتشفون أن هناك مشكلة كبيرة متعلقة بالبيئة. في الحقيقة هم ثلاث مشكلات. الانحدار أو التدهور البيئي ليس خيال سخيف من قبل علماء مجانين وسياسيين لهم مصالح شخصية. فأنهار العالم وبحيراته وهواؤه ملوثة فعلاً. فهناك بالفعل ثقوب خطيرة في طبقة الأوزون. كما أن زيادة نسبة ثاني أوكسيد الكربون الناتج عن السيارات والمصانع يهدد في زيادة الحرارة التي يمكن أن تزيد من نسبة ارتفاع المحيطات، وينتج من جراء ذلك تغييرات مريعة في الطقس بالإضافة إلى إغراق بعض المدن الساحلية الكبيرة. خلال الأربعين سنة الماضية، خسرنا ثلث ثروة شجرية. نعم، نحن بالفعل نواجه خطراً بيئياً.

لكن لدينا أيضاً مشكلة أخرى. فبعض الذين يهتمون جداً بالبيئة وبهذه المخاطر يصرون على أن التاريخ المسيحي هو أساس المشكلة. فهم يقولون إنه يجب علينا أن ننبذ تعاليم الكتاب المقدس التي تقول إن الخالق بعيد عن كوكب الأرض وأن البشر فقط مخلوقين على شبه الله. يوجد ممثلة اسمها شيرلي ماكلين Shirley Maclaine تقول إننا يجب أن نصبح رهباناً شرقيين، وتعتقد أننا نحن البشر آلهة. وبعضهم يطلبون منا أن نعبد الإله " أمنا الأرض ". أما اللاهوتي متى فوكس Mathew Fox والداعي إلى إجراء تغييرات، يقول بأنه يجب علينا أن نبتعد عن التفكير اللاهوتي الذي يتضمن الخطية والفداء والنعمة، على أن تكون الطبيعة هي المرشد الروحي بدل الكتاب المقدس. أما العالم الاسترالي Peter Singer فيقول أن البشر لا تزيد أهميتهم عن

القردة والبعوض. وإذا ظننا بأننا أهم نقع في خطأ " التمييز الفصيلي". أكثر من هذا يظن سنجر أن الثدييات يجب أن تكون لها تعريفاً خاصاً بها يدعى " غوريلاستان ".Gorillastan

ولحسن الحظ أن المسيحيين الكتابيين ينبذون كل هذه الأفكار التافهة. لكننا غالباً ما نتجه إلى عبادة الأرض بطريقة مختلفة. فالسيارات التى نقودها، والمنازل التى نمتلكها، وطريقة حياتنا، كل هذه تشير إلى أننا بالحقيقة نعبد الاستهلاك المادى، وهذه هى مشكلتنا الثالثة.

إن مسيحيي اليوم فى حاجة شديدة لأن يحبوا خليقة الله بطريقة أعمق، يجب على المسيحيين أن يهتموا بخليقة الله لأن كلمة الله تأمر بهذا، ولأننا ندمر الآن حديقة الخالق، ولأننا نهدد حياة أحفادنا وأحفاد أحفادنا، ولأن العديد من محبى البيئة العالميين يبحثون بجدية عن أساس روحى، وإذا لم نقدم لهم الإيمان الكتابى الذي يبحثون عنه، فسوف يجدون أساساً دينياً آخر لاهتمامهم البيئي هذا.

دعونا نتأكد بأنه توجد حرب روحية. فالشيطان لايتوانى عن أن يجعل الناس المعاصرين يعتقدون بأن أفضل طريقة لحل الأزمة البيئية هى أن ينبذوا حقيقة التاريخ المسيحى. والطريقة الوحيدة لكى نهزم هذه الكذبة الشيطانية هى أن يصبح جميع المسيحيين محبين للبيئة، وأن يؤسسوا اهتمامهم البيئي هذا على أسس كتابية ثابتة.

لكن السؤال الذى يطرح نفسه هو: هل تكوين الكوكب البيولوجى الهام لحياة البشر فى خطر؟ هل يعتقد العلماء أن هناك خطورة؟ الجواب هو نعم. صحيح أن بعض الأشخاص غير المسئولين قد ضخموا هذا الخطر، وصحيح أيضاً أن آخرين يقولون إن العمليات البديلة من أجل تقليل تلوث الهواء والماء التى تقوم بها الدول الغنية غير هامة لأنه لا يوجد أزمة بيئية. لكننا يجب أن نصغى إلى العلماء وليس إلى الذين يضخمون الأخبار أو الذين يقللون من أهميتها.

ماذا يقول هؤلاء العلماء المسئولون؟ إنهم قلقون. إن معظم من نالوا جائزة نوبل للسلام فى العلوم، الأحياء الآن، وقعوا حديثاً اتفاقية " تحذير العلماء للبشرية ". فهناك مائة وأربعة أشخاص من الذين نالوا جائزة نوبل بالإضافة إلى أكثر من ألف وخمسمائة عالم من أكثر من سبعين دولة، يرجوننا لكى نخفف التلوث ونتوقف عن استهلاكنا الزائد قبل أن تصبح المخاطر شديدة. إنهم يحذرون ويقولون : " لم يعد هناك إلا بضعة عقود قبل أن نخسر فرصة تصدى التهديدات، ومستقبل البشرية يضعف كثيراً."

ما سبب كل هذه المشكلات؟ إننا نصطاد من بحارنا أكثر من المفروض، ونلوث الجو، ونرهق مواردنا من المياه النقية، وندمر غاباتنا وتربتنا وأنواع المخلوقات المميزة التى شكلها الخالق. فى كثير من البلدان تؤدى الكيماويات، وتدفق البترول والمواد الكيمياوية التى تقتل الحشرات، والمخلفات الصناعية إلى تلويث الهواء والماء والتربة. ويقول لنا الله : "أهو صغير عندكم أن ترعوا المرعى الجيد، وبقية مراعيكم تدوسونها بأرجلكم وأن تشربوا من المياه العميقة والبقية تكدرونها بأقدامكم؟". (حزقيال ٤٣: ١٨).

إن العناوين فى الصحف التى تخبر عن الانحدار السريع فى تجارة السمك فى الساحل الشرقى من الولايات المتحدة وكندا تؤكد الاتجاه العالمى الخطير. إن محيطات العالم السبع عشرة الرئيسية كلها تشهد عمليات صيد بكل طاقتها أو أكثر أيضاً. كان البحر الآرى فى روسيا ينتج سنوياً ٤٤ ألف طناً سنوياً واليوم كل السمك ميت فى هذا البحر. لماذا؟ بسبب المشروعات الضخمة لتحويل المياه المالحة إلى مياه عذبة، وهذا زاد من نسبة الملح فى مياه البحر لدرجة قتل السمك. لقد قلت نسبة اصطياد السمك العالمية إلى ٨٪ لكل شخص من سنة ١٩٨٩ وحتى سنة ١٩٩٤.

هذا وإننا نقلل أيضاً من الهواء الذى نحتاجه لكى نعيش. فالكيميائيات التى صنعها الإنسان دمرت أجزاء من طبقة الأوزون، هذه الطبقة التى تحمى البشر والحيوانات والمزروعات من أشعة الشمس فوق البنفسيجية القاتلة. إن الأمريكيين الشماليين قد خففوا من تلوث الهواء فى العديد من مدنهم، لكن التلوث ينتشر بسرعة فى العديد من البلدان النامية مما يؤدى إلى الأمراض والموت.

إن العلماء يتحاورون فى مدى زيادة الحرارة العالمية. فثانى أوكسيد الكربون (الذى ينتج عن إحراق الأشجار والبترول الذى مصدره بقايا الحيوان والنبات) وغازات أخرى تسبب فى دخول حرارة الشمس إلى جوّنا لكنها تحجزه هنا. هذه العملية تشبه ما يحدث لمكان متسور بالزجاج لزرع النباتات، فالجدران الزجاجية تدخل حرارة الشمس ثم تمنع من انعكاس هذه الحرارة إلى الخارج ثانية).

فى سنة ١٩٩٢، قرر جماعة من علماء الطقس المحلفين من ٢٢ دولة، أنه إذا لم نقلل من إنتاج هذه الغازات فإن حرارة العالم سوف ترتفع من ٣ إلى ٨ درجات فهرنهايت، علماً بأن حرارة العالم ازدادت من ٥ إلى ٩ درجات فهرنهايت منذ آخر عصر جليدى وحتى الآن. والنتيجة

هي زيادة في نسبة ارتفاع البحار، إغراق المدن الساحلية، وتغيير جذري بحالة الطقس العالمية. في سنة ١٩٩٥ أعلن المحلفون الدوليون لحالة الطقس، أن زيادة الحرارة العالمية قد بدأت.

في العديد من الأماكن في العالم، نحن ندمر التربة التي تنتج لنا الطعام. سنة ١٩٤٥، جرّدت أراض بقدر مساحة الهند والصين، وكانت مغطاة بالنباتات. الولايات المتحدة عندها أربعمائة مليون فدان من الأراضي الزراعية. كل سنة، نستخدم ٣ مليون فدان من هذه الأرض لنحولها إلى طرق أو إنشاءات. وأننا نخسر مكيالاً من التربة لكل مكيال قمح، في الأراضي التي كانت سابقاً براري.

يوجد في الغابات الاستوائية جميع نوعيات النباتات الموجودة في العالم. كما أن هذه النباتات والأشجار تحول كمية كبيرة من ثاني أوكسيد الكربون إلى الأوكسجين الذي نحتاجه لكي نتنفس. لكننا بجهلنا ندمر من هذه الغابات أكثر مما نزرع. فكل سنة، تختفي مساحة بحجم مساحة ولاية إنديانا. إذا بقيت هذه النسبة كما هي، فستختفي الغابات الاستوائية خلال مئة عام.

إن نصف منتجات الأدوية في الولايات المتحدة مصدرها النباتات البرية في الغابات الاستوائية. لكننا ندمر هذه الغابات ونوعيات النباتات التي تحميها بسرعة شديدة. المبشر المسيحي المشهور وعالم النبات غالين برانس Ghillean Prance يتوقع انقراض أكثر من مليون نوع مختلف من الحيوانات والحشرات والنباتات مع حلول سنة ٢٠٠٠ إذا استمر معدل السرعة كما هو الآن. وفي تحذير العلماء للبشرية يقول العلماء إن ثلث كل الأنواع الموجودة الآن من الحيوانات والنباتات سوف تختفي سنة ٢١٠٠. النبات والحيوان ليست مخلوقات على شبه الله مثل الإنسان. فنحن نستخدمها حتى تكون حياتنا أكمل وأصح. لكن هل نرغب في أن ندمر الملايين من الأصناف التي خلقها الخالق واعتنى بها وأحبها؟ إن كلمات حزقيال موجهة إلينا : "أهو صغير عندكم أن ترعوا المرعى الجيد وبقية مراعيكم تدوسونها بأرجلكم، وأن تشربوا من المياه العميقة والبقية تكدرونها بأقدامكم ". (حزقيال ٤٣ : ١٨).

هل نتعجب بعد هذا إذا كان أفضل علماء هذا العصر قلقين؟ إنهم يشعرون بأنه لزاماً عليهم أن يحذروننا من الخطر، ويرجوننا أن نغير طريقة حياتنا لأنهم يعلمون ماذا يحدث للبيئة. " يجب أن يكون هناك تغيير جذري تجاه تعاملنا مع الأرض والحياة التي عليها، إذا أردنا أن نتحاشى بؤس البشرية وتعطيل الحياة على هذا الكوكب ".

في ختام هذا التحذير من قِبل العلماء للبشرية، يحث العلماء المجتمع الديني لكي يتحرك للمساعدة. ولقد تكلمت شخصياً حول هذه المشكلة مع علماء مثل كارل ساجان وهنري كندال

Henry Kendall.وCarl Sagan و لا يخفى عدم إيمانه، لكنه يدعو المتدينين لكي يساعدوا في تقليل الخطر الذي يهدد الأرض. إن العلماء الدنيويين يترجون المسيحيين حتى يهتموا أكثر بخليقة الله.

إذا أصغينا، فسنسمع نفس الرسالة آتية من الكتاب المقدس. وهناك أربعة مبادئ كتابية هامة إذا أردنا أن نكون وكلاء أمناء على خليقة الله.

أولاً: يجب أن نجمع بين سمو الله ووجوده في الكون دون الانفصال عنه. الله مختلف عن الخليقة. الله منزه عن كل شئ مخلوق. لكن الله الموجود في كل شيء، هو موجود أيضاً في الخليقة. إذا ركزنا فقط على وجود الله في العالم، نصل إلى عقيدة وحدة الوجود حيث كل شيء فيه خير ومقدس. وإذا تكلمنا فقط عن سمو الله أي انفصاله التام عن الخليقة، يفوتنا استمرار محبة الله وتدخله في كل شيء خلقه.

إن الله بحسب الكتاب المقدس هو سامي وأيضاً موجود في كل الكون في نفس الوقت. فهو ليس صانع ساعات كوني ملأ الساعة الكونية ثم تركها لكي تعمل لوحدها. إنه يستمر في العمل في الخليقة. في سفر أيوب نقرأ أن الله يعطي الأمر للصباح (٣٨ : ١٢) وأن النسور تحلق نتيجة لأمره (٣٩ : ٢٧) وأنه يعطي الطعام للغربان عندما تصرخ صغارها من الجوع (٣٨ : ٤١). فكيف يكون الخالق بعيداً عن خليقته. فالخليقة محدودة، وغير مستقلة، لكن الخالق غير محدود ومستقل ذاتياً.

ثانياً: إن البشر غير مستقلين داخلياً عن سائر الخليقة، ومميزين عنها في نفس الوقت. أحياناً ننسى نحن المسيحيين كيف أن حياتنا متعلقة بشدة بسائر الخليقة. فوجودنا اليومي متعلق بالغابات والمحيطات والأراضي الخضراء. كل شيء له صلة ببعضه في النظام الكوني. فمخلفات سياراتنا تساهم في تدمير الأشجار، هذه الأشجار التي تحول ثاني أوكسيد الكربون الذي نزفره إلى الأوكسجين الذي نحتاج أن نتنفسه. يجب أن يتيقظ المسيحيون اليوم لاستقلالهم عن الأشجار والأزهار، الأنهار والغابات. وإذا لم نفعل هذا فسوف ننتهي. أو على الأقل سوف يخسر أولادنا وأحفادنا الاستمتاع بحياة آمنة صحية ضمن بيئة نظيفة.

والكتاب المقدس، يشدد على شيئين آخرين يتعلقان بالبشرية. فالبشر وحدهم مخلوقون على صورة الله. ونحن وحدنا أعطينا تسلطاً ووكالة خاصة. إنها حقيقة كتابية وليس تمييزاً نوعياً أن نقول بأن البشر دون الأشجار والحيوانات مخلوقون على صورة الله (تكوين ١ : ٢٧). هذه

الحقيقة هي أساس الوكالة التي وهبنا إياها الله حتى نحفظ الخليقة غير البشرية (تكوين ١ : ٢٨، ومزمور ٨).

لو لم تكن قيمتنا تختلف عن تلك التي للحيوان والنبات، لما كنا نستطيع أن نأكلها أو نستخدمها في بناء الحضارات. فنحن لا نحتاج لأن نعتذر لأخينا (الجزر) عندما نأكله. نحن لنا حرية استخدام موارد الأرض من أجل أغراضنا، وبما أننا مخلوقون على شبه الخالق، فقد أصبحنا وكلاء فقط على الأرض. في نفس الوقت، يجب أن يكون حكمنا بمثل اهتمام البستاني المحب اللطيف، وليس بمثل سيطرة السيد الطاغية. لذلك يجب أن لا نمحو أو نهدر المخلوقات غير البشرية. فالمسموح به للبشر الذين يعبدون الخالق هو استخدام صحيح لوكالة الله من النبات والحيوان.

لكننا بسبب تعجرفنا حوَّلنا الحكم إلى سيطرة. هناك مقالة كتبها لين وايت Lynn White، ألقت بعض اللوم على المسيحيين لما يحدث في البيئة وهذا صحيح. لكن المخطئ ليس كلمة الله نفسها بل فهمنا الخاطئ لها.

نقرأ في (تكوين ٢ : ١٥) أن الله وضعنا في الجنة لنعمل بها ونحفظها. وفي اللغة العبرية أتت كلمة " نعمل " بمعنى نخدم. واسم هذا الفعل يعني عبد أو خادم. أما كلمة نحفظها فقد أتت بمعنى الاهتمام والحراسة والمحافظة. الكتاب المقدس يدعونا لكي نخدم جنته ونحرسها بمحبته لا أن ننهبها.

إذاً فإن الحقيقة الكتابية الثانية، هي أنه مع أن البشر لهم مقام مميز عن سائر الخليقة إلا أنهم غير مستقلين عن الخليقة.

ثالثاً، نحن في حاجة إلى نظرة تجاه العالم مركزها الله وليس البشر. هذا هام حتى نحترم القيمة المستقلة للخلائق غير البشرية. لقد وقع المسيحيون بكل سهولة في مصيدة الاعتقاد بأن الخليقة غير البشرية لها قيمة عندما تخدم البشرية فقط. لكن هذا ليس ما يعلمنا إياه الكتاب المقدس.

يؤكد ويوضح سفر التكوين في الأصحاح الأول أن كل الخليقة حسنة – إنها حسنة بحسب الكتاب المقدس حتى قبل أن يظهر البشر على الساحة، وتكشف الآية الواردة في (كولوسي ١ : ١٦) أن كل شيء خلق من أجل المسيح.

لم يقل إنها خلقت من أجلك ومن أجلى، مع أن هذا حقيقة أيضاً. لكن هذا النص يقول إن الخليقة صنعت من أجل المسيح ! وبحسب أيوب ٣٩ : ١-٢، الله يحرس الظباء في الجبال، لا يستطيع أي إنسان أن يراها، لكن الله يعد شهور حبلها ويراقبها بلطف وهي تلد صغارها. إذاً، أول قصد للخلق هو أن يمجد الله لا أن يخدمنا.

إن الخليقة هي جزء من إعلان الله لنا. " السموات تحدث بمجد الله والفلك يخبر بعمل يديه. يوم إلى يوم يذيع كلاماً. وليل إلى ليل يبدى علماً. لا قول ولا كلام. لا يسمع صوتهم. فى كل الأرض خرج منطقهم وإلى أقصى المسكونة كلماتهم، جعل للشمس مسكناً فيها " (مزمور ١٩ : ١-٤).

هناك تعليم كتابى ملفت للانتباه، وهو أن عهد الله ليس فقط مع الأشخاص بل مع المخلوقات غير البشرية. هل لاحظت أنه بعد الطوفان عمل الله عهداً مع الحيوان كما مع نوح؟ " وها أنا أقيم ميثاقى معكم ومع نسلكم من بعدكم. ومع كل ذوات الأنفس الحية التى معكم. الطيور والبهائم وكل وحوش الأرض التى معكم من جميع الخارجين من الفلك حتى كل حيوان الأرض" (تكوين ٩:٩-١٠).

لقد أدرك يسوع عهد الله، عندما تحدث عن كيف يطعم الله العصافير، ويكسو الزنابق (متى ٦ : ٢٦-٣٠). إن المخلوقات غير البشرية لها قيمة خاصة بها وكرامة مع أنها تخدم البشرية. .

عندما نصرّ على استقلالية وكرامة المخلوقات غير البشرية، فلا نعنى بهذا أننا نتجاهل التعليم الكتابى الذى يقول بأن البشر هم وكلاء على الخليقة وهى من أجل خدمتهم. لكن استخدامنا لهذه الخليقة يجب أن يكون بحكمة ويحترم استقلالية وكرامة الخليقة التى تُقدَّر فى نظر الله.

وأخيراً، إن خطة الله الكونية للفداء تتضمن أيضاً الخليقة غير البشرية. هذه الحقيقة تؤكد أساساً هاماً لبناء المبدأ المسيحى من أجل عصر الاهتمام بالبيئة.

ما ورد فى رومية ٨ : ١٩ - ٢٣ يظهر أن كل الخليقة ومن ضمنها العالم المادى من أجساد وأنهار وأشجار سيكون جزءاً من الملكوت السماوى. هذه الحقيقة تؤكد أن الخليقة هى صالحة ومهمة.

إن تأكيد الكتاب المقدس على العالم المادى يمكن أن نراه بوضوح من خلال المسيح نفسه. فالخالق لم يدخل الخليقة فقط من خلال صيرورته لحماً ودماً لكي يفدينا من خطايانا، لكن الله المتجسد قام من الأموات أيضاً بالجسد من القبر.

كما أن صلاح نظام الخليقة واضح أيضاً من خلال وصف الكتاب المقدس للملكوت الآتي. فواضح أن لغة الاحتفال والعشاء ضروريان في وصف المستقبل المجيد. فنحن سنجلس " في عشاء عرس الخروف " (رؤيا ١٩ : ٩). إن العالم المادي جيد لدرجة أنه حتى عندما نفكر في مجيء المسيح ثانية، نفكر بالاحتفال من خلال الخبز والخمر وثمار الأرض الجيدة.

تظن الديانات الشرقية أن نظام الخليقة هو سراب يجب أن نهرب منه. لكن الأشخاص الكتابيون يعلمون أن الخليقة جيدة في ذاتها حتى إن الله سوف يخلصها من الشر الذي دخلها من خلال السقوط ويعيدها إلى كمالها. الأصحاح الثامن من رومية يخبرنا أنه عند مجيء المسيح الثاني، عندما نختبر قيامة أجسادنا، ستتغير الخليقة التي تئن : " لأن الخليقة نفسها أيضاً ستعتق من عبودية الفساد إلى حرية مجد أولاد الله" (عدد ٢١).

إنني أعيش بالقرب من نهر سكوليل Schuylkill في فيلادلفيا، إنه نهر جميل لكنه ملوث. فباستطاعتك أن تصطاد سمكاً هناك لكن لا تقدر أن تأكله. إنني أهلل من أجل الوعد الموجود في رومية أصحاح ٨ أنه عند مجيء المسيح ثانية سوف نعتق من عبودية الفساد إلى الكمال. في ملكوت المسيح الآتي، آمل أن أبحر عبر نهر سكوليل غير الملوث مع أحفادي.

نحن في حاجة إلى مبدأ لاهوتي متعلق بالخليقة والفداء. فرجاء المسيحيين بمجيء المسيح الثاني يجب أن يضم معه القانون المتعلق بالخليقة. وبما أننا نعلم بأن الله يأمرنا لأن نكون بستانيين حكماء، وبما أننا نعلم الرجاء الكتابي بأنه ذات يوم ستصلح هذه الأرض، على المسيحيين الحقيقيين أن يكونوا السابقين في الاهتمام ببيتنا الأرضي الجميل المهدد.

هذا يعني بأنه يجب علينا أن نتوب عن ماديتنا واستهلاكنا الزائد. هذا يعني أكثر من إعادة تصنيع الزجاج وأوراق الصحف مع أن هذا بداية جيدة. لقد أصبح الكثير من المسيحيين مستهلكين للمادة مثل جيرانهم. نحن نحتاج لأن نتوب عن المعتقد الدفين داخلنا أن كل ما زادت مادياتنا كل ما حققنا أهدافنا. ألا يكون المسيحيون الكتابيون هراطقة عندما يدينون محبي البيئة الذين يتبعون العصر الجديد بسبب عبادتهم للأرض ومن ثم يستمرون بالجريان المجنون خلف الاستهلاك والمادية؟

عندما نفكر في ما يمكن أن نفعله لكي نهتم بأرضنا، فيوجد شيء واحد بالتحديد يلفت انتباهنا. وهو أن نطعم الجياع ونساند الفقراء. فأكثر من ٥٠ ألف شخص يموتون كل يوم بسبب الجوع وسوء التغذية والأمراض الناتجة. خُمس عدد سكان العالم يعيشون في فقر مدقع. يجب

أن نعيش ببساطة أكثر حتى يستطيع الآخرون أن يعيشوا. إذا قللنا من طريقة حياتنا المسرفة، نقدر أن نشارك الفقراء أكثر ونقلل من ضغوطنا على البيئة.

ليس السبب أن الأرض ينقصها الثروات لكي تطعم الجميع. وليس السبب أن تأمين حياة كريمة للجميع يدمر البيئة. لكن إذا أصر الأغنياء والأقوياء على أسلوب المادية التصاعدى من أجل مصالحهم، لن نستطيع أن نسيطر على الفقر، ونحافظ على البيئة.

هل نريد بالحق أن نلوث أرضنا وهواءنا ومياهنا وندمر أصناف الطيور والنباتات والحيوانات العديدة التى شكلها الخالق بكل محبة؟ هذا لا يعنى أن طير البوم يساوينا فى القيمة. وإذا كان علينا أن نختار بين أن ندمر فصيلة من الطيور أو أن نقود الناس إلى الفقر والجوع، فالأشخاص الكتابيون سوف يقدرون الناس أكثر من الطيور. لكن نادراً ما نوضع أمام هذه الخيارات القاسية. نحن نلوث الأرض وندمر الفصائل حتى نشبع ماديتنا التى تنمو باطراد.

هذه ليست دعوة للفقر والزهد. فهناك مادية قوية رائعة فى الكتاب المقدس. إنها مختلفة عن المادية الاستهلاكية، ومختلفة عن الفلسفة الماركسية للمادية، ومختلفة عن عبادة الأرض.

لقد رأينا أن العالم المادى رائع لدرجة أن الذى خلق كل الأشياء وقال بأنها حسنة أصبح نفسه جسداً. إن العالم المادى حسن لدرجة أن يسوع قام بالجسد من القبر. العالم المادى حسن لدرجة أن كل المؤمنين سوف يقومون بالجسد لكى يستمتعوا بالخليقة الجديدة عندما يعود الرب ثانية. هذا هو مدى جودة العالم المادى. لذلك ليس مدهشاً أن يريدك الله ويريدنى أن نفرح الآن بخيرات الأرض الجيدة.

لكن هناك وجه آخر للتعليم الكتابى فلا شيء فى العالم، له قيمة بقدر قيمة نفوسنا، وبقدر قيمة علاقتنا بيسوع المسيح. فالذى كان يحب أن يبارك احتفال الزواج بحضوره، يدعونا لأن نكون مستعدين حتى نترك الزوجة، الأب والأم، المنازل والأراضى من أجل ملكوته. لا شيء البتة، ولا حتى العالم كله، هام بمثل أهمية علاقتنا بيسوع المسيح التى تقودنا للحياة الأبدية.

منذ عدة قرون استوعب القديس أغسطينوس هذا المفهوم الكتابى وصوَّره بمنظر الخاتم والمحبوب. فالعالم المادى هو خاتم جميل أعطي للبشرية من قِبل محب قدير. والمحبوب يريدنا أن نستمتع بجمال الخاتم. لكن بالتأكيد، من الجهالة أن نصب محبتنا فى الخاتم وننسى المحبوب.

هذا المفهوم الكتابى المتزن هو الذى يساعدنا فى أن نتحاشى السباق الاستهلاكي المدمر. إن كوكبنا لا يحتمل عشرة بلايين (مليارات) من الناس يعيشون هذا النوع من الحياة التى يعيشها سكان أمريكا الشمالية الآن.

إن الخالق الذى صنعنا من أجساد ونفوس، يريدنا أن نستمتع بخيرات العالم المادى الرائعة. فى نفس الوقت، لقد خلقنا بطريقة أن الكمال البشرى والاكتفاء لا يأتيان من الأشياء المادية فقط لكن من العلاقات الصحيحة مع القريب ومع الله. إن الدعوة للاهتمام بالقريب والأمر بتخصيص يوم الأحد لعبادة الله، كلاهما يضعان حداً للطمع والاستهلاك البشرى. إن الأشياء المادية حسنة جداً، لكنها أقل أهمية عن قضاء وقت فى الاستمتاع بالعلاقات الصحيحة مع القريب، ومع الله.

إن المادية العصرية أساسها عصر التنوير الفكرى فى القرن الثامن عشر الذى تخلى عن الفكر الكتابى. وقد وضع الفرد واقع الحياة مكان الله. وأصبح الاختبار العلمى هو الطريق الوحيد للحقيقة.

نحن نستطيع أن نقيس ونزن أشياء ملموسة ونعد أوراق مستندات. لكننا لا نستطيع أن نقيس بسهولة نفع الحوار فى العلاقات الأسرية أو قيمة الاهتمام بالقريب – هذا دون أن أذكر قيمة العلاقة الشخصية مع الله. إن كل فرد يسعى إلى الاكتفاء من خلال أشياء مادية أكثر وأكثر، مع أن طبيعتنا لا تشبعها هذه الأشياء. إن الاستهلاك الهدام فى المجتمع العصرى أساسه الإقبال على النفس والاهتمام بها الذى نبع من عهد التنوير الفكرى. فالإيمان المسيحى يقدم إطار عمل نستطيع من خلاله أن نستمتع بالخيرات المادية وفى نفس الوقت نفهم حدودها.

كيف نتغير إذا تحولنا عن الأخطاء العصرية وعدنا إلى مفهوم الكتاب عن الخليقة؟ هناك كتاب حديث كتبه صديق لى يدعى كالفن دي وات Calvin De Witt، يحتوى على اقتراحات مفيدة. وكالفن هو أستاذ فى دراسات البيئة فى جامعة وسكونسن Wisconsin، وهو فى نفس الوقت مسيحى مكرس.

فى كتابه الأرض والحكمة (Earth & Wise)، يدعو كالفن كل مجموعة محلية لكى تصبح "مركز الاهتمام بالخليقة " بحسب الكتاب. فمحبة الله للخليقة يمكن أن تصبح جزءاً مستديماً من العظات، والعبادة، ومدارس الأحد وبرامج الشباب. إن القدرة المدققة يمكن أن تحافظ على الحفريات الأرضية وأيضاً المال، وعندما يصبح الاهتمام بالخليقة عنصراً دائماً فى حياة الكنيسة، يتحول الأفراد والأسر عن طريقة حياتهم الاستهلاكية الهدامة. والعديد من الجيران سوف يحيون

من جديد من خلال هذه الجمعيات التى تهتم بالبيئة والتى تقودهم للحفاظ عليها. إن كتاب (الأرض والحكمة) يوافق أفكار الكتاب المقدس، وسهل القراءة، وهو ملئ بالاقتراحات العملية. هذا ينطبق أيضاً على مجلة Green Cross أو الصليب الأخضر التى يشارك فيها الأستاذ كالفن دى وايت.

باستطاعتنا أن نحدث تغييراً. فكر فى كم التأثير الذى سيحدثه المسيحيون الأمناء إذا أصبحوا يهتمون بالبيئة. فكر فى التغيير الذى سيحدث إذا قاد الناس الكتابيون حملة من أجل تقليل التلوث وتخليص الفصائل المهددة بالانقراض، وتحاشى الكوارث البيئية. سوف نترك لأحفادنا، ولأحفاد أحفادنا عالماً أفضل. لكن أهم من هذا سوف نكرم الخالق.

من الممكن أن نكتشف عندئذ مجالات تبشير غير متوقعة. فهناك مجموعة تبشيرية من جامعة إنديانا تعمل مع منظمة الصليب الأخضر " Green Cross" لكى يعملوا تعبئة كبيرة بالنسبة للاهتمام بالبيئة فى ورشة عملهم. لماذا؟ واضح أنهم يريدون أن يطيعوا الخالق ويعتنوا بجنته. لكنهم يعلمون أنه يوجد العديد من التلاميذ غير المسيحيين، يهتمون بالبيئة أيضاً. لذلك هم يؤمنون أنه من خلال اهتمامهم بالبيئة سوف تنفتح أبواب عديدة حتى يشاركوا إيمانهم مع الآخرين.

لقد شكلت الكنيسة المشيخية الأولى فى جبل Holy بنيوجيرسى برنامجاً مماثلاً، فمن وقت لآخر ينظمون خدمات للأشخاص الذين لا يترددون على الكنيسة، يتكلمون فيها عن مواضيع شيقة مثل العنصرية والبيئة. فمثلاً كتبوا نبذة تتعلق بالبيئة عنوانها " التجنيد من أجل أرض جديدة والصلاة المتضمنة والموجهة إلى المدعوين حتى يقبلوا المسيح، تحتوى هذه الكلمات: "إني أريد أن أكون جزءاً من خطتك يا الله، وجزءاً من خليقتك الجديدة ".

نعم، إن المسيحيين الأمناء يجب أن يعتنوا اليوم بجنة الله. وسوف نتمتع بخيراتها المدهشة. لكن يجب أن نعبد الخالق فقط الذى هو أيضاً الفادى. ويجب أن نجثو عند أقدام يسوع بكل تسليم وحب، ونشكر حبيبنا على الخاتم الرائع الذى أعطاه لنا حتى نستمتع به. لكننا نذكر دائماً أن المحبوب نفسه هو أكثر ثمناً جداً من كل اللآلئ والأحجار الكريمة الموجودة على ملايين الكواكب والمجرات.


ملخص

الفصل الحادي عشر

الإيمان المسيحي والخدمة

الصفة الحادية عشرة
المسيحي الحقيقي يقبل أن يكون خادماً

ما هي أول خاطرة تأتي على فكرك عندما يُكتب عن إد دوبسون هذا العنوان في مجلة "المسيحية اليوم": "إد دوبسون يحب الشاذين جنسياً"؟

إن دبسون كان يرعى أكبر كنيسة إنجيلية في منطقة جراند رابيدز Grand Rapids منذ سنة ١٩٨٧. ودوبسون يؤمن أن الشذوذ الجنسي هو خطية، وهو يعلم بصراحة الحقيقة الكتابية وهو أن الله يريد أن يبقى الجنس منحصراً بين المرأة والرجل المرتبطان بعهد الزواج فقط. إنه يعارض سياسة التغيير التي تساند الشذوذ.

إذاً لماذا ورد هذا العنوان في مجلة " المسيحية اليوم"؟ لقد بدأ هذا عندما كتبت أم حزينة إلى القس دوبسون طالبة منه أن يزور ابنها المريض. كانت تخشى أن يكون ابنها جيم Jim مصاباً بالإيدز. لقد ترعرع جم في كنيسة كالفرى، الكنيسة التي يرعاها دوبسون، لكن جم ترك الكنيسة منذ عدة سنوات وانضم إلى المجتمع الشاذ.

وقد تصادف أنه في اليوم الذي زار فيه دوبسون جيم لأول مرة أخبره الأطباء بأنه مصاب بالإيدز. وأصيب جيم بالذعر وتكلم طويلاً مع دوبسون. وبعد أن صلى دوبسون معه ترك له نسخة من كتاب بيللي جراهام "سلام مع الله" عندما عاد دوبسون في اليوم التالي أخبره جيم بحماس أنه قرأ الكتاب وقبل المسيح. وقد تابعت كنيسة كالفرى، دوبسون والشاب جيم يوماً بيوم إلى أن توفي بعد خمس سنوات.

بينما كان دوبسون يخدم، شعر جيم بدعوة لأن يخدم وسط مرضى الإيدز " كان هناك سؤال يلح عليّ، ماذا كان يفعل يسوع؟ " وقرر دوبسون أن يزور مركز الإيدز المحلي. وقد دهش المدير لأن راعي أكبر كنيسة إنجيلية في المدينة مهتم بمرضى الإيدز.

وببطء، نظمت كنيسة كالفرى برنامجاً من أجل خدمة مرضى الإيدز. فمثلاً عضو من الكنيسة هو من ضمن لجنة مركز الإيدز، والكنيسة تشترى هدايا عيد الميلاد من أجل الأسر التى أثر بها الإيدز، كما أن الكنيسة تدفع مصاريف دفن أى شخص يموت بالإيدز وليس لديه المال اللازم. بالإضافة إلى هذا فإن كنيسة كالفرى تفتح أبوابها من أجل مراسيم وخدمة الدفن بدون أى مقابل.

لم تكن الطريق سهلة. فقد وردت رسائل مملوءة بالكراهية بعد أن أعلن دوبسون خدمة الكنيسة الجديدة لمرضى الإيدز. وقد حذرت إحدى الرسائل " إذا تدخلتم بمرضى الإيدز، فهذه الكنيسة سوف يستلمها الشاذون جنسياً".

وفى الأحد التالى رد دوبسون على هذا قائلاً : " إذا أديرت الكنيسة من قبل شاذين جنسياً سيكون هذا رائعاً. فبإمكانهم أن يأخذوا أماكنهم إلى جوار الكذابين والمثرثرين والماديين". وأخيراً أعلن دوبسون قائلاً :" عندما أموت، إذا قام أحدهم وقال "كان دوبسون يحب الشاذين جنسياً، أكون قد حققت شيئاً فى حياتى".

وربما يكون أعجب شئ حدث هو مقالة وردت ضمن نشرة خاصة بالشاذين جنسياً. وقد قال الكاتب بصراحة إن كنيسة كالفرى تؤمن أن " من يمارس الشذوذ الجنسى، شاب أو شابة فهو يمارس الخطية." لكنه شكر أيضاً الكنيسة لأنها تدعو الشاذين الفتيان والفتيات إلى خدماتها. لا يوجد أحد ضمن المجتمع الشاذ يعتقد أن الكنيسة توافقه على حياته الخاطئة. لكنهم يعلمون أن إد دوبسون وكنيسته هم خدام لطفاء لمرضى الإيدز.

ويخاف إد دوبسون " أن يكون المسيحيون فى أغلب الأوقات يعرفون الكراهية أكثر من المحبة". لماذا لا يعرف الأشخاص الذين يعبدون الملك الخادم بالخدام إلا نادراً؟.

لماذا يظن معظم الشاذين بأن المسيحيين المبشرين يكرهونهم؟ لماذا تمقت النساء الدنيويات من يعيشون حياة مسيحية؟ لماذا تشعر العديد من النساء أن تدخل المسيحيين فى إعادة قيم الأسرة تمثل تهديداً عدائياً لحقوق المرأة؟ لماذا يرفض الذين من دين آخر البرامج المسيحية التبشيرية ويعتبرونها تسلطاً اجتماعياً؟ اكتشف من خلال دراسة دولية أن ٣٤٪ من الأكاديميين يعتبرون التبشير المسيحى تهديداً للديموقراطية فى الولايات المتحدة الأمريكية، هل هذا ممكن؟ كما أن هناك مقالة فى مجلة النيويورك تايم NewYork Times حذرت أن النشاط السياسى للمتدينين المحافظين له بعد خطير بالنسبة للديمقراطية أكثر مما كان للاشتراكية، هل هذا ممكن؟

جزء من الإجابة هي أن الناس يصبحون مدافعين عن أنفسهم إذا أشار أحد إلى خطاياهم. ولا نستطيع أن نتجاهل حقيقة أن صفوة القوم الدنيويين يخشون النفوذ السياسي المتزايد للمحافظين المسيحيين. كل هذا صحيح. لكنه جزء من التفسير.

غالباً ما يفشل المسيحيون في أن يدمجوا الحقيقة بالخدمة. غالباً ما نكون مهاجمين للخطية بدل أن نكون محبين لطفاء للخطاة. غالباً ما يكون تبشيرنا مختلطاً بالتكبر الحضاري الغربي بدل أن يكون متأثراً بروح الاهتمام والخدمة. وغالباً ما يكون انشغالنا بالسياسة هو نتيجة لخدمة مصالحنا، ومن أجل القوة بدل أن يكون صوت خادم من أجل الفقراء والضعفاء. غالباً ما نفشل في أن نتمثل بملكنا الخادم.

إنني أتذكر فيلم كرتون كان يسخر من المبشرين السياسيين. فقد صوَّر الكرتون تاريخ الكنيسة الأولى عندما كان يرمي الأباطرة الرومان المسيحيين لكي يكونوا طعاماً للأسود حتى تلهو حشود الأمم، تظهر في الكرتون أسود متوحشة تهجم على الضحايا المسكينة. لكن هذه الضحايا مكتوب عليها "الليبراليون" وليس المسيحيون. ويعلن مقدم العرض مشيراً بغضب إلى الأسود المتوحشة قائلاً : "هؤلاء هم المسيحيون".

هذا يقلل من مصداقية المسيحيين حتى ولو لم يكن عادلاً وصحيحاً. ماذا يمكن أن نفعل؟

لا شئ أهم اليوم من أن يستعيد المسيحيون وضعهم كخدام، استمع الناس باحترام للأم تريزا لأنهم يعلمون بأنها خادمة. تخيل كم يكون التأثير لو أن أول ما يفكر به غير المسيحيين بالنسبة للمسيحيين السياسيين، ومقدمو البرامج التلفزيونية هو أنهم خدام.

في وسط المسيحية يقوم خادم. إن قلب الإيمان المسيحي، وموضوع الإيمان المسيحي~هو خادم، وهذا الخادم هو مركز الكون، مركز اتحادنا "ورأيت فإذا في وسط العرش.. خروف قائم كأنه مذبوح.." (رؤيا ٥: ٦).

لقد أصرَّ يسوع وقال : "لم آت لكي أخدم بل لأخدم" (مرقس ١٠ : ٤٥). لقد عاش هذه الحقيقة في حياته وموته، وانحنى لكي يغسل أرجل تلاميذه، وقضى قدراً كبيراً من الوقت يسدد الاحتياجات الجسدية للمتألمين، وقد عمل أكثر من هذا لكي يقدم المحبة والكرامة للمجموعات المنبوذة، مثل البُرص، والعشارين، والنساء، والنازفات، والشحاذين العميان، وحتى الزناة الخطاة.

أما احتماله للصلب الروماني فكان أكبر عمل قام به من أجلنا. لقد فهم يسوع والكنيسة الأولى الصليب في ضوء نبوة إشعياء عن الخادم المتألم. " لكن أحزاننا حملها وأوجاعنا تحملها ونحن حسبناه مصابا مضروبا من الله ومذلولا. وهو مجروح لأجل معاصينا مسحوق لأجل آثامنا تأديب سلامنا عليه وبحبره شفينا ". نحن نكون معوجين لإنجيل وإعلان يسوع إذا لم يأتيا من خادم متواضع.

لقد أعلن يسوع أن له سلطان لكي يغفر الخطايا. وأعلن أيضاً أنه ابن الله الوحيد. كما أنه تجرأ وأعلن أنه ليس أحد يأتي إلى الآب إلا به. لكن قال كل هذا كخادم متواضع يخدم بلطف البرص والزناة.

إن المسيح لم يعش فقط حياة الخدمة لكنه أمر تلاميذه أن يتبعوا خطاه. ففي أيام يسوع كان غسل الأرجل المتربة عمل حقير يترك للخدام لكن يسوع نفسه نزل إلى مستوى هذا العمل. وبعد أن غسل أرجل تلاميذه المندهشين قال لهم : " فإن كنت وأنا السيد والمعلم قد غسلت أرجلكم، فأنتم يجب عليكم أن يغسل بعضكم أرجل بعض، لأني أعطيتكم مثالاً حتى كما صنعت أنا بكم تصنعون أنتم أيضاً ". (يوحنا ١٣ : ١٤– ١٥).

خلال خدمته العامة، طلب يسوع من كل الذين أرادوا أن يتبعوه أن يكونوا خداماً مضحين". من أراد أن يأتي ورائي فلينكر نفسه ويحمل صليبه ويتبعني". (مرقس ٨ : ٣٤) وعندما اقترب وقت تركه لتلاميذه وذهابه إلى أبيه أمرهم أن يستمروا في أسلوب الحياة الخادمة " كما أرسلني الآب أرسلكم" (يوحنا ٢٠ : ٢١).

لذلك، فليس مدهشاً أن يحرص الرسل المسيحيون خلال بقية العهد الجديد في أن يتمثلوا بالمسيح الخادم في كل مجالات الحياة. ففي البيت يجب على الأزواج أن يحبوا نساءهم بنفس الطريقة المكلفة "كما أحب المسيح الكنيسة وبذل نفسه من أجلها" (أفسس ٥ : ٢٥). وقد حث بولس المسيحيين أن يتذكروا أن المسيح هو مثال للتواضع والخدمة : " فليكن فيكم هذا الفكر الذي إذا كان في صورة الله لم يحسب خلسة أن يكون معادلاً لله. لكنه أخلى نفسه آخذاً صورة عبد صائراً في شبه الناس"(فيلبي ٢ : ٥–٧).

من هو هذا الخادم الذي نحن مدعوون لأن نتمثل به؟ إننا لن نفهم خدمته إلا عندما نتذكر بأنه الله المتجسد، الله الكامل والإنسان الكامل. كالله الكامل يعلم يسوع المسيح كيف يجب على البشرية أن تعيش. وكإنسان كامل وهو الشخص الوحيد الكامل في تاريخ البشرية– يشير

المسيح إلى الطريق التى تؤدى إلى الاكتفاء الحقيقى والفرح الدائم. "أن نكون بشريين كاملين فهذا يعنى أن نكون مثل المسيح، لأن يسوع كان بشراً كاملاً وإلهاً كاملاً أيضاً".

إن نوع خدمة يسوع هو الطريق لكى نصل إلى كمال الحياة البشرية كما يريدها الخالق لكل إنسان. لقد كان أ. ستانلى جونس E. Stanly Jones محقاً عندما قال : " إن أشقى الناس فى هذا العالم هم الأنانيون، الذين لا يعملون شيئاً لأحد، ما عدا أنفسهم. إنهم مركز للبؤس بلا شك.. على نقيض هذا – أسعد الناس هم الذين يحملون أحزان ومشاكل الآخرين. إن قلوبهم تغنى بفرح كبير ".

إذا كان يسوع إنساناً كاملاً، إذا كانت حياة الخادم هى الطريق للفرح الدائم. لكن طريق الفرح هذا يجب أن يمر من خلال إنكار النفس. ربما لم يعبر أحد عن هذا أفضل من سى إس. لويس الذى قال:

هَب نفسك، ستجد نفسك الحقيقية. اخسر حياتك
وستخلصها. اخضع حتى الموت، موت مطامعك وأفضل
أمنياتك كل يوم، وموت جسدك كله، اخضع بكل ذرة فى
كيانك، ستجد الحياة الأبدية. لا تحتفظ بشئ، فلا شئ
لم تعطهِ سيكون لك. لا شئ فيك لم يمت سوف يقوم
من الموت. ابحث عن نفسك، ولن تجد على المدى الطويل
إلا الكراهية والوحدة، والخيبة، والغضب، والدمار، والزوال.
لكن ابحث عن المسيح وستجده، ومعه ستجد كل شئ آخر.

لنتأكد أنه من الممكن أن نضيع ما بين الخدمة بحسب الكتاب وإنكار النفس الذى أساسه كره النفس والشعور بصغر النفس. أحياناً تشعر النساء اللواتى هن ضحايا الجنس والأقليات المضطهدة أنهن مهانات لدرجة أنهن ليس لديهن أى شعور بالكرامة وبالقيمة. مثل هؤلاء لا يقدرن أنفسهن كما يقدرهن الله وهذا ليس تواضعاً مسيحياً وحياة خدمة. إنه كراهية للنفس أساسها الخطية. إن نوع خدمة يسوع تفيض عن وعى قوى بكرامتنا وقيمتنا، وأساس هذا معرفتنا أن خالق هذا الكون صنعنا على شبهه وفدانا على الصليب.

ترى ماذا يحدث اليوم لو أن الكنيسة عادت وتمثلت بالمسيح وبخدمته المتواضعة؟ ولو أن الكنيسة آمنت بالفعل بكلام يسوع بأن من يريد أن يكون تلميذاً يجب أن يتمثل بخدمته؟ ولو أن عدداً كبيراً من المسيحيين تجرأوا وأصبحوا أتباعاً حقيقيين للملك الخادم؟ فالإجابة واضحة: العالم سيقف ليرى ومن ثم يتغير.

احلموا معي قليلاً عن كيف ستتغير الخدمة المسيحية تبشيرنا، ودعوتنا للمبادئ والسلوكيات، وطلبنا من أجل شفاء الأسرة، ودعوتنا من أجل إنهاء الإجهاض.

فكر في الفرق بين نوعين من التبشير : تبشير يقوم به أسياد وتبشير يقوم به خدام. في أغلب الأوقات ومنذ أيام قسطنطين، حاول المسيحيون أن ينشروا الإنجيل كجنود غالبين وليس كخدام. عندما أصبح الإمبراطور قسطنطين مسيحياً في أوائل القرن الرابع عمّد كل رعيته. هذا تبشير من خلال القوة لكنها قوة السيف وليس الروح. ومنذ ذلك الوقت، أصبح المسيحيون يتجرأون ويخبرون المسلمين أن يسوع هو طريق الخلاص الوحيد بينما يشنون الحملات ويذبحون مئات الآلاف منهم. والمسيحيون كانوا يدعون اليهود ليقبلوا مسيحهم بينما كانوا يعذبونهم ويذبحونهم.

المرسلون البريطانيون انتشروا في الصين مباشرة بعد أن حاربت الحكومة البريطانية الصين، حتى تجبر الصينيين أن يسمحوا لهم في بيع الأفيون في الصين ! وعلق هادسون تايلور على حقيقة أن الأفيون مرغم على الصينيين في كل مكان في الصين وقال : " في أسبوع واحد يسبب الأفيون أذى يحتاج مرسلونا لأن يصلحوه بالخير لمدة سنة ". وعندما تكلم أحد المرسلين عن الجحيم، قال أحد الرجال المحترمين من الجمهور :" منذ أن أتيتم إلينا أيها الغرباء، أصبحت الصين جحيماً ".

والأمريكيون الشماليون كانوا يرسلون المرسلين إلى الهند بينما كانت حكومتهم تكسر المئات من المعاهدات حتى أنها قضت تقريباً على معظم هذا الشعب. والمرسلون الأسبان وعظوا بالمسيح لشعب جنوب أمريكا المحتل بينما كان حلفاؤهم يحاربون ويحتلون أراضيهم. بعض الأوروبيين تجرأوا أن يخبروا الأفارقة عن المسيحية بينما كانوا يكرهونهم على العبودية. وبحسب بعض التقارير، كان هناك سفينة تحمل العبيد من تشارلستون اسمها "السفينة الجيدة يسوع".

إن الفرق بين هذا النوع من التبشير والتبشير الخادم أصبح واضحاً بالنسبة لي بعدما هزني يسوع مؤخراً عندما كنت في ماليزيا. فذات صباح أحد، كنت أسبح الرب المقام وأنا أرنم بحرارة

فى خدمة صينية كاريزماتيية. لا أذكر الترنيمة التى كنت أرنمها. لكن فجأة فطنت أننى أقف وسط مقاطعة آسيوية غير مسيحية فى ماليزيا المسلمة. وأنا أرنم أن يسوع هو سيد الأرض كلها. وأنه الطريق الوحيد لخلاص كل الناس فى كل مكان. إن جراءة هذا الإعلان غمرتنى.

ابتدأت رويدا أفكر بالتبشير على أنه عمل خدمة. إن التبشير من خلال غزوات العصور الوسطى أو حروب الجيوش ليس صحيحاً .. لكن المبشرين الخدام الذين يبشرون بكل تواضع وتضحية ويحاولون تسديد كل احتياجات الآخرين تكون خدمتهم صحيحة عندما يدعون الذين لهم إيمان مختلف لكى يقبلوا مخلص العالم الوحيد.

شكراً لله أنه كان يوجد مرسلون أسبان عارضوا مذبحة الأمريكيين اللاتين الهنود وعرضوا أنفسهم للخطر والتضحية. وشكراً لله أنه كان هناك مبشرون وهم تلاميذ للواعظ الشهير تشارلز فنى رفضوا كسر اتفاقيات الحكومة الأمريكية مع الهنود بينما كانوا يدعون هؤلاء لكى يقبلوا المسيح.

فى الفصل التاسع، رأينا كيف نزل فنى وكولين صموئيل من الكرسى إلى الأرض. إن معظم الناس الذين يخدمون بينهم فى الهند هم من الهندوس والمسلمين. وهم يجلسون بكل لطف وتواضع على أرض الأكواخ الصغيرة لكى يستمعوا إلى مشاكلهم. ويخططون ويرسمون سوياً برامج لمحاربة الجوع والمرض ولزيادة فرص التعليم والعمل، من خلال كل هذا يقدمون المسيح ويدعون الكل لكى يقبلوه.

ولقد تكلمت أيضاً عن وعد واين جوردون الغريب فى أن يفعل أى شئ يسأله الله منه، وهذا أخذه إلى قلب المدينة وسبب له فى سرقة منزله عشر مرات، لكن واين وأنى تحديا الظروف مثل يسوع حتى يخدما الفقراء. وكانت النتيجة تبشير قوى، وكنيسة تنمو باطراد، وعدد كبير من أولاد قلب المدينة المتجددين.

إن الخدمة هى نوع التبشير الوحيد الأمين ليسوع. وهى تأتى بنتائج أفضل. فى دراسة حديثة أجريت طُرح السؤال التالى : " ما الممكن أن يزيد من جاذبية الكنيسة؟ " وثانى أكثر إجابة كانت :" أن تساعد الكنيسة الفقراء والمحتاجين ".

والخدمة أساسية إذا أردنا أن نقلب موازين النسبية بالنسبة للمبادئ فى عصرنا. إن مدنيتنا سوف تتحطم إذا لم نستطع أن نتغلب على مشاكل الطلاق والجنس قبل الزواج والطمع وعدم الصدق الذى يفسد القانون، والعمل والطب والحياة العامة. إن المفهوم العصرى للمبادئ بأنها تخضع للاختيارات الشخصية تدمر مجتمعنا. يجب أن نعود إلى التقليد المسيحى القديم الذى يعترف بأن المبادئ والسلوكيات ثابتة لا تتغير. لماذا؟ لأن أساسها هو نفس طبيعة الواقع. يجب

أن يصدر المسيحيون دعوة للكنيسة أولاً ثم للمجتمع الأوسع حتى يتراجعوا عن النسبية الفردية الهدامة، ويعودوا إلى القيم والمبادئ التي غرست من قِبل الخالق وظهرت من خلال كلمة الله.

هام جداً أن ننتبه إلى كيف نقدم هذه الدعوة. بعض الحملات الأخلاقية المسيحية قاسية وغير محبة مع أنها على حق، لذلك لا يقبل أحد أن يستمع إليها. إذا كانت تصرفاتنا توحي للشاذين جنسياً بأننا نكرههم، فلن يستمعوا إلى حواراتنا ضد ممارسة الشذوذ. إذا كانت مواقفنا توحي للمطلقين بأنهم منبوذين، لن يصغوا إلى إعلاننا بأن الزواج الدائم هو الطريق للفرح. إذا كانت الفتيات اللواتي يجهضن يرون أن المسيحيين يؤنبوهن بغضب ويحكمون عليهن بأنهن قتلة، فلن يصغوا أبداً إلى طلبنا من أجل احترام الحياة الموجودة داخلهن.

إن الخدمة هي المفتاح. يصغي مجتمع الشواذ في "جراند رابد" باحترام إلى إديسون وهو يقول لهم بمحبة وبإصرار بأن الممارسات الجنسية هي خطية. فهم يعرفون أنه يحبهم ويخدمهم حتى الموت. إن القس الذي يصغي إليه زوجان يريدان الطلاق بألا ينفصلا هو الذي يتابعهما شهراً بعد شهر بمحبة وبصبر وتضحية، ويساعدهما في تخطي هذه المحنة.

وهذا صحيح بالنسبة للأسر المسيحية التي ترحب بالأزواج والزوجات المنفصلين في بيوتهم، ويعدون بأن يساعدوهم حتى يتعلموا عن الزواج المسيحي الدائم والمكرَّم. وهذا أيضاً صحيح بالنسبة للمجموعة التي تقبل،ولا تنبذ، والفتيات المراهقات الحاملات، ويعلمونهن أن الجنس قبل الزواج والإجهاض الذي ينتج، هما بديلان تافهان لخطة الله من أجل الطهارة واحترام الحياة.

يجب علينا أن نحرض المجتمع ضد مبادئه المجنونة. وعلينا أن نحث المسيحيين لكي يعلنوا بشجاعة مبادئ وقوانين الله. لكن لن يصغي إلينا أحد ما لم نصبح خداماً. يجب أن نحب جيراننا كما كان يفعل الأنبياء الباكون، لا أن ننتهرهم بغضب. يجب أن نضع أذرعنا حول الذين سجنتهم الخطية، ونحبهم وندعوهم إلى الملكوت، ونسير معهم الرحلة مهما كلفت متجهين إلى الكمال في المسيح. إن المجتمع سوف يتغير إن أصبح ضحايا الإيدز، والشاذون جنسياً، يقولون هذا عن المسيحيين: " نحن نعلم أنهم يحبوننا لأنهم يخدموننا في احتياجنا "يجب أن، تكون الخدمة هي العلامة التي تميز المسيحيين.

هذا يصح أيضاً على دوافعنا الجديدة بأن نعيد إصلاح دور الأب في مجتمعنا. إذا أرادت الأسرة أن تستمر، على الرجال أن يتوبوا عن عدم مسئوليتهم وتخليهم عن زوجاتهم وأولادهم. يجب أن يعود الرجال ويصبحوا أزواجاً أمناء وآباء مسئولين. لكن الخدمة أساسية. فأسرنا لن

تشفى إذا استمر الرجال في موقفهم التسلطى فى منازلهم، فليس هذا الحل. ما نحتاجه هو روح الخدمة التى أمر بها الرسول بولس الأزواج المسيحيين الذين يحبون ويخدمون زوجاتهم بالطريقة الباذلة المكلفة التى أحب بها المسيح الكنيسة، فإن هذا سيساهم فى إعادة وضع الأسرة الصحيح وشفاء المجتمع.

الخدمة تناسب كل مكان، حتى عندما نتكلم عن البيئة. كثيراً ما حور المسيحيون مبدأ الحكم الكتابى وفهموه على أنه سيطرة. فى الواقع، البشر مخلوقون على صورة الله. بخلاف الجزر مثلاً. لقد أعطانا الله وكالة خاصة على الأرض. لكن الكتاب المقدس يصف ويوضح هذه الوكالة على أنها خدمة. كما قرأنا فى الفصل العاشر. الله يأمرنا أن نعمل ونحفظ أرض الله (تكوين ٢ : ١٥). وكلمة نعمل فى العبرية تعنى نخدم. واسم الفعل هو خادم أو عبد.

تخيل ماذا يحدث فى العالم لو أن ربع المسيحيين يأتمرون بوصية الله ليخدموا الخليقة. تخيل مدى التأثير على محبى البيئة العالميين لو أنهم يفكرون فى المسيحيين بهذه الطريقة : " إنهم خدام الأرض لأنهم يعبدون الخالق ". لن تكون النتيجة هى عبادة الأشجار، أو تفضيل النبات على الأشخاص. لكن سيكون هناك حركة جديدة، تكرم الخالق من خلال تطبيع خليقة بديعة لأحفادنا وأحفادهم. إن محبى البيئة الكتابيين هم خدام للخليقة لأنهم يطيعون الخالق.

والخدمة تتناسب مع النشاط السياسى المسيحى. فالسياسيون المسيحيون الذين يواجهون معارضيهم بغضب بسبب عدم طاعتهم للمسيح يكون تصرفهم غير كتابى وغير مثمر. لكن السياسيين الذين يفهمون فعلاً يسوع، يُعرفون أولاً على أنهم خدام. خدام للضعفاء، خدام لرعاياهم، وحتى خدام لمعارضيهم. وعندها سوف يعرف أن هؤلاء السياسيين المسيحيين هم صوت الفقراء والضعفاء والمحتقرين. إن النشاط المسيحى الحقيقى هو الذى يكون ضمير الحكومة الذى يذكر بأن الله يحكم على المجتمعات من خلال تصرفاتها تجاه الفقراء.

لا يجب أن ينسى السياسيون المسيحيون حكم يسوع الساخر على الحكام الذين يتظاهرون بأنهم يخدمون الشعب، لكنهم فى الحقيقة يخدمون مصالحهم الشخصية " فقال لهم، ملوك الأمم يسودونهم والمتسلطون عليهم يدعون محسنين.." (لوقا ٢٢ : ٢٥). وبدل هذا يقول المسيح للقادة الذين يخدمون شعوبهم : " وأما أنتم فليس هكذا. بل الكبير فيكم ليكن كالأصغر والمتقدم كالخادم.." (لوقا ٢٢ : ٢٦). من الواضح أن هذا الكلام موجه إلى قادة الكنيسة. لكنه بالتأكيد يطبق أيضاً على المسيحيين السياسيين ووجوب خدمتهم من أجل فائدة الناس بالحقيقة.

إن السياسيين الذين يدّعون أنهم يتبعون يسوع الخادم الذى هو أيضاً الحق، يجب أن يكونوا صوت المجتمع الشجاع للحق. يجب أن يرفضوا تلوين الحقائق حتى عندما تكون الحقيقة مكلفة. ويجب أن يكونوا منصفين حتى مع معارضيهم. كما يجب أن يخدموا أمتهم من خلال قول الحقيقة وترويجها بدل الاتجاه ناحية نصف الحقائق والهجوم الإعلانى الذى يقسم.

إن الديموقراطية الحقيقية لن تنتشر إلا من خلال الحوار الصريح والبحث الدقيق عن الحقيقة. والعدالة لن تزدهر إلا من خلال وجود أصوات قوية تناصر الضعفاء والمساكين. إن السياسيين المسيحيين الذين يفهمون دعوتهم للخدمة سوف يلعبون دوراً أساسياً فى تشكيل مستقبل أفضل.

المسيحية الخادمة تستطيع أن تغير بيوتنا وأوطاننا. لكن هذا لن يحدث إلا إذا أصبح قادة الكنائس خداماً حقيقيين. إن أكثر حادثة مدهشة فى كل الكتاب هى المشاجرة التى حدثت وسط تلاميذ السيد أثناء العشاء الأخير (لوقا ٢٢ : ٢٤).

لقد عاش يسوع وسطهم لمدة ثلاث سنوات كخادم. لقد علم وعاش حياة الخدمة المتواضعة. وقبل لحظات كان قد أعطى تلاميذه الخبز والخمر كذكرى أبدية لبذل نفسه على الجلجثة. فى تلك اللحظة تشاجر التلاميذ بغضب عمن هو أعظمهم؟ لا بد أن يسوع كان قريباً من اليأس.

وأخشى أن يكون ما زال يائساً. فبينما ينظر المسيح إلى الكنيسة المعاصرة، يرى قادة كنائس يستخدمون القوة بطرق غير صحيحة، ويعيشون ببذخ ويسعون للشهرة والمركز. لابد أنه يبكى.

لكن شكراً لله أن هذه ليست كل الصورة. فهناك العديد من القادة الخدام المجهولين المنتشرين فى الكنيسة. هناك أيضاً أمثلة مُشعة من القادة الخدام المتواضعين. الأم تريزا قادت بقوة من خلال خدمتها المكلفة وسط الفقراء والضعفاء والمحتقرين. وبيللى جراهام يستمر مثلاً للتواضع رغم شهرته ونفوذه. فعندما تقابله تشعر بروحه الخادمة.

يجب على كل قس وشماس أن يعود إلى تعاليم يسوع عن القيادة الخادمة. وعندما يحدث هذا، ستنمو كنائسنا وسيزداد تأثيرها فى العالم.

إن ما يحتاجه عالمنا المحطم هو إنجيل يسوع. وما يتوق إليه مجتمعنا المجنون هو مبادئ الكتاب المقدس، مع أنه لا يعلم باحتياجه هذا. لكن لا يمكن أن يسمع العالم والمجتمع إلى رسالتنا إلا إذا شاركناه بروح الخدمة.

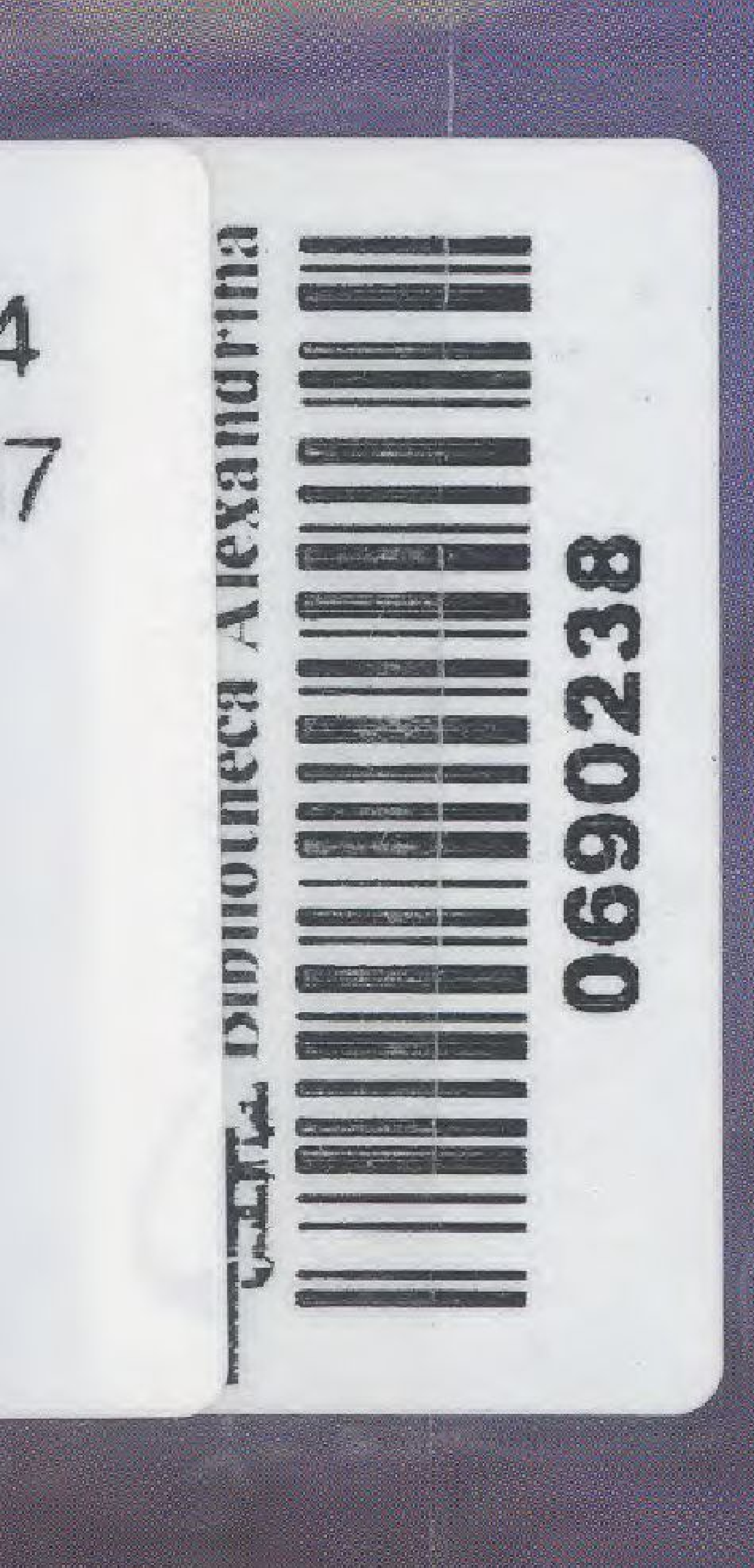
بينما كنت أجهز كتابة هذا الفصل، عاودت قراءة كتاب بل هيبلس Bill Hybels الرائع واسمه " Descending into Greatness الانحدار أو النزول إلى العظمة ". إنه دعوة قوية للمسيحية الخادمة. وكلما قرأت كلما شعرت أنني مجرد مبتدئ في فهم الخدمة في الإيمان المسيحي. لكنني أريد أن أعرفه أكثر وأتبع خطاه بأمانة. وأنا مقتنع أن هذا يعني قبول الخدمة بطريقة أعمق في كل شئ أفعله. كلما اتبع المسيحيون اليوم الملك الخادم بأمانة أكثر، كلما زادت قوة تبشيرنا، وكمال زواجنا، وكلما استمتعت مجتمعاتنا بالعدالة.



ماذا نحتاج

لكي يتغير هذا العالم، ولكي يتغير حسب الحق إلى الأفضل؟ أظن أن الإجابة سهلة فالأمر يحتاج إلى مجموعة صغيرة من المسيحيين الذين يؤمنون بالحق كما علمه يسوع، ويعيشون كما كان يسوع يعيش.

رونالد ج. سايدر



Bibliotheca Alexandrina
0690238

١٠١٠٠٢٤٩

